الوعي الإسلامي
AL- WA E I AL- ISLA MI
اسلامية شهرية جامعة
العدد ٣٥٠ - شوال ١٤١٥هـ/ مارس (آذار) ١٩٩٥م

فرحة التحرير تكتمل بعودة الأسرى



■ إعلانات بيع الوهم

■ الزواج السري باطل.. باطل



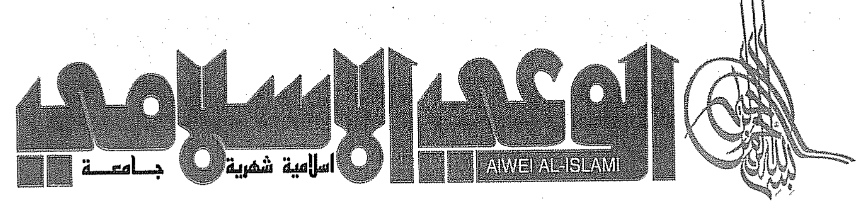
■ الأمن البيئي من منظور اسلامي

تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،
و مجلة الوعي الإسلامي من

صاحب السمو أمير البلاد،
وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء

والشعب الكويتي الكريم، والأمة الإسلامية،
بأحر التهاني بمناسبة عيد الفطر المبارك،
تقبل الله طاعتكم، وأثابكم خيرا،
اللهم ارحم شهداءنا الأبرار وفك قيد
أسرانا وأسرى المسلمين.

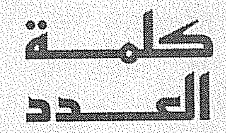
كل عام
وأنتم
بخير



تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٥٠ - السنة الحادية والثلاثون - شوال ١٤١٥هـ / مارس (آذار) ١٩٩٥م



فرحة.. وغصة

وتجلدي للشامتين؛ أريهمو أني؛ لريب الدهر لا أتضعضعُ

كلما أزف فبراير (شباط) على الوداع قفزت إلى الذاكرة فرحة تحرر الكويت من عدوان النظام العراقي، ففي مثل هذه الأيام منّ الله تعالى على هذا الشعب المسلم بالتخلص من كابوس لم يتوقع حدوثه قط، وهو الذي لم يقصّر في حقوق الأخوّة، ولا حقوق الجوار بحسب طاقته وقدرته وجهده، وبمقدار ما كان الاحتلال كابوساً ضاغطاً، ونزيلاً مرفوضاً كان للتحرير وقع متميّز في القلوب والنفوس..

استعادت الكويت عافيتها، وعادت إلى حركتها النشطة المتميّزة في ميادين خدمة العروبة والإسلام، والعمل في حقول التنمية والتعليم والفكر، منطلقة من الزاوية الإيجابية في الاعتبار، مدركة أكثر من غيرها ماذا يعني الظلم، ولذلك لم تكبّلها مآسي فترة الاحتلال ولا صوره القاتمة، ولم يتمكن الغزو العراقي من تغيير المعدن الأصيل لجزء لا يتجزأ من أمة أصيلة، وبقي صوت الكويت الاقليمي والدولي عالياً إلى جانب تحقيق العدالة ورفع الظلم عن كل فرد وجماعة بشرية، وبقي الساعد الكويتي جنبا إلى جنب مع السواعد البنّاءة الأخرى على الساحة الإسلامية والدولية..

ولكن الفرحة لم تكتمل في بعض البيوت العامرة، لأنها تفتقد الغالي والعزيز من آبائها وأبنائها في سجون الطاغية، فما زال أسرى الكويت شهوداً على الظلم الطاغوتي، وعلى اجتراء الطاغية على حرمات الله تعالى، ويظهر أنه ومن حوله لم يسمعوا بعد قول النبي ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، اللهم تقبّل شهداءنا وفك قيد أسرانا واغفر لنا تقصيرنا□

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي (١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

المراسلات:
مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

الاشتراكات

داخل الكويت: للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ
الدول العربية: للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب: ٤٢٠٥٧
الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت: ٤٨١٦٨٨٤/٥ - ٤٨٣٥٠٤٧

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع ٧٥ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

أقرأ في العدد

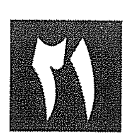


نعيش فرحة الكويت باليوم الوطني وذكرى التحرير، مدركين أن المحنة والابتلاء يمكن أن يكونا منحة وخيراً إن نحن وعينا الدروس واستفدنا من التجربة، وعدوان النظام العراقي على الكويت ترك بصمات واضحة وقروحا مسمومة إلا أنه كشف كثيرا من الحقائق التي اختفت طويلا خلف غلالة من النفاق والعبثية، وتبقى الفرحة ناقصة بغياب الأحبة في سجون النظام الظالم وأقبيته.. اللهم ارحم شهداءنا الأبرار، وفك قيد الأسرى والمرتهنين.

تذهب بنا رياح التحرر ما بين تشريق أو تغريب.

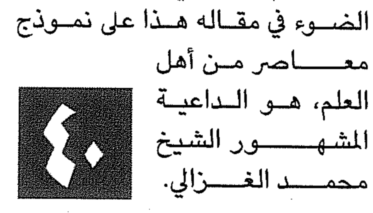
انتقال الحضارات

علم الحضارات والعمران من العلوم المهمة المفيدة، وقد يصل حكمه في زحمة الحياة العصرية وتعقدها إلى درجة (الضرورة)، ودراسة أسباب موت الحضارات وانبعاثها، وجمودها وتطورها، وتحولها وانتقالها مما لا يصح إغفاله بعد اليوم، وفي مساهمة جادة حول ذلك كله يكتب لنا د. محمد عبد المنعم خفاجي عن (انتقال الحضارات).



تجدد الرؤية الاسلامية في فكر الشيخ الغزالي

حاول كثير من العلماء الذين يملكون من الجرأة ما لا يجعلهم يخشون في الله لومة لائم ان يبصّروا الأمة ويأخذوا بيد المسلمين إلى الأمام، وصبري قنديل يسلط الضوء في مقاله هذا على نموذج معاصر من أهل العلم، هو الداعية المشهور الشيخ محمد الغزالي.



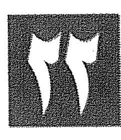
٤٠

اقرأ في الأعداد القادمة

- جمالية الابداع في الادب الاسلامي / كمال سعد خليفة
- مراكز افريقية للحفاظ على التراث الاسلامي / محمود بيومي حسن
- اهتمام الاسلام بتربية الابناء / محمد عبد الشافي القوصي
- اعجاز القرآن اللغوي / علي عبد اللاه طنطاوي
- كيف يعالج الاعلام الاسلامي اخبار الجريمة والجنس / نور الدين بليبل
- البنك الاسلامي ونشأته / الأزهري مولاي عبد العزيز
- بين السلف والخلف / د. محمد محمود متولي
- القلق وأطفالنا / اميمة محمد عزالدين
- المنظور الاسلامي للانسان / عبد المجيد بنسعود

اعلانات بيع الوهم والاثارة

للإعلانات المعاصرة دور كبير في ترويج البضائع وتشكيل العقلية الاستهلاكية، ولقد أبدعت الحضارة المعاصرة في هذا الفن حتى بات بابا واسعا من أبواب التأثير على الأفراد والمجتمعات، وعاطف شحاته زهران في مقاله يتطرق إلى أساليب الاعلانات المعاصرة وتسويقها الوهمي.



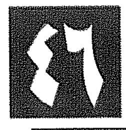
الاقليات الدينية في الدولة الاسلامية

أيا كانت ديانتك فأنت في الدولة الاسلامية لك حق المواطنة، وتتمتع بالمساواة والعدل، وان كنت ذا خبرة فلك مكانتك، فقد تضع الدولة شروطا لتولي بعض المناصب ذات الصفة الدينية، وهذا حق، فإن توفرت فيك فمرحبا بك، وإلا فلن ينتقص أحد حقك، حول هذه المعاني وغيرها يحدثنا د. محمد عمارة الكاتب الاسلامي المعروف.



مخطط التنصير في البلاد الاسلامية

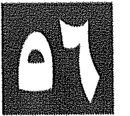
أصدرت النشرة الدولية للبحوث الإرسالية المسيحية إحصائية عن التنصير وأنشطته في العالم لعام ١٩٩١م وقد أشارت هذه الإحصائية الى أن عدد المؤسسات التنصيرية ووكالات الخدمات المسيحية، والموارد المالية للكنائس العاملة في مجال التنصير، وما حققته الإرساليات الأجنبية في ميدان الاعلام والنشر، حول التنصير ومخططاته كتب لنا احمد محمود أبو زيد.

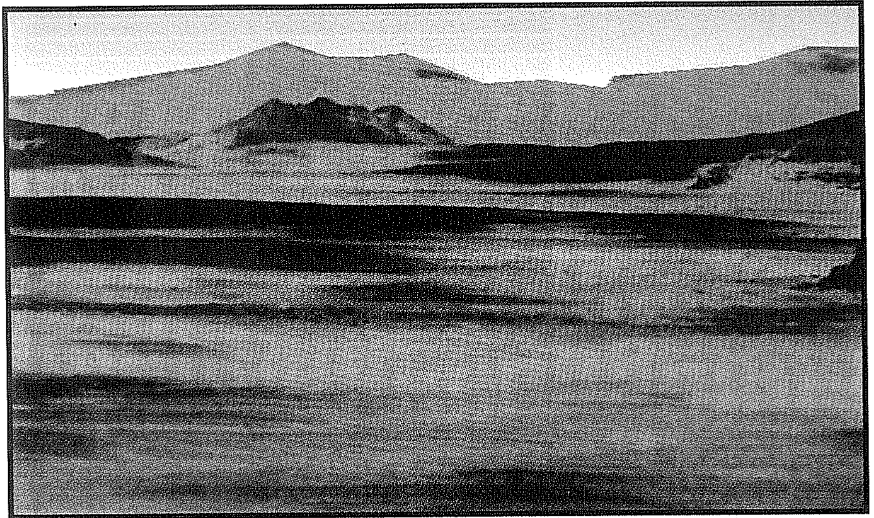


الوظيفة التربوية



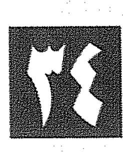
غير خاف ما أعطي للدعاء من منزلة ومكانة وأهمية في الإسلام. وحسبنا من ذلك كونه «مُخ العبادة»، وفي رواية عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»، ومن هنا كان المقصد الأسمى للدعاء، هو كونه يمثل أعلى وأرقى درجات العبودية والعبادة لله سبحانه وتعالى. والدكتور/ احمد الريسوني في مقاله يبين مكانة الدعاء ووظيفته في حياة الانسان.



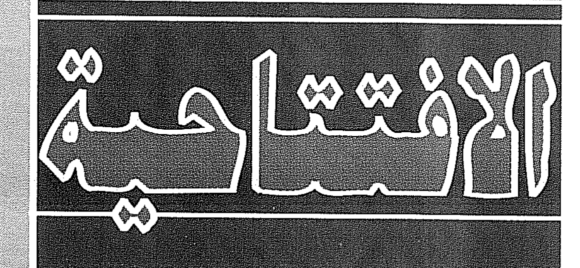


تقديم لعلوم الأراضي في ظلال بعض آيات القرآن

تدبر الدكتور/ محمد أحمد عبد المطلب لفظة (الأرض) تدبراً خاصاً، يبحث في معارف الإنسان ومعلوماته التي كشف الله لخلقه بعضا من أسرارها العلمية والعملية، والتي يشاهدها الانسان بنفسه ويلمسها بيده سواء في الحياة اليومية أو البحثية في حقائق ذات انتشار واسع أو محدود.



الفهرس



الابتلاء

سنّة الله تعالى في خلقه؛ يمحص به الخبيث من الطيب، والكافر من المؤمن، والمطيع من العاصي، وأشد الناس ابتلاء الأنبياء «فالأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على قدر دينه، فإن كان في دينه شدّة زيد له في البلاء»، ولقد ابتلي نبينا محمد ﷺ وامتحن أصحابه فثبتوا وضربوا أكبر مثل في الجهاد والتضحية وإنكار الذات والثبات على الحق..

وقد بين سبحانه وتعالى أن الابتلاء أحد سننه في الذين آمنوا خاصة وفي الناس عامة، ماضيا وحاضرا ومستقبلا، فقال: ﴿ألم. أحسِب الناس أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون. ولقد فتنّا الذين من قبلِهم فليعلمنّ اللهُ الذين صدقوا وليعلَمنّ الكاذبين﴾..

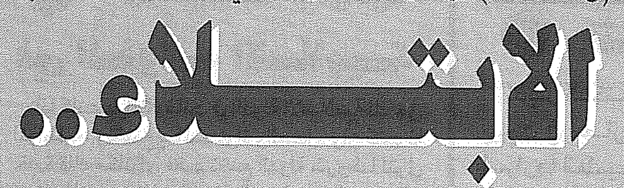
وما وقع من الابتلاء نتيجة عدوان النظام العراقي على دولة الكويت يوم ٢/٨/٩٠م، وإسقاطاته وإفرازاته، لم يقف عند حدود السياسة ولا الأمن ولا الاقتصاد، وإنما طال ميادين الحياة جميعا حتى بات المسلم نفسه حائرا أمام تداعياته وتطوراته، وللأسف كان للعاطفة دورها الأكبر في توسيع الفتق، وإطلاق الصراع على غاربه حتى وقع ما يشبه الانشطار الداخلي، الذي أصاب كل جزء من أجزاء جسم الأمة، وانتقل من الميدان الرسمي إلى القاعدة الجماهيرية العريضة..

ولئن كان للعدوان هذا الأثر السلبي المعروف، فقد كان له إيجابياته الكثيرة وعلى رأسها العودة إلى الله تعالى بالصلاة والدعاء وضرب أروع الامثال في التكافل والتعاون والأثرة والصبر والمصابرة، مما كان له اكبر الاثر في تخيف المعاناة وتثبيت الناس والتمهيد لزوال الغمة والظلم والعدوان، وهذه صفات تقوى بها النفوس ويصلح بها شأن الأمم ﴿ولنبلونّكم حتى نعلمَ المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾، كما كان لتحرير الكويت ورفع ثقل الاحتلال ومفرداته عن أرضها العربية المسلمة إيجابيات أخرى لم تخلُ من محاولات إعلامية يائسة للنظام العراقي، ساعياً إلى تشويه وجه الحق في المسألة، وموظفًا كمّاً كبيرا من المفاهيم والشعارات لخدمة الغايات والمرامي التي سعى إليها منذ بداية خطته وحتى اضطراره للفرار مخلفا وراءه ذكريات أليمة ووقائع حزينة وتخريبا يندى له الجبين..

والامتحان يفيد المؤمنين والعقلاء، ويوجب على كل مسلم أن يحاسب نفسه، ويجاهدها لله، وأن يستقيم على أمره ويتباعد عن نهيه، ويوجب على الدول الإسلامية أن تحاسب نفسها أيضا، وأن تستقيم على دين الله، ومتى استقام العباد على الحق، وأصلحوا أنفسهم، وبذلوا المستطاع في نصر الحق، يسر الله أمورهم، ونصرهم على عدوهم ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾..

وقد انتهك النظام العراقي بعدوانه الماكر أحكام الشريعة الإسلامية، في نفس الوقت الذي تنكّر فيه لأحكام القانون الدولي، والأعراف الإنسانية السليمة المنسجمة مع شريعة الله تعالى في حفظ الجوار وعدم العدوان واحترام العهود والمواثيق..

وما بين واقع الاحتلال الذي رفع فيه النظام المعتدي شعار (وحدة الأمة)، ومعركة التحرير الذي ترثر فيها بشعار (لا



للوجود الأجنبي) كادت الحقيقة تضيع على البعض ممن غرتهم الشعارات، واستمعوا بآذانهم بعيدا عن إعمال الفكر وعميق النظر في أفعال النظام العراقي نفسه..

فقد ذكر تعالى في كتابه الكريم صفات أهل البغي والعدوان، الذين استعبدوا الناس واسترهبوهم واستخفوا بعقولهم وساموهم سوء العذاب، وتوعّدهم كما توعّد المستجيبين لهم في جملة من الآيات الشريفة، منها قوله تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾.. كما بيّن النبي ﷺ عاقبة ذلك كله في سنته المشرّفة..

ولو عدنا إلى حقائق الواقع لما وجدنا أي مبرر لتأييد النظام العراقي لا على المستوى العقدي والفكري، ولا على المستوى الميداني والعملي، وهو الذي يتنكر للإسلام عقيدة والتزاما ويستبدل الشريعة السمحة بقوانين وضعية تعود في أغلب الأحيان إلى مزاجية الفرد الحاكم لا إلى مجالس شرعية دستورية قد تراعي المصلحة العامة وتقدمها على المصلحة الخاصة..

بل من المعروف للقاصي والداني أن زبانية النظام لا يقيمون وزنا لبيوت الله ولا للشعائر التي تقام فيها، ولا يتورعون عن إهانة المصلين واعتقال العلماء وجمهور المتعبدين إذا ما كانت مقتضيات حفظ هيبة الحكم تتطلب ذلك..

ولا ننسى أن الدعوة إلى الإسلام وانتشاره وتمكينه في نفوس الناس وتبيان محاسنه وتخليص العامة من الأوهام والخرافات والبدع العالقة بتراكم الجهل على مدى السنين، لا يمكن أن يتم بعيدا عن المؤسسة العلمية متمثلة بالمعاهد والمدارس والكليات والجامعات الشرعية، ولايمكن أن يتم بعيدا عن روح احترام العلماء وطلابهم من الدارسين والقائمين على هذه المؤسسات العلمية، وفي الوقت الذي تنتشر فيه المدارس الشرعية، وتهتم برامج التربية والتعليم في الكويت وأخواتها من دول الخليج بالتعليم الديني ونشر علوم القرآن الكريم والسنة الشريفة والفقه الإسلامي بين مختلف شرائح المجتمع نكاد لا نسمع باسم عالم يمتلك حرية التعبير أو حرية الحركة أو حتى حرية المشاركة والمساهمة في مجالس فقهية متخصصة داخل العراق أو خارجه، بل إن قتل العلماء سمة تسم النظام الحاكم منذ وصوله إلى السلطة وحتى اليوم، لا يوفر في ذلك فريقا دون فريق أو مذهبا دون مذهب بما في ذلك العرب والأكراد والتركمان، والشيعة والسنّة على حد سواء، ومن أراد الاستزادة فسيجد كما هائلا من الوثائق التي توضح حقيقة اضطهاد أهل العلم والمؤسسات العلمية الشرعية في العراق، ولائحة طويلة من أسماء المبتلين بالتعسف والظلم المريع..

ولعل من الشائع المنتشر على ألسنة العامة والخاصة داخل العراق وخارجه تسمية الجمهورية العراقية بجمهورية الخوف، لما ينتشر فيها من وسائل الإرهاب كالقتل والخطف والسجن وسمل العيون وقطع الأيدي، وشرم الآذان، وبتر الأعضاء، وكي الجباه، والطرد التعسفي من الوظيفة، والتهديد بالاعتداء الجنسي على الفرد وأفراد أسرته، ومصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة، والطرد من البلد، أو مصادرة جواز السفر والحرمان من السفر ولو طلبا للاستشفاء في الحالات المستعصية، أو طلبا للعلم، إلا بضمانات وقيود أين منها قيود هامان وفرعون وزبانيتهما..

ومن مظاهر التعدي على الحقوق وانتهاكها عدم الالتفات إلى حرمة البيوت وخصوصيتها، فالكل مستباح في أي وقت وأي ظرف طالما أن ذلك يؤدي إلى سيطرة النظام على الأفراد، حتى قيل أن الزوجة باتت لا تأمن على نفسها من زوجها أن يكون عينا للأجهزة وأذنا، فالخوف يحكم العلاقة داخل الأسرة الواحدة، والعلاقة متوترة بين الزوج وزوجته، وبين الآباء وأبنائهم، وبين الجيران والأنسباء، الكل يخشى من الكل، والكل يتربص بالكل، والعياذ بالله..

أما القتل الجماعي فحدث عنه ولا حرج، وإن ينسَ العالم جرائم النظام العراقي فلن ينسى خنق حلبلاا - المدينة الكردية العامرة - بالغازات السامة والسموم القاتلة الممنوعة شرعا وقانونا، وهي المدينة التي كانت تعتبر مركز العلم الشرعي في مناطق الأكراد، وتحتضن من الحفّاظ والقرّاء والمدرسين والدعاة ما شكّل شوكة في حلق النظام، وشوكة في طريق مخططاته الماكرة..

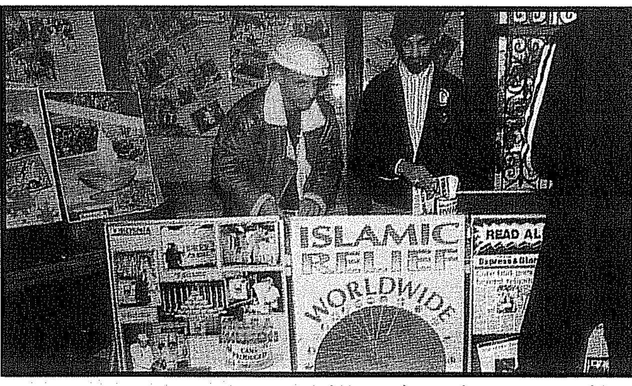
وعندما نتحدث عن الدعوة الإسلامية ودعاتها، لن نجد جريمة تشبه جرائم النظام العراقي في تصفيتها والتشفي بتقتيل أبنائها، ورفعهم على أعواد المشانق أو إذابتهم بالمواد الكيماوية الحارقة، أو سحلهم حتى الموت، مع استباحة تركتهم، والحجر على أموالهم، والانتقام من أصولهم وفروعهم، فالانتماء للعمل الإسلامي جريمة يعاقب عليها قانون حاكم بغداد، ومع ذلك كان يحرص - لا سيما -خلال فترة الاحتلال وحرب التحرير على الظهور في (المساجد) و(العتبات) بمظهر المصلي الورع، ذرا للرماد في العيون وتغريرا للبعض ممن لا يعلمون، أو يستعينون على إسكات ضمائرهم بالنسيان..

إن جرائم النظام العراقي لا تقف عند حدود الانتهاكات الآنية المحدودة، ولكنها طالت مستقبل الأمة، لا مستقبل الشعب العراقي المنكوب بها فقط، فقد أدت مغامراته العسكرية المتلاحقة إلى إنهاك الأمة العربية، وتفتيت صفها، والذهاب بريحها، وما نراه اليوم من قرارات تفرض عليها إقليميا أو دوليا هو نتيجة طبيعية لمغامراته العسكرية الخاسرة، وعلى رأس ضحاياها (قضية فلسطين) التي وصلت إلى ما وصلت إليه بسبب العبثية الفاشلة التي قامت على الغوغائية وتدمير البنى التحتية، والقوى الحقيقية للأمة، وعلى رأسها (الإنسان)، فأمة أفرادها ضعفاء؛ أمة ضعيفة، والأمة التي تربي أبناءها على الخوف والتردد وعدم الثقة بالنفس لا يمكن أن تغير واقعها أو تبني مستقبلها أو تحقق العدالة المطلوبة المؤدية إلى تحقيق المرتجى والمطلوب في مسألة الاستخلاف في الأرض، وهو رسالة الإنسانية الأولى..

إن ذكرى التحرير تعيد البسمة إلى الشفاه التي اكتأبت بالاحتلال وإفرازاته، وتعيد الأمل إلى القلوب التي أشفقت على الأمة وهي ترى الظلم يمتد ويطغى ويعيث في الأرض الفساد، ويقلِب الشعارات رأسا على عقب، ويسيء استخدام الإسلام ومفرداته الطاهرة لتزييف الوقائع، ولكن ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾..

وتبقى الألسن تلهج بالدعاء أن يرحم الله تعالى الشهداء الأبرياء، وأن يطلق الأسرى والمرتهنين داخل سجون الظلم والتعسف في العراق وفي كل مكان، ونسأله تعالى أن يجعل فيما وقع خيرا للمسلمين جميعا، وشراً على أعداء الإسلام، لأنه سبحانه أعلم وأحكم فيما يقدّره ويجريه، ونرجو أن يكون فيما وقع عظة بالغة في الرجوع إلى الله والاستقامة على دينه، وعدم الركون إلى الدنيا وزخرفها الزائل مصداقا لقوله ﷺ: «من زهد في الدنيا أسكن الله الحكمة قلبه، وأطلق بها لسانه، وبصّره عيوب الدنيا، داؤها ودواؤها، وأخرجه منها سالما مسلما إلى دار السلام» [رواه ابن أبي الدنيا]. وذاكرين ومذكّرين في هذا الموقع بقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ■

■ الغـرب متخـوف وحـذر في وقت واحـد، فـالحضور الإسلامي في دياره أصبح ملحــوظــا وفــاعــلاً



● نشاط إسلامي خيري في بريطانيا

المستشرق بــوريـنغ:

الإســلام ديــن المستقبــل

زار البرفسور جيرهارد بـورينغ (رئيس قسم الدراسات الدينيـة بجامعة يـال YALE بأمريكا) الكويت بـدعوة من وزارة التربية والتعليم العالي. وكان قد زارمكاتب مجلة (الوعي الاسلامي) والتقى مسؤوليها، ودار بينهم حوار شامل حول الاستشراق وحركة التواصل الفكري والحضاري بين الشرق والغرب، قديماً وحديثاً.. ونظراً لموقع الرجل وأهمية الزيارة أجرينا معه الحوار التالي:

■ السـؤال التقليدي: لماذا اخترت ميـدان الدراسات الإسلامية؟

● أجاب مع الإشارة: بالصدفة..

■ يعني: من دون تخطيط؟

● يمكنك قول ذلك؛ ففي العطلة التي تلت امتحاني للثانوية العامة اخترت السياحة إلى جنوب اسبانيا (الأنـدلس) ومنها إلى المغرب، وكانت المرة الأولى التي أزور فيها بلداً عربياً، وأعيش بين أهلهـا عن قـرب، ولما عـدت إلى ألمانيـا (بلـدي) درست الفلسفـة لمدة ثـلاث سنـوات في الجامعـة، ثم حصلت على منحـة حكـوميـة فيممت وجهي شطر البـاكستـان حيث درست الأوردو في لاهور لمدة سنتين، ثم التحقت بجـامعة البنجاب لأحصـل منها بعـد ثـلاث سنوات على دبلـوم الـدراسـات الاسلامية. ومنها إلى مصر لـدراسة العربية لمدة سنة دراسية واحدة..

وبعـدهـا حصلت على منحـــة من خـلال

أجرى الحوار: د. صلاح الدين أرقه دان

بـرنـامج تبـادل الطلبـة بين ألمانيـا وكنـدا، فحضرت درجـة الـدكتـوراة تحت إشراف بروفسور ألماني كنـدي في الاسلاميات. قبلت بعدهـا عرض عمل في بنسلفانيا (فيـلادلفيا)، وعـام ١٩٨٤م سنحت لي الفـرصـة للعمل في جامعة يال (Yale)..

■ وهل عملت هنـاك في قسـم الـدراسـات الإسلامية؟

● لم يكن القسم قـد أنشيء بعـد، وإنما استدعيت لتأسيسه، بعدمـا كانت الجامعة قد اتخذت قراراً سابقاً بذلك.

طلبة الدراسات الاسلامية وتوجهاتهم

■ كم عدد الطلبة؟



● تظاهرة احتجاج إسلامية نظمها مسلمون في الغر

● في المرحلـة الجامعيـة ٤٠ طـالبـاً، وفي الدراسات العليا ٧ طلاب.

■ ما هي جنسياتهم؟

● هنـاك ٣٥ طـالباً أمـريكيـاً في المرحلـة الجامعية، وخمسـة من جنسيات إسـلامية. وفي مرحلة الـدراسات العليا طالبـان عربيان (أحـدهما درزي) وطـالبـان بـاكستـانيـان وطـالبـان أمريكيـان وطـالب واحـد صيني (درس العربيـة في مصر ويتقنها بـالرغم من صعوبة النطق بكثير من أصواتها)..

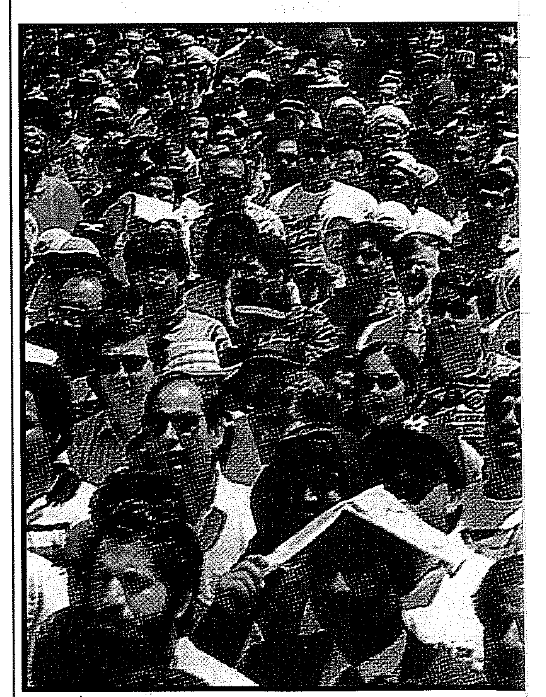
■ لم اختار هؤلاء الدراسات الإسلامية؟

● في المرحلة الجامعيـة، يحضرون المنهاج لأنه جـزء من الـدراسة الجـامعيـة (كورس) وليس للتخصص، وقد يكون الأمر بين الطلبة المسلمين موضوع انتماء أو بحث عن انتماء..

تخوّف وحذر

■ في بريطانيـا حوالي ١٣ مركـزاً لتدريس الإسلام، وفي الدول الأوروبيـة يزداد الإقبال على الدراسات الإسلاميـة، فكيف هو الأمر في أمريكا؟

● في أمـريكـا مـا لا يقل عن ٣٠ مـركـزاً للـدراسـات الإسلاميـة، وأظن أنها ستـزداد توسعاً في المستقبل..



■ مـا سبب هـذا الإقبال برأيك؟

● لنكن صرحـاء، الإسـلام دين ينتشر، وقـد أصبح عـدد المسلمين بمختلـف فئـاتهم يـربـو على الأربعة مـلايين، وأظن أنه لو جـرى إحصـاء لربما تجاوز العدد ستة مـلايين مسلم، فهنـاك (المسلمـون السـود) أتبـاع اليجـا محمـد، والمهـاجـرون الجدد (وهـم في ازديـاد) وبعض المعتنقين للإسلام..

■ خُمس سكـان العالم من المسلمين، وهـم يحيطون بـالكـرة الأرضيـة كالحزام

الغـرب متخـوف وحـذر في وقت واحـد، فالحضور الإسلامي أصبـح ملحوظاً، وهناك أثـر الثورة الإسـلاميـة في إيران وشعـاراتها وخطابها الاعلامي المميـز المثير لانتباه الغرب وتخوفه، وهنـاك حـرب الخليج الأولى (العراق وإيران) والثانية (احتلال العراق للكويت) وما تبعهـا من تحرّك دولي كان على تماس مبـاشر مع الإسلام السياسي والمجموعات الإسلامية، ولا تنس مشكلـة فلسطين والصراع العـربي الإسرائيلي، وظهور حـركات المقاومـة والجهاد ذات الشعـار الإسلامي المميـز، وهناك لبنـان ومظـاهـر الحرب الـداخليـة والصراع مع الإسرائيليين والامتـداد الإيـراني، وهنـاك الحركات الأصولية البارزة ذات التأثير في أكثر من بلد (الجزائر، تركيا، إيران إلخ)..

أضف إلى ذلك أن خمس سكـان العـالم من المسلمين، وهم يحيطـون بـالكـرة الأرضيـة كالحزام، وكل ذلك حقائق يأخذها الغرب بعين الاعتبار..

ولقـد كتبت مقـالا نشر بخمس لغـات (الانكليزيـة والفرنسية والألمانية والاسبـانية والبرتغـالية) بعنـوان (العـلاقة بين الإسـلام والغرب) تناولت فيه كثيراً مما يثار حول هذه العلاقة وحول (الأصولية) الإسلامية..

مفهوم الأصولية بين الشرق والغرب

■ الأصـوليـة مصطلـح يختلف في معنـاه العـربي عمّا تعنـونـه بـالإنكليـزيـة، كما أن الأصولية بمعنى التـزمّت أمر انتشر عند غير المسلمين أولاً، كـالأصـوليـة اليهـوديـة والمسيحية والهندوسية إلخ.. أرجو استخدام مصطلح (الصحوة)..

● قـد أوافقك الـرأي.. فـالأصـوليـة بروتستـانتية المنشأ، وهي تعنـي العودة إلى الجذور الصـافية للـدين أو لمظـاهر التـدين بعيداً عن مـؤثرات المادة، التمسّك بـالأصول الداعيـة للزهـد والتقشف والإيمان بحـرفية النص، والعيش فيـه، أي الانتقال من الـواقع المرفـوض إلى أجـواء النـص الـديني كما يستغرق فيه المتعبّـد الملتزم.. فهل ترى ذلك بعيداً عن الفهم الإسلامي؟

■ نعـم.. فـ(الأصول) في المصطلـح الإسلامي هـي القواعد الكليـة التي يستنبط منهـا المجتهد الأحكـام الفـرعية التفصيليـة، والأصوليون هم أصحاب الاختصاص بغض النظر عـن مدى التزامهم أو تعصبهـم لمظهر من مظـاهـر التـديـن، أمـا (التعصب) و(التمسّك) أو الإغـراق في مظـاهـر التـدين، فمسـألة مختلفة، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم رفض بشدّة أن يستغرق الفرد المسلم في مظـاهر التـدين إلى درجـة تعطيل دوره في الحياة الـدنيا، أو المبالغة في التعبّـد إلى درجة الخروج من الفـاعليـة إلى الجمـود، أو من الحياة الفطرية إلى الترهـب، وقصة الثـلاثة الـذين بـالغ كل منهم في التعبير عن تـدينـه، فأقسم أحدهم ألا يتـزوج النسـاء، والآخر ألا يفطر الدهر، والثـالث أن يقوم الليل فلا ينام قط، مشهـورة، وقـد نهـاهـم عليـه الصـلاة والسلام عن هذا التطرف وأمرهم بالاعتدال. والأدلـة الدالـة على هـذا المنهج الوسط تكـاد تتضافر في القـرآن الكريم والحديث الشريف على حد سواء، وهي من الوضوح والكثرة مما ينفي عن العبـادة الإسـلاميـة أو الالتـزام الإسـلامي أي تطرف أو تـزمت أو إغـراق في الروحية البعيدة عن الواقع العملي..

ولنعد إلى مـوضوع الأصـولية في المفهـوم الغـربي، ولِمَ أطلق على الحركـة الإسلاميـة المعاصرة؟

● برأيي – كما قدّمت – ان المصطلح ابتدأ في الطـوائف البروتستانتيـة، وهنـاك خطأ في الفهم عندما يعمّم على ما نراه من بروز روح التدين في العالم الإسلامي..

ولعل مردّ ذلك إلى طبيعة انطلاقة الحركات الإسلاميـة المعاصرة، فهـذا العصر هو عصر

المستشرق بورينغ: الإسلام دين المستقبل

التحرر من الاستعمار المباشر والاستغلال والسيطرة التي عرفتها عصور سابقة، لاسيما بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة.. فالأمة المسلمة اليوم متحرّرة وهي تسعى إلى أن تأخذ دورها على الساحة الدولية، ولا يوجد حكومة إسلامية واحدة تجمع الشتات وتوظف الطاقات وتحقق الهدف المشترك لجميع المسلمين في استعادة المكانة العالمية، وكل فرد وجماعة يبحث عن حل، ولقد جرب العالم الإسلامي حلولاً كثيرة، فشلت جميعاً في تحقيق الهدف المذكور، جربوا الاشتراكية، والقومية، وغيرهما، إلى أن رفعوا شعار (الإسلام هو الحل) وقالوا: (جربنا كل شيء، فلم لا نجرب الإسلام)..

وهذا ببساطة يعني (الجهاد) وهو عنصر مهم في آلية التحرك الاسلامي، وللجهاد متطلبات جادّة تجعل الحركات الإسلامية الداعية للحل الإسلامي حركات ذات صفات وسمات مميزة، وبالتالي تختلف عن الحركات السياسية العلمانية الساعية للتغيير بطرق غربية في معظمها، والتخوف يأتي من هنا، من شعار (الجهاد)..

وهناك جماعات كثيرة على رأسها (الاخوان المسلمون) و(الجماعة الإسلامية)، الأولى في العالم العربي، وقد أسسها حسن البنا، والثانية في شبه القارة الهندية، وتعود إلى أيام أبو الأعلى المودودي، ومن رموز هذه الحركات سيد قطب..

وظهرت حركة الخميني في إيران، مع مراعاتنا وفهمنا لتأثير عقيدة (المهدي) في الساحة الشيعية، ومعرفتنا للاختلافات العقدية والفقهية والفكرية والتاريخية بين السنّة والشيعة، يبقى الشعار واحد والهدف واحد، فالكل يريد العودة إلى الاسلام نفسه، ولنقل أنه يجمع هذه الحركات جميعاً عملية (إحياء) للأمة المسلمة (Revival)..

تمايز الحركات الإسلامية

■ هل ترى جميع الحركات الإسلامية سواء؟ وهل تصنفهم ضمن نفس الاتجاه السياسي أو المنهجية العملية؟



● العودة إلى الحجاب ظاهرة اسلامية في ازدياد

■ بالعلم نقضي على التخوف، فالإنسان عدو ما جهل

● لا شك أن هناك اختلافات بين الحركات الإسلامية، وبعضهم أكثر تشدداً من بعض، كجماعة التكفير والهجرة، ولكن الواضح أن الجميع يدعو إلى الجهاد، منهم من يرى (الجهاد بالسيف) ومنهم من يراه (بالقلم)..

ولا يفوتني الإشارة إلى أن هذه الحركات المعروفة لم تخرج من رحم المؤسسة العلمية التقليدية، فلم تخرج من الأزهر مثلاً، ولم يكن قادتها (علماء) بالمعنى الاصطلاحي كما هم مشايخ الأزهر أو أي معهد ديني آخر.. فالبنا كان مدرّساً، والمودودي صحفياً، وسيد قطب أديباً، وصاحب كتاب (الفريضة الغائبة) مهندساً، ومثل ذلك الحركات المعاصرة فأربكان في تركيا مهندس، وكذلك قادة جبهة الانقاذ في الجزائر..

ومن الملاحظ أن غالبية أتباع هذه الحركات من أبناء الطبقة الوسطى، وليسوا كذلك خريجي المعاهد الدينية التقليدية..

وبالمناسبة هل قرأت كتاب سلمان رشدي؟

سلمان رشدي أساء إلى الإسلام

■ قرأت فصولاً منه، لم أقرأه تفصيلاً..

● هل يصعب الحصول عليه هنا في الكويت؟

■ هو غير متوفر في أي من البلدان العربية، بالرغم من وجود ترجمة عربية له..

● اسمع؛ لقد قرأت الكتاب كله، وإنني أراه مؤذياً للعالم الإسلامي، بلغته وأسلوبه.. ومع ذلك فهو قصة (Novel) خيالية وليس دراسة نقدية، والكاتب لم يظهر أي احترام للقرآن ولا للرسول ولا لآل البيت، ولكنه من جهة أخرى وصف وصفاً دقيقاً المشاكل التي يواجهها المسلم عندما يقدم من بلده ليعيش في الغرب، وبهذا المعنى يكون كتاباً نقدياً لفكر المسلم الفرد وطريقة حياته وما يعتريه بسبب الانتقال من ثقافة إلى ثقافة أخرى..

■ ألم تر في دفاع المؤسسة الغربية الرسمية والشعبية عن سلمان رشدي وكتابه الذي تصفه بهذه الأوصاف، موقفاً استفزازياً للعالم الإسلامي؟

● لا يمكنك القضاء على كتاب ومجموعة أفكار بالسيف، فالفكر إما أن يموت أو يعيش بالاقتناع أو الرفض، بفكر مثله.. وإحراق كتاب لن يوقفه..

وإنني أظن أن سبب انتشار الكتاب وشهرته هو (الفتوى) بمنعه وقتل صاحبه، لولاها لكان كتاباً محكوماً عليه بالموت..

ولقد رأيت في تونس كتاباً مصوراً لقصص القرآن، ولا أظن أن واضعه أراد الإساءة للقرآن أو لمعانيه، بل أظن أنه أراد إظهار ذلك وتيسيره لا سيما للأجيال الجديدة، ولا يصح إقامة ضجة على مسألة فكرية لا تهدف الإساءة..

الاسلام دين المستقبل

■ كيف ترى مستقبل (الإسلام) من خلال قراءاتك ومتابعاتك؟

● أظن أن الإسلام سيكون أقوى ديانة في القرن القادم، فهو ينمو بسرعة ملحوظة، وقد أصبح ثاني أكبر ديانة بعد المسيحية وأتباعه ما زالوا يتكاثرون، وهو دين يملك مقومات كثيرة قوية، ولا تنس أنه دين يمارسه أتباعه ولا يلتزمون به فكريا أو روحيا فقط.

> ■ لا يصح إطلاق مصطلح (الأصولية) البروتستانتي المنشأ على الحركات الإسلامية لاختلاف المنهج والمفهوم

■ ألا ترى أن هناك تخوف بين الشرق والغرب، فنحن هنا لا نشعر بالاطمئنان إلى كثير مما يطرحه الغربيون أو يمارسونه، ولا نرى في إعلامهم سوى الجانب السلبي تجاهنا، وهم هناك يطلقون التحذيرات تلو الأخرى من الصحوة الإسلامية.. كيف يمكن معالجة حالة الخوف المتبادل هذه؟

● بالعلم نقضي على التخوف، فالإنسان عدو ما جهل، وعلى المسلمين أن يتعلموا أكثر عن المسيحيين، ففي الغرب نتعلم كل الثقافات، تجد دراسات في الهندوسية والبوذية واليهودية والإسلام، بينما لا يوجد عندكم في الشرق سوى دراسات تتعلق بكم، فالأزهر مثلاً برنامجه التعليمي محصوراً بالدراسات الإسلامية، أنتم لا تريدون من الآخرين سوى تقدّمهم المادي، وترفضون كل ما يتعلق بفكرهم.. أليس كذلك؟

> ■ يرى (الغرب) في الصحوة الاسلامية بمختلف تياراتها دعوة صريحة (للجهاد)

■ كيف تفسر إذن ظاهرة الدراسات الاسلامية في أوروبا وأمريكا، وكثرة الطلبة المسلمين والعرب الذين يقصدون هذه المراكز التعليمية، لو كان المسلمون منغلقون لما قصدوها.

● الذين يقصدون الجامعات والمعاهد ومراكز الدراسات الغربية من العالم الإسلامي، يريدون أن يصبحوا علماء (Scholars) لأنهم يدركون أن الغرب ومنهجيته متقدمة على منهجية المدارس التقليدية لديهم كالأزهر مثلاً، فهم يسعون لاكتساب المنهجية العلمية التي تؤهلهم للبحث العلمي ذي المستوى المطلوب، خذ مثلاً الدكتور عبد الحليم محمود (شيخ الأزهر السابق) فهو خريج فرنسا.

■ أليس في ذلك دليل على رحابة الإسلام نفسه، حيث يبيح للمسلم أن يقصد الدول غير المسلمة، ويتلقى على أيدي غير المسلمين ما يتعلق بدينه؟

● تقصد القول (اطلبوا العلم ولو في الصين)؟

■ أقصد أن الإسلام لا يحول بين المسلم وبين العلم والحكمة حيث كانا، ففي بريطانيا مثلاً، تم إقفال قسم الدراسات الإسلامية عندما امتنع الطلاب المسلمون عن الالتحاق به، وجامعة اكستر لولا مساعدة دولة الإمارات لأقفلت قسمها كذلك، فمعظم طلاب الدراسات الإسلامية هناك من المسلمين، وبسببهم يتم تمويل هذه المراكز، بينما لم نسمع قسيساً واحداً جاء ليدرس المسيحية في الأزهر مثلاً..

● اسمح لي؛ هذا لن يحدث؛ نعم في العصور الوسطى كان العالم الإسلامي ذا حضارة عظيمة، وكان الغربيون يقدمون للدراسة في معاهده وجامعاته، ولكن الآن تغيّر الزمن، وتغير كل شيء، والعلماء عندكم، كما في كلية الشريعة هنا (بالكويت) لا يرون سوى الأزهر؟!

ندوة مستجدات الفكر الاسلامي والمستقبل
قفزة في الاتجاه الصحيح

كان (لندوة الفكر الإسلامي المعاصر بين البناء والهدم) آثار فكرية وعلمية كثيرة، وهي الندوة السنوية الرابعة من سلسلة ندوات (مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل) التي تقيمها وزارة الأوقاف والشوون الإسلامية بدولة الكويت، ويحضرها عدد من المفكرين والدعاة والعلماء من مختلف أنحاء العالم، يمثلون التيارات الفكرية الاسلامية المعاصرة، وفي هذه العجالة نعرض آراء بعض العلماء والمثقفين وابرز ملاحظاتهم على أدائها، وما طرح فيها من بحوث ومداخلات:

لا يصح الاقتصار على تيار فكري

أولا أبدأ بتسجيل شكري وتقديري لوزاة الأوقاف، وزيراً وإدارة لهذه الندوة، وأعتقد أن الندوة جيدة من حيث التنظيم والإدارة واختيار المواضيع المتصلة بهموم واقعية، ونحن في الحقيقة في حاجة ماسة إلى طرح مثل هذه القضايا الفكرية الهامة.

وإن كان لي من ملاحظة فهي ملاحظة هامة، أحسستها وأحس بها كثير ممن حضر، وبسبب هذه الملاحظة تحفظت على القول بأن الندوة كانت ناجحة من كل وجه، والملاحظة هي اقتصار البحوث على نمط واحد واتجاه فكري واحد يسمى – إن صحت التسمية – (الفكر المعاصر) أو فكر (أسلمة المعرفة)، وهذا نوع من الاحتكار الفكري والسيطرة تتنافى والفكر والمنهج الاسلامي الصحيح، بل يتنافى مع الفكر العصري المنفتح..

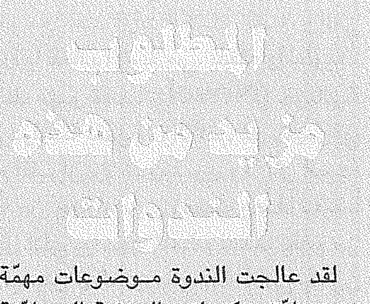
وقد ترتب على ذلك أن كثيرا من الأطروحات كانت غير مقبولة فكرا أو بعضها غير مقبول فقهاً وشرعاً، ولم يستمع الحضور إلى ورقة بحث تحمل ما يمثل الأصالة – إن صح التعبير – مقابلا للمعاصرة وترد على هذه الأفكار ولقد استمعت وقرأت في بعض الأبحاث ما هو خارق لإجماع الأمة وما هو ترديد لأقوال بعض المستشرقين وقد بليت واهترأت من كثرة الردود العلمية عليها.

وأتمنى أن تستمر هذه الندوات الفكرية الراقية فلا شك انه كان فيها فوائد وإيجابيات، وما من عمل إلا وفيه سلبيات، ونتمنى أن يتم تدارك ما ذكرت.

[د. عجيل النشمي، عميد كلية الشريعة]



د. عجيل النشمي



لقد عالجت الندوة موضوعات مهمّة وجادّة، وكانت الصفة العامّة للتعقيبات والمناقشات هادئة وعقلانية تسعى إلى الحجة والبرهان بعيداً عن التشنج والعصبية بأشكالها المتعددة، الأمر الذي يدفعنا للقول بأننا نحتاجها منذ فترة مبكرة، ونعتب على تأخرها كل هذا الوقت، مؤكدين على أهمية الحوار بين أصحاب التيارات الفكرية المختلفة بما يؤدي إلى نتائج موضوعية وتوصيات طيبة. وحبذا لو تم عقد أكثر من ندوة في هذا الاتجاه.

[د. نضال الموسوي، قسم الاجتماع كلية الآداب]

فرصة ثمينة

لقد قدمت لي ندوة مستجدات الفكر الاسلامي والمستقبل فرصة لقاءات ثمينة لتسليط الأضواء على الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية، وبخاصة تلك المتعلقة بحركات التكفير والانغلاق الفكري، وكانت ورقة معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور علي فهد الزميع استعراضا شاملا وتقييما دقيقا لمشاكل الحركات والأحزاب الدينية، ولا شك أن مساهمته هذه ستثري فعلا أي حوار حول هذا الموضوع في المستقبل، كما سيثمن المتابعون لهذه الندوة اهتمامها الخاص بقضايا المرأة وتصديها لجدار العزلة الطائفية.

[أ. خليل حيدر، كاتب وصحفي]

الهجوم على (التراث) غير مبرر

إن إقامة مثل هذه المؤتمرات الفكرية هي خطوة طيبة تثري الساحة الاسلامية بعدد من الاطروحات التي تهدف الى إصلاح أحوال المسلمين وإلحاقهم بركب الحضارة القائمة، واستعادة مجدهم السابق، ولكن يبقى لكلٍ اجتهاده ووجهة نظره في هذا الاطار، ويجب عدم تغليب وجهة نظر معينة على أعمال هذه المؤتمرات الفكرية، إلا أننا نجد في هذا المؤتمر



●د. محمد عبد الغفار

تغليب وجهة النظر القائلة بالفكر الاسلامي المعاصر، أي معاصرة المسلمين لركب الحضارة الحديثة..

وصحيح ان النية كانت خالصة لوجه الله، وان الهدف هو الاصلاح، الا انني لا أرى مبرراً لهذا الهجوم المكثف الذي شنه البعض على التراث الاسلامي، ، وكأنما هذا التراث هو سبب تخلف الامة الاسلامية، في حين نجد ان هذا التراث هو مجموعة من اجتهادات العلماء السابقين تدور حول فهم النص الشرعي، وقد لا تصلح بعض هذه الاجتهادات لهذا العصر لما طرأ من مستجدات، ولكن هذا التراث في عمومه يمثل تاريخ الامة الاسلامية، ولا توجد امة من الامم تتخلى عن تاريخها او تنبذه، بل إن نجاح أي أمة يتوقف على ربط الواقع والمستقبل بالماضي، وليس ادل على ذلك من محاولة دولة كبرى مثل امريكا ايجاد ماض لها تربط به ابناءها، فكيف بأمة لها تاريخ يمتد لأكثر من ١٤٠٠ عام؟ ونريد أن نهدم كل هذا باجتهادات فردية لا تنظر إليها إلا من زاوية واحدة، وما قرأت إلا من خلال ما يسمى (بالقراءة الانتقائية)؟

[د. محمد عبد الغفار الشريف، المدرس بكلية الشريعة بالكويت، وعضو اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق الشريعة الاسلامية]

مظاهرة اسلامية

واقع الأمر اليوم ان الفكر الإسلامي يطرح ويناقش ويفلسف في الخارج وفي الدول الغربية بصورة أرقى وأنقى وأوضح مما يطرح هنا، فليذهبوا إلى المؤتمرات التي تعقد في فرنسا وبريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية، وأنا بدوري أهنيء د. علي الزميع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية – الذي هو خريج هذه الجامعة – على هذا المؤتمر الإسلامي الرائع الذي أقامه، فهو يعتبر مظاهرة اسلامية بمعنى الكلمة.

[د. سيف عباس، رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة الكويت]

قفزة في الاتجاه الصحيح

الندوة قفزة في الاتجاه الصحيح، فقضايا الفكر الاسلامي التي تداخلت مع المفاهيم الخاطئة عن الإسلام سلبا وإيجابا، وقضايا الواقع والتخلف، والتراث السلبي والصحيح، كلها قضايا تحتاج للكثير من الحوار والاستكشاف، ولم تكتف الهيئة المنظمة بدعوة من تتفق معهم في الآراء بل دعت من المفكرين من هو المجدد ومن هو التقليدي، كما دعت المتزمت إلى جانب الدنيوي (العلماني)، وذلك لخلق جدل وحوار حول أمور الدين والدنيا.

[د. شفيق ناظم الغبرا، أستاذ العلوم السياسية بجامعة الكويت]

تعدد الآراء دليل وعافية

أقيمت في الفترة من (٩-١١ يناير ١٩٩٥م) ندوة مستجدات الفكر الإسلامي المعاصر الرابعة، بإشراف وتنظيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.. وقد شارك مجموعة كبيرة من رجال الفكر والفقه العرب ممن نقرأ لهم في الصحف والمجلات، أو الكتب التي يصدرونها.. والندوة تناولت مجموعة من الأفكار المطروحة على الساحة العربية الإسلامية، والآفاق المستقبلية لتجديد الفكر الإسلامي، وفكر التكفير، والفكر الطائفي، وموقع المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر.

وإذا أردنا أن نقيم هذه الندوات من حيث نجاحها أو فشلها، فيكفي أن نلقي نظرة على الجمهور الحاشد الذي كان يؤم هذه الندوات، فنخرج بنتيجة أن الإنسان العربي المسلم متعطش لسماع وجهات النظر الموضوعية في هذه القضايا الحساسة، خصوصا في وجود أساتذة الفكر الإسلامي. ومن هنا فإننا نناشد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الإكثار من مثل هذه الندوات، التي تطرح قضايا معاصرة، هي مثار حديث الناس، وموضع اهتمامهم. ولهذا كنت أود أن يخصص تلفاز الكويت ساعة أو أكثر من بثه يوميا، لنقل صورة حية عن هذه المناقشات، واختلاف وجهات النظر بين المشاركين فيها.. هذا الاختلاف الذي هو رحمة، بل إننا يجب أن نفتخر لتعدد الآراء في الفكر الإسلامي، لا سيما وأنه ليس وليد اليوم، بل منذ قفل باب الاجتهاد، كما أنني أود أن يتاح وقت أطول للباحثين والمعقبين على الأبحاث، والمشاركين في المناقشات.

وإذ كان في الإمكان مد أجل الندوات لتكون لمدة أسبوع – على سبيل المثال – وليس ثلاثة أيام، لأن الوقت كان يقف حائلا دون السماع لصاحب الرأي ليقول كلمته، أو يشرح وجهة نظره.. وآمل أن تراعى هذه الأمور في الندوات القادمة، وأتمنى أن يخصص موضوع واحد ليمكن إشباعه بحثا ونقاشا.. ومازلت أتعشم أن يتمكن وزير الأوقاف من إقناع زميله وزير الإعلام في بث هذه الندوات ضمن قنوات التلفاز.

والشكر كل الشكر لوزارة الأوقاف ووزيرها النشط، وجميع من أسهم في إخراج الندوة بالشكل الذي رأيناه من التنظيم، وحسن اختيار الموضوعات، ومقدرة المعدين والمعقبين.

[محمد مساعد الصالح، محام وكاتب صحفي]

جزى الله خيرا وزارة الأوقاف على دعوتي للمشاركة في ندوة مستجدات الفكر الإسلامي، التي شاركت بها للمرة الثانية منذ بدايتها قبل أربعة أعوام، ولست أنكر صعوبة مناقشة مثل هذه المواضيع المهمة والحساسة أمام جمع من المفكرين والجمهور الكبير الذي يمثل جميع التوجهات الموجودة على الساحة الإسلامية.

ولا شك أن فكرة الندوة طيبة ومتميزة وهي فتح قنوات للحوار بين جميع التوجهات الإسلامية حول القضايا المصيرية التي تهم هذه الأمة، ومحاولة الخروج بصيغة عمل مشتركة تجمع بينهم حيث يندر حدوث مثل هذا الحوار على مستوى العالم الإسلامي كله، كذلك فإن الأسلوب العلمي الذي ساد الندوة والصراحة في الطرح كانا مثار اعجاب الجمهور، وكذلك الضيوف الذين اكبروا جو الحرية في الكويت والذي لا يجدونه في بلادهم، ولا شك أن الهدف البعيد للندوة هو ترشيد التيار المعتدل للصحوة الإسلامية ومحاصرة التيارات المتطرفة والإرهابية التي لا تنمو إلا في ظل غياب العلماء والمفكرين عن الساحة الإسلامية والانزواء عن تيار المجتمع ووصمه بالكفر الإلحاد.

وفائدة هذه الندوة لا تنعكس على الكويت وحدها بل على بقية البلدان الإسلامية حيث تنظر إلى الكويت نظرة القدوة.

لكن لكل عمل سلبيات، ومن السلبيات التي أعتقد أن الندوات المقبلة يجب أن تتجنبها لتطوير العمل، أن المشاركين قد طرحوا قضايا كثيرة وناقشوها نقاشا مستفيضا، ولكن دون محاولة الوصول إلى قاعدة مشتركة، أو نظرة واحدة لها، أو اتخاذ توصيات بشأنها يستفيد منها من يأتي بعدهم. وهذا مهم جدا في جميع الندوات والمؤتمرات، حتى لا يتكرر الكلام في كل مرة دون الوصول إلى شيء.

الأمر الآخر هو أن كثيرا من المدعوين إلى الندوة كانوا من المفكرين ولم نر كثيرا من المشايخ واصحاب الفقه والعلم الذين يعتبرون منارا يقتدي به الناس، خصوصا شباب الصحوة والشارع الإسلامي، وهذا مهم كذلك لأن الهدف من هذه اللقاءات هو توجيه الصحوة والشباب وترشيدهم، لذا يجب اختيار الأكفاء والأكثر تأثيرا في هذا المجال، بل كان كثير من المشاركين من أتباع المدرسة التجديدية التي؛ وان كانت تطرح كثيرا من الأمور الحيوية التي يجب أن يتنبه لها المسلمون ويعملوا بها للنهوض بأمتهم؛ إلا أنهم اقتصروا على الجانب التنظيري دون وضع الحلول العلمية كما أن معالجتهم لبعض الأمور – كالموقف من التراث الإسلامي – يشوبها كثير من الغموض، ويفهمها كثير من الناس فهما متباينا، وقد قال لي أحد المشاركين كلمة أعجبتني في تعليقه على مناقشة قضية التراث: (الواجب هو أن نبني البيت الجديد ثم ننقل إليه الأثاث من البيت القديم، لا أن نهدم البيت القديم ثم نرى أنفسنا وقد جلسنا في العراء).



● [د. وائل الحساوي

[د. وائل الحساوي، كاتب وصحفي كويتي]

خلاف حاد ومشكلات حقيقية

إن الندوة كانت ناجحة، حيث وفرت فرصة لنقاش حر حيوي، ولم تكن هناك مجاملات بين المفكرين والباحثين، وإن كان هناك خلاف، وأحيانا يكون حادا.

فقد تم طرح مشكلات حقيقية، وليست وهمية، وقد جاءت بعد أسبوع فقط من اجتماع وزراء الداخلية العرب، والذي ناقش قضية التطرف والإرهاب، فمثلت الندوة أطروحة ثانية، وكانت معتدلة نسبيا في معالجة هذا الموضوع وقد ركزت الندوة على خيار الفكر والحوار والحجة والبرهان كأساس لمعالجة هذه المشكلة. والندوة نجحت نجاحا كبيراً وأعطت للكويت وجها من وجوهها الحيوية والفكرية ذات النقاش الحر، والمساحة التي تسمح بتداول الأفكار دون مشاكل. إن الندوة ختمت بلقاء سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح، وقد تم التحدث مع سموه عن التطرف والعنف والمصالحة العربية، وكانت في أجواء مفتوحة للنقاش والحوار، وهي لا تتوافر في الكثير من الأماكن والدول.

ولا بد للندوة من أن تأخذ وقتا للتأثير، حيث إن الافكار صناعة ليست آنية تظهر نتائجها في الوقت نفسه، ولكن بعد انتشار الافكار داخل الكويت، وخارجها في انحاء الوطن العربي والإسلامي وتداولها بين الناس ليأخذ الصحيح مكانه إلى أن تأتي أجيال جديدة تفهم الإسلام دون أن يؤدي هذا الفهم إلى أن تتحول حرب ضد مواطنيها ودون أن يؤدي الفهم إلى تمزق طائفي وسياسي كالذي نعايشه في بعض البلدان العربية.

[أ. محمد الهاشمي الحامدي، رئيس تحرير جريدة (المستقلة)]

● أ. محمد الهاشمي الحامدي

الندوات الثقافية التي دأبت الوزارة على تنظيمها على مدى الاعوام الاربعة الاخيرة كانت بمثابة النقاط المضيئة في سجل أعمال الوزارة، وجاءت لتؤكد أن للوزارة دورا بناءً في المجتمع، وأن للفكر الإسلامي دوره في معالجة المشاكل المستجدة على المجتمعات الإسلامية ، ولم تقل ندوة هذا العام – من حيث الأهمية – عن مثيلاتها في الأعوام السابقة، بل جاءت متناسقة مع الظرف والزمان. وفقكم الله لما فيه صالح هذا الدين.

[د. عادل الزايد]

تضييق الفجوة

إن الندوة كانت (عظيمة) بما حملته من جهود فكرية ورؤية مستقبلية وموضوعية متمنيا أن تكون كل الملتقيات العلمية على هذا النحو. وتضييق الفجوة عمل دائم ومستمر وان كل جهد طيب يحدث أثرا في هذا الاتجاه.

[د. محمد عمارة، الكاتب الاسلامي المعروف]

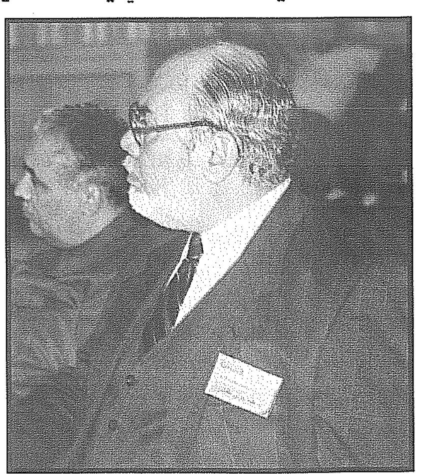
نجاح الملتقى

إن الملتقى كان جيدا وإن أي حوار فكري يجري بين المفكرين والأساتذة من مسلمين وعلماء وفقهاء يهمهم في هذه الأمة حيث من شأنه أن يقدم رؤية ويساعد في تقديم تصور جيد وهذا ما نحتاج إليه في ظروفنا الراهنة.

وليس من شأن الملتقيات أن تضيق أو توسع الفجوات، بقدر ما تطرح افكارا ويتفاعل معها بعد ذلك الكتاب والصحافيون والإعلاميون والتربويون لكي يجعلوا من الأفكار الجيدة المطروحة أمرا متداولا، يمكن أن يصل لأبناء الأمة، ويحدث شيئا فعالا بها.

وأظن أن الملتقى قد نجح في تحقيق هدفه الأساسي بإيجاد بيئة حوار بين مفكرين من مختلف المشارب والاتجاهات، ودور المفكرين الآن أن يزيدوا من ساعات العمل والجهد المطلوب لتعميق الإحساس في الأفكار الجيدة وتنميتها وتعميق الإحساس والوعي بها.

[الدكتور طه العلواني، مدير المعهد العالي للفكر الإسلامي في واشنطن]

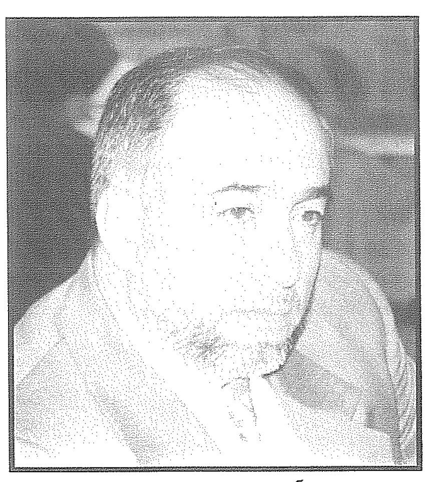


● الدكتور طه العلواني

للكويت شرف السبق

عندما دعيت لهذه الندوة أحسست أنه اجتماع لأهل الحل والعقد وأن المسائل الأساسية في المجتمع يجب أن ينبري لها العلماء ليدرسوها ويعطوا الرأي فيها. وللكويت شرف السبق في عقد هذه الندوات، وإفساح الفرصة للعلماء للبحث عن حلول، مع العلم أن تضييق الفجوة أمر ليس سهلا، حيث ان تيارات التكفير سهل عليها أن تكفر أو ترد الأدلة الشرعية.

وهذه الندوة بما حوته من موضوعات كانت مهمة جدا، وقد يكون الوقت غير كاف لبلورتها نهائيا، خصوصا موضوع التكفير ونشأته وعلاجه، وهذه القضية ربما تكون قد عولجت إلى حد ما؛ إلا أن الحوار الذي تم بشأنها لم يكن كافيا؛ لأنها تكاد تكون سلاحا يستخدمه الغرب لتدمير العالم الإسلامي، لا لأن العالم الاسلامي قوي، ولكن حتى لا يقوى يوما ما، وحتى لا يستفيق، ولذلك يضع الغربُ المشاكلَ أمامه.



● د. علي الآغا

[د. علي الآغا، رئيس قسم الدراسات العليا في جامعة الجنان بطرابلس – لبنان]

رائعة د. الزميع وكبوة أبو المجد

استمتعت كثيرا بقراءة ورقة د. الزميع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية التي قدمها في ندوة (مستجدات الفكر الإسلامي المعاصر) عندما وضع النقاط على الحروف بذكره الأسباب التي أسهمت في نشأة ونمو ظاهرة التطرف الديني، والتي كان من أبرزها:

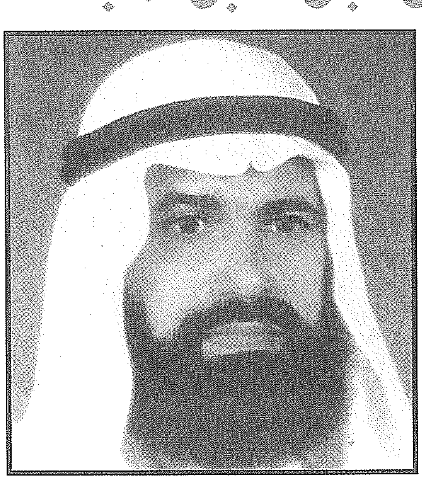
أ – الجهل بحقيقة الدين.

ب – عجز المؤسسات الدينية والرسمية وانشغالها بالقضايا الفقهية دون الاهتمام بالقضايا الاجتماعية التي تعاني منها طبقات المجتمع.

ج – ضيق قنوات الحوار، والذي ذكر فيه ضرورة نقد هذا الفكر المتطرف من خلال الحوار الذي يدور حوله ليزيل اللبس ويكشف الغموض، وبالتالي فإن من يقدم على تبنيه واعتناقه يكون على بينة، ومن يتصدى له ويحاربه يكون أيضا على بينة بحقيقته ودوافعه، فلا ينقاد شباب متحمس وراء فكر طائش بعد أن تسلط الأضواء عليه، وتكشف حقيقته. ثم ذكر الدكتور الزميع حقيقة مهمة في هذا المجال، وهي (الإجراءات الأمنية التي واجهت بعض شباب الحركات قد ولد لديهم الإحساس بالإحباط، ونمّى الشعور بالظلم، وعظم مشاعر القنوط، وأغلق أبوابا للحوار، فكان الصدام المتوقع). وفي هذا وضع د. الزميع اصبعه بجرأة على سبب رئيسي في نشوء الظاهرة، ثم ذكر الأسباب الأخرى:

– الأزمات الاقتصادية. – الشعور بالاغتراب. – تعثر التجارب القومية واليسارية.

– العوامل الخارجية.

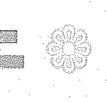


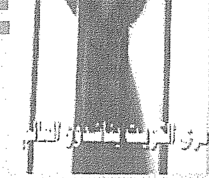
●أ. عبد الحميد البلالي

وبرغم روعة طرح وزير الأوقاف، فإن طرح مشارك آخر في الندوة وهو الدكتور كمال أبو المجد، غفر الله له، خيب الآمال بكبوة لا تليق بمقامه، ولا تتجانس مع أجواء الندوة ذات الطرح العميق، و(المعتدل) عندما بدأ حديثه بمقدمة متطرفة، ذكر فيها كراهيته للجماعة والحركات الإسلامية. ولا أدري كيف سيتقبل الخصم طرحا يقول له فيه صاحب الطرح: إنني أكرهك.

إننا نحتاج في مثل هذه الندوات إلى طرح معتدل موضوعي وحيادي يعالج مثل هذه القضية الخطيرة من جميع جوانبها من غير تشنج وتطرف في الطرح من أي مشارك.

[أ. عبد الحميد البلالي، كاتب صحفي]





مناجاة أسير

شعر: محمود عبد اللطيف قايد

متى ألقـــاك يـــا ولـــدي؟ سليم النفـس والجســـــد؟!
وتحظى العين بـــالــــرؤيـــا ويهنـــا القلب بـــالــرغـــد

غـــدا يـــومي ـــ هنـــا ـــ عـــامـــا فلم تلمس يـــداك يـــدي
ولم أسمـع دعـــــاءك في صـــلاة الفجـــر للصمـــد
ولم أهنـــــــا بمائدة خلت إشراقـــة الــولـــد

متى ألقـــاك يـــا ولـــدي؟ ذراعي أنت يـــا سنـــدي!!
كـــويتك لم يـــزل خصبـــا يـــزيل متـــاعب الصفـــد
كـــويتك نـــاظـــر أمـــلا يـــريـــدك نـــاهضـــا بغـــد

لعلّ الله يرأف بي … يزيل الملح من كبدي!!

فنار البعد تؤلمني … وليل القهر والكمد

لعل الله يجمعنا … بديرتنا على رغد

ويحيينا أوداء … بأمن ربعنا الغرد

لينشد كل أحراري … رعاك الله يا بلدي

وأهدي «جابر» جبرا … وأحيا «سعْدَ» في سعَدِ

لنحيا أسرة فُضْلى … بفضل المُنْعم الصمَدِ

وبعض الفكر يحزنني … كجمر سيق للكبد

وأقوال لمجنون … نأت عن رونق الرشد

وكيف يمين (صدام) … ولا يخشى أذى أحد؟

فلا يمنعه دين … تخلى عنه للأبد

فهل ننسى مخازيه … جبالا أرهقت جلدي؟

وكيف عدا جبابرة … على شعبي ..على بلدي؟

ذئاب بادرت زمرا … جموع الغدر والنكد!!

نسوا أنّا أعنّاهم … بأموال لنا لبد!!

حفظنا حق جيرتنا … بطبع غير مقتصد!!

عرفنا حق إخوتنا … ولم نمنن على أحد

أردّ العرف نكران … من الأشراف يا ولدي؟

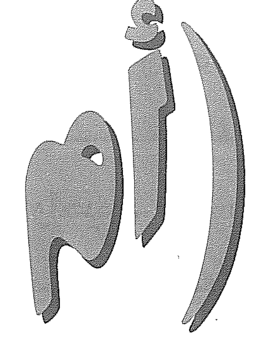
ونهب المال مغتفر … لجوعان ومفتقد

وهتك العرض لا ينسى … وبتر الرجل بعد يد

وظلم ذوي قرابتنا … حسام دق في الكبد

فكيف يقول أغرار … كفى ثوبوا إلى الرشد؟

عفا الرحمن عن خطأ … تناسوا وقدة الحرد



ما حدث أثناء غزو الكويت من جرائم تكشف عن سلوكيات لا تتفق ومواصفات العرب والمسلمين

رسالة إلى بطل (أم المعارك)

تخيل الكاتب أنه أحد الأسرى الكويتيين - في حرب الخليج الثانية - الذين ما زالوا محجوزين حتى الآن في سجون النظام العراقي فكتب يقول:

بطل (أم المعارك).. صدام.. العرب والمسلمين.. بعد السلام.. الذي لا تعرفه طبيعتك (البشرية) العدوانية.. أبدأ حديثي معك..

فقد ترددت كثيرا في الكتابة إليك - آسف لفخامتكم - ففي القلب الكثير، وفي العقل أكثر.. الكثير من الحزن والهم والغم يملأ القلب، والأكثر منه، ذلك الكم الهائل من علامات الاستفهام التي يبحث العقل عن إجابة لها، فلا يجد سوى تحليلات وتبريرات يعجز العقل عن ترجيح إياها. ولذلك سأفتح لك قلبي وعقلي وأتحدث إليك بدون التفرقة بين ما يملأ القلب

بقلم: د. محمود صالح العادلي

من آلام، وما يملأ العقل من فكر مشتت، بين ما تعلمناه وعرفناه عن العروبة والإسلام، وما حدث منذ الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م، وحتى الآن.

هل أبدأ حديثي - معكم - عما تركته حرب الخليج الثانية - والتي نأمل أن تكون الأخيرة - من جروح غائرة في وجدان العرب والمسلمين. ولا شك في أن هذه الجروح سيتكفل ببحثها والكتابة عنها المؤرخون في مؤلفاتهم ودراساتهم في سنوات قادمة. ولكن يكفيني - هنا - أن أذكر فخامتكم بأن المؤرخين لن يجدوا لهذه الجروح مكانا، إلا في (أسود) صفحات التاريخ.. العربي والإسلامي، بل قل - إن شئت - التاريخ الإنساني.

وحوش البشر

أما المحللون فسيجدون أنفسهم حيارى، أمام نوعية من البشر.. وصلت إلى درجات دنيا في الوحشية، ودرجات دنيا في التفكير والتعقل، ودرجات دنيا في التعصب والتعنت. مما دفعهم دفعا إلى ارتكاب جرائم يشيب لهولها الولدان، ويقشعر منها الوجدان. جرائم آذت الصغير قبل الكبير، والنساء قبل الرجال. فالأطفال ثقبت جماجمهم بالرصاص، والكبار فقئت عيونهم، ونشرت أطرافهم، وهم أحياء بالمناشير، والنساء - حتى العجائز منهن - اغتصبن، والجميع - الصغار والكبار، النساء والرجال - نقعوا في



● من بصمات الاحتلال العراقي للكويت

أحواض أحماض كاوية.

وإذا حاول الباحثون أن يفسروا سر ذلك، فلن يتفقوا على شيء: فقد يرى البعض أن السر يكمن في أن (الجاني) شقيق (للمجني عليه) في العروبة والإسلام، وأراد – أي الجاني بوصفه الشقيق الأكبر، والأضخم، والأقوى – أن يؤدب شقيقه الأصغر، لأنه منع عنه (المصروف)، أو لم يستطع أن يجاريه في طلباته غير المعقولة.

وقد يرى البعض الآخر أن السر يختبىء وراء ضعف النفس البشرية، التي لا تشبع من أي شيء. فصحيح أن المجني عليه كان كريما مع الجاني إلى حد كبير، ولكن لماذا لا يستولي الجاني على خزائن المال – المملوكة للمجني عليه – دون أن يرهق (الجاني) نفسه في طلب (عطاء) من الشقيق، ودون أن يضع نفسه في موضع المستجدي اللحوح، الذي (ألح) كثيرا في السؤال، ولم يشبعه أي (عطاء)!!

وقد يرى البعض أن السر يستتر وراء (التخلص من جيش بلغ المليون)، مما جعله يشكل تهديدا صارخاً لـ (كرسي الحكم). فلم يكن ثمة مفر من إلهاء هذا الجيش بـ (حرب جديدة)، وإلهاء الشعب بـ (مشروع قومي جديد) هو إضافة رقعة أرض (جديدة) ثرية بالذهب الأسود لأراضي الجاني.

تفسير لا مبرر له

ولكن هذا التفسير – الأخير – يعيبه أن الحرب الجديدة كانت ضد شقيق في (العروبة) و(الإسلام) ولم تكن ضد (عدو) للعروبة ولا (للإسلام) فالأخذ بهذا التفسير (يمحو) كل ما سطرته الأقلام من كتابات تبحث عن روابط العروبة والإسلام من الخليج إلى المحيط، ودوافع وحدة الصف العربي، وضرورة قيام كيان عربي وحدوي يحقق أهداف العروبة والإسلام، ويقضي على الرواسب التي خلفها الاستعمار. كما أن انتصار هذا التفسير الأخير يمحو كل ما ارتفعت به – إلى عنان السماء – الحناجر في الخطب المنبرية التي تشدق بها أبناء – بل وزعماء – العروبة والإسلام، على مر التاريخ، القديم منه والحديث. فقد أرهقت الحناجر في التغني بالعروبة و(القومية العربية)، وبـ(الإسلام) كرابطة توطد هذه القومية.

ولكنك يا سيادة الرئيس لم تشأ أن تترك الباحثين والمؤرخين حيارى، حيث طرحت على بساط الفكر العربي (نظرية عسكرية تكتيكية جديدة) فسرت بها – تفسيرا ألمعيا – سر غزوك للكويت، حيث أوضحت أن (التكتيك العسكري) يتطلب، لكي نحارب (عدو العرب) إسرائيل، أن نمر – أولاً – على الكويت، تطبيقا لنظرية (اضرب القريب.. يخاف البعيد)..

وهذه النظرية (العسكرية التكتيكية)، لم يفهمها – للأسف – عقل حتى الآن، وسمعت – وأنا في معتقلاتك المخصصة للأسرى الكويتيين – أن هذه النظرية لم تقنع العالم، بل إنها لا تقنع طفلا صغيراً.. وبمناسبة العسكرية، لا أعرف حتى الآن مؤهلاتك العسكرية، إذ يقال – والعهدة على الراوي – إنك لم تحصل على أي مؤهل عسكري، لذا تأتي أفكارك العسكرية، بعيدة – كل البعد عن كافة العلوم العسكرية، فهي أقرب إلى فنون البلطجة..

غزو الكويت كان عملية إلهاء لجيش بات يشكل تهديداً لكرسي الحكم

أطفال الكويت وصدمة الغزو

هل أحدثك – فخامة الرئيس – عن الآثار النفسية للغزو العراقي للكويت؟

لا مراء في أن ذلك سيشغل أذهان المختصين في الدراسات الاجتماعية والنفسية. ولكن يكفيني – هنا، لضيق المقام، واحتراما لوقت فخامتكم – أن أشير إلى أن هذه الآثار ستظل صدمتها في نفوس كل الكويتيين، بل كل العرب.

ولكن أكثر من تأثر – بهذا الغزو العدواني الغريب على الفكر الإنساني – هؤلاء الأطفال الكويتيون الذين تفتحت عيونهم في صباح يوم أسود في تاريخ البشرية، ألا وهو – كما تعلم سيادة الرئيس – يوم الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م – على رعب بشري ضد ذويهم، وضد أراضيهم، وضد أعراضهم. ومر الغزو، وجاء النصر، واستردت الأرض.. ولكن بقيت محفورة في الذاكرة.. ذاكرة هؤلاء الأطفال.. آثار هذا الغزو الغاشم.. آثار المناظر المرعبة التي كتب عليهم أن يشاهدوها دون ذنب اقترفوه – هم وذويهم – إلا ذنب (الجوار) بجانب بلد شقيق – في العروبة والإسلام – قدر له، أن يتولى زمام السلطة فيه – ولا تؤاخذني – (إنسان).. غريب الأطوار.. غريب التصرفات.. بلغ حبه للسلطة وصولجان السلطة.. كل مبلغ حتى هانت أمام هذا الحب علاقة المصاهرة فقتل (الصهر).. (في حادث مؤلم).. وهانت أمام هذا الحب.. علاقة (الجوار).. فأردت أن تبتلع (ثروة البلد الشقيق).. تحت ستار من الإسلام.. والإسلام من هذا التصرف بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب.. ولكنك – يا فخامة القائد – هدفت بفعلتك هذه (تدعيم سلطانك) في الشرق الأوسط.. وفي الخليج العربي.

وعلى كل حال، لم تكن هذه المناظر المرعبة، هي المؤثر الوحيد في نفسية أطفال الكويت، بل يضاف إلى ذلك، أثر استشهاد: القريب.. والصديق.. والأب.. والأم.. والأخ، وما له من أثر.. لن يمحوه الزمن.. مهما طال.

أخي في العروبة والإسلام.. أبو عدي.. الذي تمهد له الطريق لخلافتك.. في حكم (الجمهورية العراقية).. يمكنك أن تساهم في إعادة البسمة، في عيون أطفال أبرياء.. هم أبناء الأسرى الكويتيين – ومحدثك، أحد هؤلاء الأسرى – يمكن أن تسعد بعض الشيء قلوبا كثيرة.. قلوبا ما زالت تهفو نحو.. عودة عزيز لديها.. أغلقت أنت.. دونه.. أبواب الأسر.

السجون تشهد

وأعدك – بوصفي أسيرا – أنني سأساهم في إعادة هذه البسمة.. فلن أحدثهم عن البشاعة.. والوحشية.. التي شهدتها في سجونك.. سجن (أبو غريب).. ومعتقل الرضوانية، والراشدية، وسجون تكريت، وبيجي، ومعتقل المشاتل،

رسالة الى بطل (أم المعارك)

وسجون البصرة، وزنزانات بغداد الانفرادية، وفي مبنى المخابرات العامة في منطقة الأعظمية في بغداد.

نعم لن أزيد ما بأهلي من آلام نفسية، بحديثي معهم عن التعذيب الذي مارسه عسكرك الغازي في لحوم إخواني الأسرى، ولا ما حدث لي من كسور في عظامي نتيجة المعاملة غير الكريمة التي قوبلت بها في معسكر اعتقالي.. الذي تغير أكثر من مرة، فقد كان في بادىء الأمر في الكويت في المعتقل الذي استحدثه جندك إبان الغزو في (مشاتل العمرية) في وطني الحبيب الكويت، حيث حول عسكرك المزارع النموذجية المملوكة لهيئة الزراعة والثروة السمكية (الكويتية) إلى معتقل..

وكان جندك يقولون لنا - نحن الأسرى - نحن سنأكلهم كما يأكل السمك الكبير السمك الصغير.. لن أحدثهم عن التعذيب الذي شهدته في هذا المعتقل، خاصة تعذيب النساء.. الذي لم يكن له أي مبرر إلا مبرر (العقد النفسية) التي تحتاج إلى مجلدات لتفسيرها.. لأنه إذا كان تعذيبي.. وتعذيب إخواني من الأسرى الرجال له ما يبرره.. من أنكم كنتم تريدون الحصول على معلومات تفيدكم في (أم المهالك) - معذرة - أقصد (أم المعارك)، فتعذيب النساء ليس له مبرر على الإطلاق.. بل إنه.. يتناقض مع ما هو معروف عن العرب من شهامة..

وبمناسبة العرب.. أود أن أقول لك - يا فخامة القائد - إن ما حدث من غزوك للكويت.. بجيشك الجرار.. وما كشف عنه من سلوكيات.. لا يتفق مع الكثير من صفات العرب المعروفة مثل الشجاعة.. ومناصرة القريب والصديق وغير ذلك.. إذ لم تكن شجاعة منك - ولا تؤاخذني - أن تسطو على الكويت ليلاً كاللصوص.. وتسرق (الأخ) والصديق.. فلا مناصرة.. بل (مناصبة) - ومعذرة لكل اللغويين فقد - أقصد أنك فخامة القائد المغوار - (نصبت) على العرب جميعهم.. وخدعت حكماء العرب.. وأغريت - بالوعد - سفهاءهم، خدعت - من خدعت - حينما قلت: إنك لن تحارب الكويت.. وأغريت - من أغريت - حينما وعدت بأنك ستقتسم الغنائم معهم.

لقد صدمت العرب حقا وصدمت المسلمين فعلا.. صدمت العرب بخديعتك.. لرؤسائهم وزعمائهم.. حينما قلت - وقولك الباطل - إنك لن تقْدم على عمليات عسكرية ضد الكويت.. ولكنك أقدمت.

وصدمت العرب.. حينما (أوهمتهم) بأنك تعد العدة لتحرير (فلسطين العربية).. فزاغ بصرك على وطني الحبيب (الكويت العربية).. فأقدمت على فعلتك.. التي لا أجد لها وصفا سوى أنها فعلة غير إنسانية.. بكل معاني الإنسانية.. وصدمت المسلمين - أيضاً - حينما تذرعت بحجج إسلامية.. لتبرير غزوك الكويت..

حجج يعلم الله أنها مجرد غطاء (ديني).. لـ (مطب) سياسي.. وقعت أنت فيه.. فبحثت عن (عمامة الدين) لترتديها.. ونسيت أنك.. كنت بالأمس القريب.. تحارب دولة إسلامية - أيضاً - لا.. لشيء.. إلا لإلهاء شعبك وجيشك.. عن تجاوزاتك.. وعن أرصدتك في البنوك الأجنبية.. وعن - معذرة إن كنت صريحاً معك - جرائمك الداخلية.. والتي أتذكرها.. كلما تذكرت وجه صديق لي عراقي..

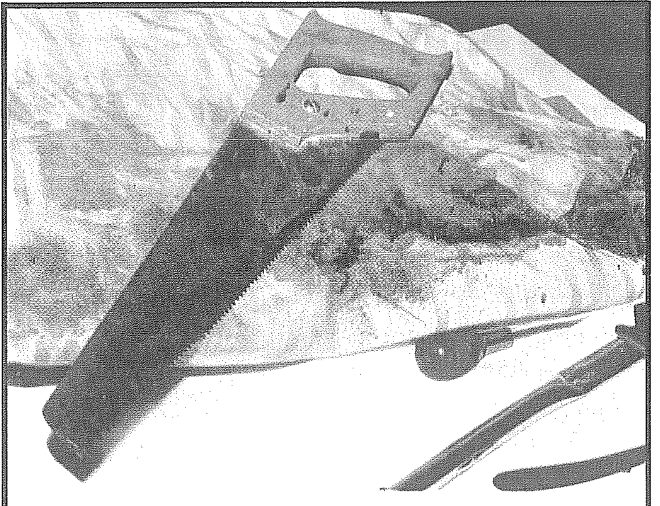
في العراق لا يوجد لقب وزير سابق فالوزير إما في الحكم أو مدفون في باطن الأرض

كان يقول لي: (نحن نتعجب من أن يكون في بلد عربي لقب (وزير سابق) لأننا في العراق.. لا يوجد هذا اللقب.. لأن عندنا - أي في العراق - إما وزير في الحكم.. وإما مرحوم في القرافة - فكل من يترك الوزارة.. يتوفى إلى رحمة الله)..

هذا.. غيض من فيض.. عن جرائمك الداخلية.. التي لا نريد أن نتدخل فيها.. المهم أنك بعد أن ألهيت شعبك وجيشك في حرب ضروس.. فاجأت العالم.. بأن تنازلت عن.. كل ما كنت حصلت عليه.. وكل ما كنت تتمنى الحصول عليه.. من حربك مع (إيران).

فباسم (الإسلام) حاربت شقيقتك المسلمة (إيران).. وباسم الإسلام.. غزوت شقيقتك العربية المسلمة (الكويت).. وطني الحبيب.. والإسلام - في كافة الأحوال - منك بريء.. براءة الذئب من دم ابن يعقوب.. ومع ذلك. فإنني أستحلفك باسم (العروبة).. وباسم (الإسلام).. أن تبادر.. بمبادرة.. طيبة.. قد تغفر لك.. بعض خطاياك في حق العروبة.. وفي حق الإسلام.. هذه المبادرة هي: فك أسر الأسرى الكويتيين - الذين يخاطبك الآن أحدهم - وأرجو ألا تصدم العرب.. والمسلمين مرة أخرى.. بإصرارك على الاحتفاظ بالأسرى - كـ (ورقة سياسية).. تلعب بها.. فالأسرى.. لا ذنب لهم ولا جريرة.. في شطحاتك السياسية.. التي لم تفلح.. ولن تفلح.. في إدخالك التاريخ.. كـ (قائد للعروبة.. والإسلام).. إلا من الأبواب الخلفية.. وبوصفك (أكبر معول هدم) لكيان العروبة.. ولـ(صرح الإسلام)..

والسلام على من اتبع.. أخلاق العرب الكريمة.. والتزم بتعاليم الإسلام.



● بعض آلات التعذيب

انتقال الحضارات

د. محمد عبد المنعم خفاجي

ورثت الحضارة الإسلامية كل الحضارات السابقة وزادت عليها بعدا رساليا لم تعرفه الحضارات الوثنية كالفارسية واليونانية

الحضارات العالمية القديمة، كالحضارة الفارسية والإغريقية والرومانية والمصرية والصينية وسواها من مختلف الحضارات العالمية البائدة، قد مثلت دورها على مسرح الحياة في فترة من فترات عصور التاريخ، ثم انتهت كأن لم تكن الأمس.

وورثتها الحضارة الإسلامية التي ازدهرت في بغداد والقاهرة ودمشق وقرطبة والقيروان وأصفهان وجرجان وبخارى وسمرقند وغيرها من عواصم العالم الإسلامي الممتد من الصين شرقا إلى بحر الظلمات غربـاً (أو المحيط الأطلسي)، ومن أوروبا شمالا إلى أواسط قارة أفريقية جنوبا، وكانت هذه العواصم الإسلامية تسبح في نور العلم والمعرفة والتقدم والمدنية، وفي ظلال الأمن والرخاء والرفاهية والسلام.

حضارة متميزة

حضارة شريفة نجمت من أصول شريفة، وقام عليها دولة جمعت كل أصول التقدم في السياسة والفكرة والاجتماع والاقتصاد وكل جوانب الحياة الرفيعة، وشهد لها العلماء والمفكرون والمشرعون في كل عصر وكل جيل. حضارة أعزت الدنيا، ودوت بذكرها الآفاق، وعاش فيها الناس أحرارا مكرمين، ينعمون بشتى ألوان السعادة والثراء والرخاء والتقدم. وكانت أوروبا تنظر إليها، وتذهل لهذا التفوق الحضاري الفريد، ويصيح شاعر كبير مثل (بترارك) الشاعر الإيطالي في العصور الوسطى في مدينة روما قائلا: (ياللـه، لقد تفوقنا على كل الأمم إلا العرب الذين أذلونا بحضارتهم، فيا للخزي ويا للألم).

وجاء دور أوروبا الجاهلة الظامئة المجردة من كل شيء، فنهلت من حضارة العرب وعلومهم وثقافاتهم حتى استطاعت أن تقوم على أقدامها، ثم استطاعت أن تملك زمام المبادرة، وتأخذ العنان بيدين من العرب، وأن تنشئ لها حضارة جديدة تخالف الحضارات الأخرى، ولا تتفوق على حضارة الإسلام في الروحانيات، بل في الماديات وحدها.

تقول (هونكة) المستشرقة الألمانية في كتابها [شمس العرب تسطع على الغرب]: (كل موجة علم أو معرفة قدمت لأوروبا كان مصدرها البلدان الإسلامية) [شمس العرب ٤١].

ويقول غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) (حضارة أوروبا مدينة للعرب بحضارتهم، فالعرب هم الذين فتحوا لها ما كانت تجهله من المعارف الفلسفية والعلمية والأدبية، فكانوا دائنين للغرب وأئمة له في ستة قرون. وعن طريقهم اهتدى الغرب إلى تراث الإغريق، وكشف ماضيه فأخذوا يبحثون عنه).

إن الأصول العلمية والفكرية لحضارة الإسلام وللفكر الإسلامي قد أخذها الغرب وصاغ منها حضارته التي هي صدى كبيراً للحضارة الإسلامية فقد سرقت أوروبا على غفلة منا، كنوزنا ومواريثنا الثقافية والحضارية، مثلما سرقت كذلك إمبراطورية المسلمين الممتدة في كل مكان، وأقامت على كل هذه الأسس حضارتها الماثلة اليوم.

غروب الحضارة الغربية

ولكن حضارة الغرب اليوم قد نال منها الهرم، ودبت فيها الشيخوخة، وأخذت تقترب من حافة الفناء، يقول (بول فاليري) شاعر فرنسا الكبير: (فرنسا وإنجلترا وروسيا، وألمانيا، ويالها من أسماء كانت جميلة كما كانت أسماء نينوي وبابل وعيلام جد جميلة، ولحاق هذه الأسماء الراهنة بأسماء الأمس الغابر لم يعد شيئا مستعصيا على الإدارك).

يقول (فولتي) من كبار رجال الفكر الأوروبي: (ماذا أصاب تلك البدائع الراهنة التي حققتها يد الإنسان.

أين هي حصون نينوي وجدران بابل؟ ومن يدري؟ لعل مسافرا في المستقبل يجد نفسه عند شواطىء السين والتايمز يجلس باكيا على بقايا الفتات الذي تحولت إليه معالم الحضارة حول هذه الأنهار).

ويعجب: (دنيس دورجمون) من العدد الذي يتضاعف بصورة مستمرة من الأوروبيين الذاهبين إلى انهيار الحضارة الغربية، ومن المتنبئين الذين يفضلون الحديث عن كشوفها.

ويقول إقبال شاعر الإسلام: (مثلت حضارة الغرب دورها، وقد شاخت وهرمت أينعت كالفاكهة وحان قطافها، ولسوف تتمخض الإنسانية عن عالم جديد، وهذا العالم لا يحسن تصميمه إلاّ من بني للبشرية البيت الحرام، وَوَرَّثَ محمداً وإبراهيم قيادة العالم).

ورأي إقبال يكاد يكون تفسيرا للآية الكريمة: ﴿حتّى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأنّ لم تغن بالأمس﴾ [يونس:٢٤]، فالمعنى على هذا هو فناء حضارة عجيبة من حضارات الحياة الدنيا، كانت قد بلغت غاية نمائها وازدهارها، بأمر الله وقدرته، وفي لحظة من ليل أو نهار زالت وانتهت.

وما يقوله إقبال يقوله مفكرو العالم وفلاسفته في كل لحظة، ونحن نعلم أن ميزان القوة في العالم متغير أبدا، وعلى امتداد التاريخ.

ولكني أقول كما قال بعض المفكرين: إنه لن تجد الإنسانية يوم تتهاوى حضارة الغرب عقيدة تؤمن بها، وتؤمّن بها مصيرها، إلا الإسلام،

فالإسلام وحده والإيمان به، سوف يكونان ضرورة بشرية، لأن ذلك هو مسيرة الحياة والتاريخ، وحتمية انتصار الحضارة، وهو العلاج الوحيد لكل مشكلات العالم، وهو النتيجة الأخيرة لقدرة الإنسان على مواجهة

التحديات التي يتحداه بها عصره وقدره.

ويومئذ سيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق الإسلامي عودا على بدء: من المنطقة التي قامت فيها الحضارة الإسلامية، وستثبت يومئذ هذه المنطقة وجودها، وستقلب موازين القوى، لأن قوة الإسلام وحضارته قائمة على أسس لا تتوافر في غيرها من تيارات القوى العالمية. وقد أدرك مفكر إنجليزي ذلك حيث كتب يقول: (لا يساورني شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين، وتتماسك أطرافها تماسكا قويا، وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام، لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب، بل ستكون أيضا خطرا على أعدائه) [باول شمتز في كتابه الإسلام قوة الغد العالمية]. كما يقول: (إن قوة القرآن في جمع شمل المسلمين لم يصبها الوهن).

إن سفينة العالم التي قد أصابها الخور اليوم سوف تجد في الإسلام المرفأ الأمين الذي يتقدم بالفعل سفينة الحضارة العالمية، وهذا ما كان يقوله مستشرق مثل عبدالكريم جرمانوس، وما يقوله اليوم (روجيه جارودي) الذي نادى بحتمية الرجوع إلى الإسلام لإنقاذ الإنسانية من المصير المهلك. إن حضارة الإسلام هي ولا ريب حضارة المستقبل□



بقلم: عاطف شحاته زهران

بدأت في مدينة (بولتيمور) ثورة ضد الملصقات والإعلانات واللوحات التجارية للخمور. قالت شركات الإعلانات: إن حرية الرأي التي يكفلها الدستور الأمريكي تسمح لهم بوضع أية إعلانات يريدون.

لكن جمعيات خيرية وأخرى لحماية الأطفال قالت: إن الإعلانات تشجع الأطفال على شرب الخمور وبخاصة وأن عددا كبيرا من هذه الإعلانات يوضع في الأحياء الفقيرة التي بها أطفال السود الفقراء. وزار مندوب جريدة «بولتيمور صن» المنطقة، وقال: إن الإعلانات مغرية وإنها تكتب شعارات مثل: الحياة الممتعة، وأحسن ما في الحياة، وهلموا نحو الإثارة، وحانت ساعة البهجة، ووجد في أحد أحياء المدينة الفقيرة أكثر من ألف لوحة إعلانية (١).

إن قراءة هذا الخبر تعطي الكثير من الدلالات في هذا الموضوع من تركز الإعلانات والاهتمام بمناطق وطبقات معينة إلى يقظة الناس لخطر هذه الإعلانات وتحركهم ضدها، والألفاظ الخادعة التي اختيرت للحملة الإعلانية إلى غير ذلك من الدلالات.

إعلانات بيع الوهم والإثارة

للإعلان. إنه أحد مهام وسائل الإعلام بلا شك وعليه تعتمد في تغطية جزء كبير من نفقاتها الباهظة، والمعلن يهدف إلى بلوغ أكبر عدد ممكن من مستخدمي السلعة أو مستهلكيها المرتقبين بأقل التكاليف، والمستهلك بحاجة لمعرفة الجديد من احتياجاته. وبذا يصبح الإعلان مادة

أوهام الإعلان

فإذا ما اتجهنا شرقا لنعايش الإعلان الموجه لنا لرأينا العجب العجاب من إعلانات تهتم ببيع الوهم لجمهورها العريض. فهذا (شاي السعادة) وهذا نوع من الزيوت النباتية يعيد للمرأة حب زوجها (النخلتين الحب في أكلتين) وهذا (صابون الأناقة والجمال) وتلك (جبنة الأبطال الأقوياء) وهذا نوع من السجائر يساعد على «التفكير الجازم والتخطيط الحازم» وهذا إعلان تلفزيوني يقدم امرأة سافرة تعانق زوجها وتبدو عليها علامات السعادة والرضا بعد عودته إلى منزله ثم لا تلبث ان تكشف عن سر سعادتها فإذا به نوع من المناديل الورقية.

إلى غير ذلك من الإعلانات التي تعمل على خداع أكبر عدد لتفضيل منتج على غيره معتمدة على التكرار والاستمرار فترة تضمن نجاح الحملة، وتتخير صيغا سهلة وعبارات جذابة وخفيفة يسهل حفظها وترديدها، وبذا يصير الجمهور من حيث لا يدري عاملا هاما في الدعاية حيث تسمع وترى الأطفال والشباب يرددون هذه العبارات في الشوارع وفي البيوت كما شاهدوها وبذلك ترسخ في عقولهم مفاهيم وقيم الإعلانات. ولا تعجب إذا رأيت منهم من يعتقد أن للشاي علاقة بالسعادة واعتدال المزاج، أو رأيت بعض بناتنا يعتقدن بضرورة استخدام نوع معين من الصابون والكريمات للمحافظة على جمالهن.

إن تركيز الإعلانات وتكرارها قد يستمر إلى حد السأم منها. يقول أحد رجال وكالات الإعلان: أنه عندما يبدأ الملل من الإعلان فاعلم أن الإعلان قد بدأ يؤثر في الجمهور (٢).

انتقادات وجهت إلى الإعلان

منذ وجد الإعلان مساحة على خريطة وسائل الاتصال الجماهيرية وجهت إليه انتقادات كثيرة وظهرت الدراسات تكشف عن آثار سيئة يمكن أن تنجم عن الاستخدام السيء

ضرورية لا يستغني عنها أحد أطراف العملية الاتصالية ولا يماري في ذلك أحد، والمهم هو الأسلوب الأمثل للإعلان وطريقة عرضه، فهناك حدود للمعلن ينبغي ألا يتعداها وأمانة يجب أن يصونها، وأمن المجتمع وسلامته أولى من أي كسب مادي، ولكن صنفا من المعلنين تجاوزوا كل حد، وأهملوا كل قيمة، من أجل ذلك وجهت للإعلان انتقادات عديدة.

منها:

١ – انه يقنع الجمهور بشراء سلع وخدمات ليس في مقدوره شراءها بالاقناع، أي تجعل الأفراد غير قادرين على ممارسة الضبط الذاتي.

٢ – انه يقنع الجمهور من خلال مخاطبة عواطفه أكثر من عقله ويخاطب الدوافع والحاجات ويتلاعب بالعواطف والانفعالات التي يصعب التحكم فيها.

٣ – إن معظم الإعلانات تحتوي على ادعاءات مبالغ فيها وفي بعض الأحيان على معلومات كاذبة ومضللة.

٤ – إن الإعلان عن السلع الاستهلاكية بدءا من منتجات التجميل إلى وسائل الديكور والأثاث والتكييف. إلخ. يسهم بشكل خطير في زيادة الاستهلاك ويخلق مناخا نفسيا محبطا وأليما للذين لا يمكنهم الحصول عليها.

٥ – تستخدم الإعلانات أساليب بعيدة عن الذوق السليم وقد تتجاوز أية قيود أو قيم وتتسم أحيانا بأنها هابطة مبالغة تثير أهواء الفرد وغرائزه.

الإعلام وحراسة القيم

ولا مناص من احترام قيم المجتمع وسلامته وأن تصبح المسألة الأخلاقية قبل أي شيء فتحلل بعض المعلنين من الدين والأخلاق جعل كل شيء عندهم مباحا.

فانهيار الأخلاق ينذر بعواقب وخيمة وساعتها قد يكونون أول من دفع الثمن. ولليهود باع عريض في نشر الفساد والإفساد بكل سبيل. فتنظيمات البغاء وتوزيع المخدرات ونشر المطبوعات القذرة يسيطر عليها ويديرها اليهود. ومعظم دعاة الإلحاد وهدم الأديان يهود ويرجع ذلك لنظرية عندهم تقول: «أفسدوا الآخرين ليضعفوا في صراعهم معكم. زلزلوا أركان الإسلام والنصرانية لتثبيت أقدام الموسوية. إنهم أكثر منا عددا وأعز نفرا ولا سبيل لنا للثبات أمامهم ثم الانتصار عليهم إلا بإفسادهم من الداخل»(٣).

لقد اعترف بعض رجال الإعلان والعلاقات العامة في مذكراتهم أنهم كانوا يقومون بعمل يكرهونه من أجل الحصول على مال لا يستحقونه لشراء أشياء لا يحتاجون إليها للتأثير على أشخاص لا يحبونهم(٤).

ولقد حث الدين على حماية الأخلاق من كل ما يخل بها فهي سياج الأمان لأي مجتمع وإذا اختلت لن نجني إلا مرّ الثمار، ومسؤولية أجهزة الإعلام. حراستها والحض عليها ما وسعها ولكنها أحيانا تخضع لرغبات المعلنين وتغفل هذه المهمة شيئا فشيئا حتى أمست في أحيان كثير مصدر خطر على الأخلاق.

لقد أصبح التلفزيون في معظم الدول مجرد حزام ناقل لإنتاج فني ضعيف هابط ،تتخلله إعلانات جذابة ومثيرة للغرائز. وقد يظن البعض أن الناس لا يأخذون هذه المواد مأخذ الجد وإنما ينظرون إليها على أنها مجرد تسلية أو ضياع للوقت، ولكن علماء النفس يؤكدون على أن ما لا يأخذه الناس مأخذ الجد هو الذي يؤثر فيهم أبلغ الأثر. فليس الترفيه «التلفزيوني» بأمر ثانوي يمكن أن نهمله أو نهوّن من شأنه فمثله مثل الماء والنار له جاذبيته وسحره لأنه يتحرك ويؤثر ويسحر ويخلب الألباب (٥).

ولن يعجز المعلنون عن اختيار صيغ إعلانية تتجنب إيذاء الجماهير ولا تمس أمنهم وسلامتهم ولاتثير الشهوات ولاتسيء إلى الذوق العام ولا تستغل المرأة استغلالا شائنا في مناظر بعيدة عن الحياء. فكم خلفت تلك المناظر من حسرات!

وأي عمل إنساني لا يخدم أو يلائم أي فطرة إنسانية نقية ضرب من العبث والسفسطة والبطالة الفكرية فأولى بالقائمين على أجهزة الإعلام معالجة أدواء المجتمع الأخلاقية وتصدعاته النفسية بدلا من تلقين الأجيال المهيجات الجنسية وبذر الخيالات المكذوبة في كوامن أمة الإسلام(٦).

احتجت جمعيات أمريكية على إعلانات تشجع الأطفال على شرب الخمور، خاصة وأن عددا كبيرا من هذه الإعلانات يوضع في الأحياء الفقيرة المزدحمة بالأطفال

مسؤولية الجمهور

الجمهور هو الغاية التي تخطب أجهزة الإعلام وده وترجو رضاه. فهي تخاطبه وتسعى إليه حيث كان، وتستخدم كل معطيات العصر وتقنياته في جذب الكم الكثير منه، وإليه تتوجه الحملات الإعلانية التي تدر عليها أرباحا هائلة ويجب أن يتيقظ الحس الديني لديه ليعي ما

يلقى إليه من سم خفي في صور براقة وأساليب خادعة. وعليه أن يتحرك ليقول كلمته فيما يعرض عليه فلن يعذره الله إن تخلى عن إنكار المنكر، والسبل كثيرة ليس منها طبعا اختيار موقف سلبي والرضا بما هو كائن. فهو الأرض الخصبة التي تنثر فيها تلك البذور بحلوها ومرها، وعليه بكل طوائفه وتخصصاته أن يجابه المادة الرديئة التي تعرض عليه.

فهناك رسائل المستمعين والمشاهدين والقراء التي تحمل آراءهم أو اعتراضاتهم أحيانا وصفحات الرأي والبريد في الصحافة، ويمكن رفع الأمر لأولي الاختصاص، والمساهمة الجادة في ندوات المستمعين وبحوث الرأي العام التي تجري بين الحين والآخر لاستطلاع الآراء فيما تبثه وسائل الإعلام، وهناك الدراسات والبحوث وهؤلاء يجب عليهم أن يدقوا أجراس الخطر كلما بدت في الأفق ظاهرة يمكن أن تؤثر على المجتمع وأخلاقه، ولا تظنن أن صوتك سيضيع أو أنك تصيح في واد.

تعمل بعض الإعلانات على خداع أكبر عدد لتفضيل منتج على غيره معتمدة على التكرار والاستمرار فترة تضمن نجاح الحملة، وتتخير صيغا سهلة وعبارات جذابة وخفيفة يسهل حفظها وترديدها

فلن تصمد هذه القنوات أمام غضبة الجماهير عامة ولن تطيق ذلك وسكوت الناس على ذلك إنما يترجم على أنه دليل رضاهم بما يعرض عليهم.

إن الإعلام هو الهواء الذي نتنشقه يوميا وفي كل لحظة وهذا الهواء ملوث جدا الآن ويجب تنظيفه إما أن نترك عملية التلوث تتضاعف تحت مظلة الحرية فذلك أمر انتحاري لأن الحرية هنا تعني حرية التلويث وليست حرية الإعلام(٧).

عليك أن تؤدي دورك وتبلغ رأيك. وهناك مسؤولية أخرى على جانب كبير من الأهمية هي الإعراض عن كل لغو وعبث كما علّمنا ديننا الحنيف.

فقد وصف الله سبحانه المؤمنين بقوله: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ [المؤمنون:٣] وقال في موضع آخر: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ [القصص:٥٥].

واللغو يشمل الشرك والمعاصي ومالا فائدة منه من الأقوال والأفعال، وقال ابن كثير. اللغو: الباطل.

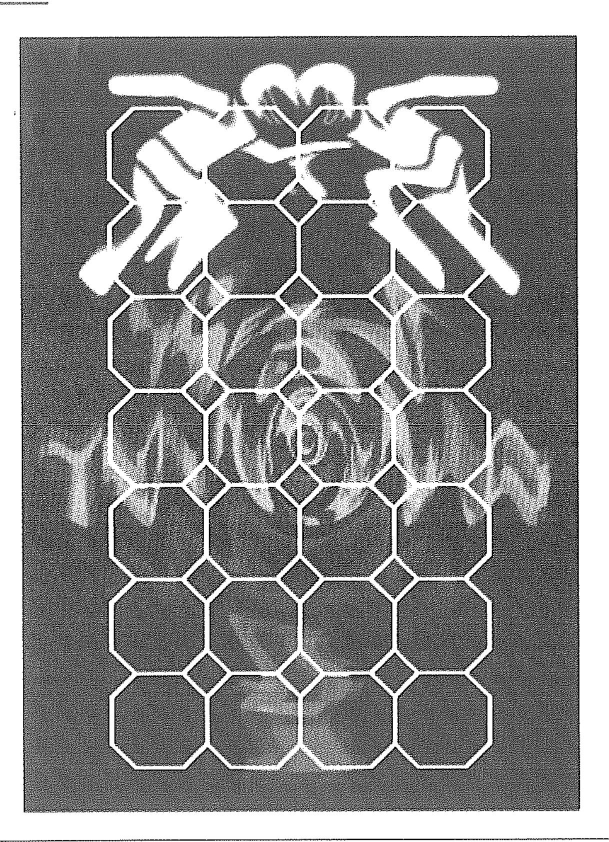
الإعلان والقيم الغائبة

هنا قيم ينبغي أن تسود تجعل المعلن خادما أمينا لأمته إن أردنا أن تسلم مجتمعاتنا، ويبقى الحياء ومكارم الأخلاق سماتنا البارزة بينما تضج مجتمعات كثيرة في الشرق والغرب بالشكوى من انهيار الأخلاق، لما قدموا المادة وسعوا وراء الأرباح وحسب وأمسوا على شفا جرف هار. والويل لأمة تهتم بالأرباح على حساب الأخلاق.

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «لابد لك من نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج».

وكان عمر يقول للتجار: «اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم – للصلاة والذكر – وما بعده لدنياكم» أي للتجارة.

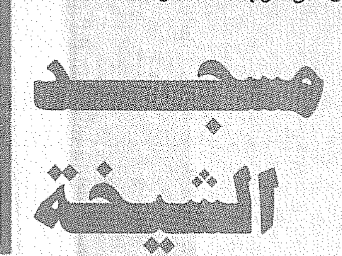
وكره ابن سيرين الدلالة – وكره قتادة أجرة الدلال، ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والإفراط في الثناء على السلعة لترويجها(٨). واعتقد أننا في أمسّ الحاجة لهذه القيم. إن أردنا صلاح الدارين. أرشدنا الله لكل خير وحفظ أمتنا من كل سوء□



الهوامش:

١) جريدة المسلمون، بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٤١٢هـ.
٢) وليام ريفرز وآخرون، وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ترجمة: د. إبراهيم إمام، ص٣٠٣.
٣) كيف نفهم اليهود، د. حسين مؤنس، ص٦١.
٤) وسائل الإعلام والمجتمع، مصدر سابق، ص٢٨٦.
٥) د. إبراهيم امام، الإعلام الإذاعي والتلفزيون، ص٢٣٣.
٦) عطية الديسي، فتاة الغلاف، المجلة العربية، ربيع الآخر ١٤١١هـ، ص٨٥. ٧) محمد السماك، إعادة تنظيم الإعلام اللبناني، الدراسات الإعلامية، يوليو/سبتمبر ١٩٩٣م، ص٤٩.
٨) حجة الإسلام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٢، ص٨٥.

افتتح السيد/ وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور علي فهد الزميع مسجد الشيخة/ سبيكة دعيج السلمان الصباح يوم الجمعة في ١٩ شعبان ١٤١٥هـ الموافق ٢٠/١/٥٩٩١م.. ففي منطقة حولي المعروفة باكتظاظها السكاني وحركتها التجارية المزدهرة، وعلى تقاطع شارعي تونس و ابن خلدون ترتفع مآذن المسجد ليسد ثغرة مهمّة ويلبي حاجة المنطقة لبيت من بيوت الله يُذكر فيه اسمه تعالى وتمتلىء جنباته بالصلوات وحلقات القرآن الكريم والعلم الإسلامي النافع، وقد وفّرت الشيخة سبيكة له - جزاها الله خيرا - كل ما يتطلبه إنجاز العمل على الوجه الأفضل..



مسجد الشيخة سبيكة دعيج السلمان الصباح

• حرم الصلاة

تغطية: د. صلاح الدين أرقه دان

وفي لقاء مع المهندس (محمد أمين عمر مدير) مدير مشروع المسجد الذي نفذته (المجموعة الأهلية للمقاولات) تزودنا بالمعلومات التالية:

تبلغ المساحة الإجمالية للمسجد ومرفقاته وحدائقه ٨٣٩٠ متراً مربعاً، يبلغ حجم البناء منها ٢٣٠٨٢، تتوزع على حرم صلاة الرجال (١٤٠٠ م٢) الذي يسع ٢٥٠٠ مصلياً، وقد بني بشكل مستطيل تبلغ أضلاعه ٤٤متراً بـ٣٢ متراً، ومصلى النساء (٢٠٦م٢) الذي يتسع لحوالي ٣٠٠ مصلية، بالإضافة إلى مكتبة يجري العمل على تجهيزها بأهم الكتب والمراجع الاسلامية والمعرفية لخدمة رواد المسجد وقاصدي المعرفة، وتبلغ مساحتها الإجمالية ٢٦٦م٢، وفيما تبلغ مساحة صحن المسجد ٢٥٦ م٢، تمتد مساحة الرواق على ١٢٠م٢..

ويحتوي حرم الرجال على ٣ قباب لإعطاء إضاءة طبيعية للمسجد، ويبلغ ارتفاع القبة الوسطى (الكبيرة) ٢٠ مترا وقطرها ١٤ متراً، وتقوم على أربعة أعمدة، وقبتان جانبيتان ترتفع الواحدة منهما ٤ أمتار عن سطح المسجد بقطر ٥ أمتار، وللمسجد مئذنتان جانبيتان ارتفاع كل منهما ٤٠ مترا، بما يقيم التوازن الهندسي بين القبة الكبرى وارتفاع المآذن، وهناك قبة صغيرة فوق بهو المدخل وضعت فيها ثريا نحاسية على الطراز الدمشقي..

ويبلغ ارتفاع السقف الداخلي ٨ أمتار، بينما يصل ارتفاع سقف الرواق إلى ٥ أمتار، ويقوم على ثلاثة أقواس تضفي الطابع الشرقي التقليدي على بنائه..

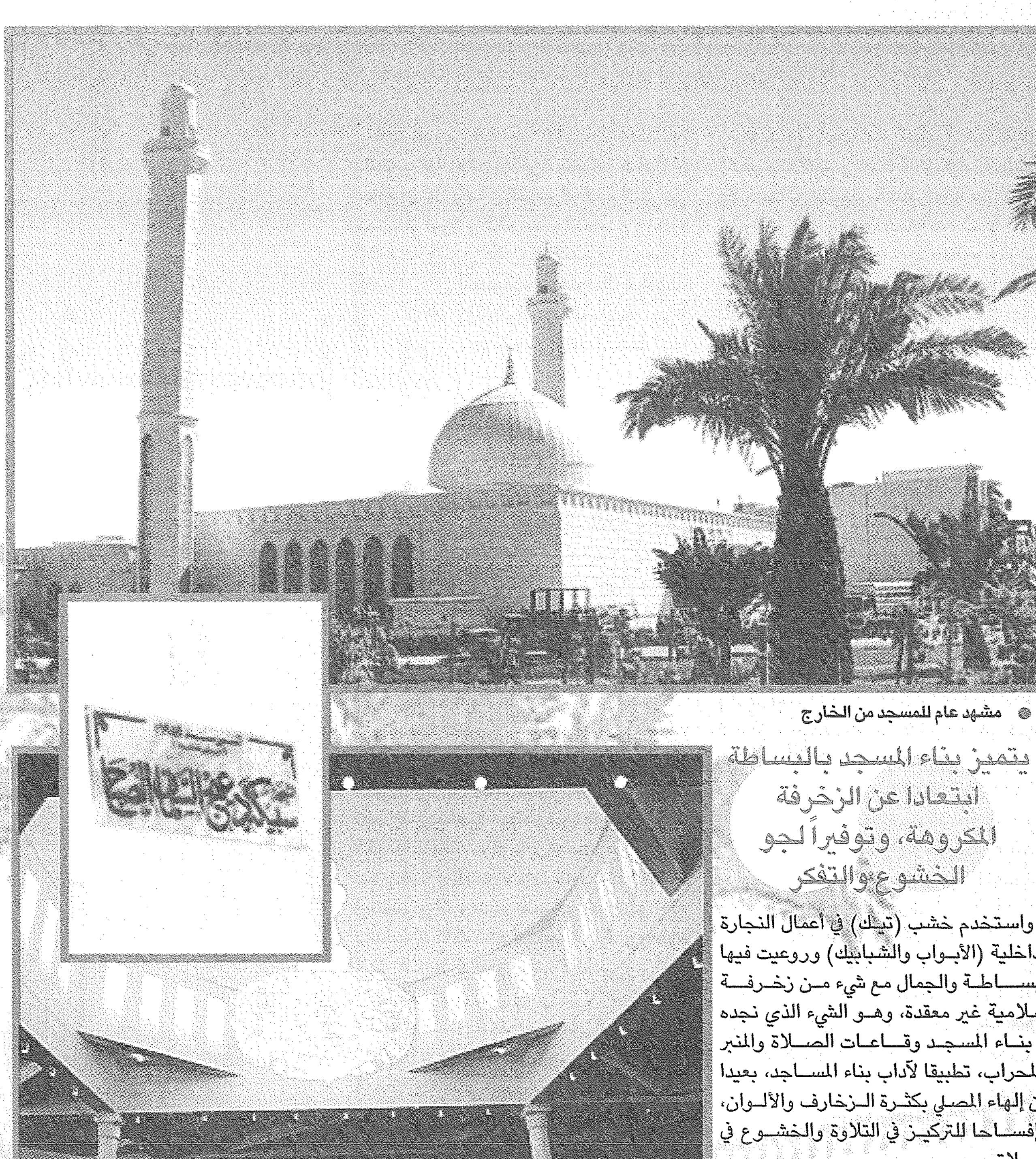
وملحق بالمسجد منزل للإمام والمؤذن والحارس، بالإضافة إلى مخزنين ومشارب مياه حديثة، روعيت فيها أحدث الوسائل الصحية الحديثة حرصاً على صحة المصلين ورواد المسجد..

ولقد روعي في المرافق العامة والمياضىء راحة المصلين، فأقيم ٣٠ ميضأة، و٢٠ حماما، مع حمام خاص بالمعاقين، تبلغ مياضىء النساء ١٠ مياضيء، و٤ حمامات خاصة بهنّ..

ومراعاة لسهولة حركة المصلين عند الدخول الخروج من الصلاة تم إقامة ٣ بوابات رئيسية أمامية وبوابتين جانبيتين، ومما يميز البناء تقليل استخدام الدرج التقليدي بقدر الاستطاعة حيث اقتصر على المدخل الرئيسي، وتم اعتماد المنحدرات في البوابات الخارجية تسهيلا لكبار السن والمعاقين، وزود مدخل المعاقين بإشارات واضحة..

تبلغ مساحة حدائق المسجد الخارجية ٥٠٠٠ م٢، تغطيها أشجار النخيل والزيتون والمسطحات الخضراء المزروعة بالحشائش، مما أعطى شكلا جماليا للمسجد ومحيطه..

ولقد أضفت فوانيس أعمدة إنارة السور والحدائق طابعا جماليا، يبرز في الليل معالم المسجد الأساسية، وقد تم اختيار اللون الأبيض للمسجد تمييزاً له عن المباني السكنية المحيطة به، ومراعاة لاحتياجات البيئة، بالإضافة إلى معنى الصفاء والسلام الذي يضفيه اللون الأبيض في نفس الرائي..



مشهد عام للمسجد من الخارج

يتميز بناء المسجد بالبساطة ابتعادا عن الزخرفة المكروهة، وتوفيراً لجو الخشوع والتفكر

واستخدم خشب (تيك) في أعمال النجارة الداخلية (الأبواب والشبابيك) وروعيت فيها البساطة والجمال مع شيء من زخرفة إسلامية غير معقدة، وهو الشيء الذي نجده في بناء المسجد وقاعات الصلاة والمنبر والمحراب، تطبيقا لآداب بناء المساجد، بعيدا عن إلهاء المصلي بكثرة الزخارف والألوان، وإفساحا للتركيز في التلاوة والخشوع في الصلاة..

وتمت مراعاة توزيع موجات الصوت لتجنب مشكلة الصدى المعروفة في مثل هذه الأبنية الضخمة، بالإضافة إلى فرش طبقة من اللباد تحت سجاد الحرم الداخلي مما ساهم في امتصاص الصوت..

واستخدمت طريقة الدفع البعيد (Get Difusers) لتكييف قاعة الصلاة الرئيسة، فيما تم تكييف المكتبة وحرم النساء بشكل منفصل، وزودت الميضأة بالماء الحار والبارد كما هو المعتاد في مساجد الكويت ■

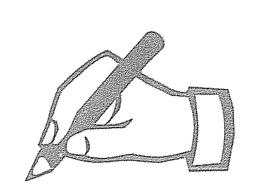
المنبر والمحراب

منزلق الاستهانة!!

قلّما يجتمع قوم؛ اليوم؛ اهتموا بالسياسة أم لم يهتموا، شبابا كانوا أم يافعين، إلا وكان التحرك الإسرائيلي على جبهات فرض الشروط والتطبيع وإنهاء المقاطعة وطرح مشروع (الشرق الأوسط الجديد، ووعود الرفاهية والوفرة الاقتصادية، جزءاً مهما من الحديث فيما بينهم..

يتم تناول أحاديث (السلام) القادم، و(التطبيع) بمفرداته وامتداداته طبيعياً في أجواء الاستقبالات الحارة التي يلقاها (أعداء الأمس) وأخبارها التي تملأ أعمدة الصحف اليومية، وتحليلات واستطلاعات المجلات الأسبوعية، عدا عن كم الأخبار المنقولة بوسائل الإعلام المسموعة والمرئية بلغات الأرض ولهجاتها..

ولقد جمعني مجلس على غير موعد مع بعض الشباب الفاضل من جنسيات شتى، وبينهم لبنانيون لفحهم الفساد الإسرائيلي بحرّه، وتجرّعوا بسببه نغب التهمام أنفاساً، وأصاب أهليهم من ويلاته ما يحتاج إلى مجلدات كاملة بالكلمة والصورة، ومنهم شباب سمعوا ولم يعاينوا، تأخذهم الحميّة مرّة، ووعود أنهار العسل واللبن مرّة أخرى، ودار النقاش عن دور (إسرائيل) المستقبلي في المنطقة، فكان الكلام سجالا ارتفعت فيه الأصوات وانخفضت، وجرت من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، في حلبة غير مستوية الطرقات ولا واضحة المعالم ولا ممهدة الجنبات..



بقلم

د. صلاح الدين أرقه دان

وبقيت منصتا أرجو أن أجد من بين اشتباك الأفكار والعبارات منفذا ألج منه ثم أخرج بأقل قدر ممكن من الخسائر، ففي أجوائنا الحالية البعيدة عن لغة الأرقام الواضحة، والموضوعية في الطرح، يسرّك أن تخرج كفافا لا لك ولا عليك..

وجاءت الفرصة في قول أحد المتحمّسين ممن استهواهم تبسيط المشكلة وحصرها في زاوية (المهارة) الشخصية، وقوة (العقيدة)، وسلامة (الطوية)، فقال: (العرب أكثر عددا من الاسرائيليين، والبضائع الأجنبية القادمة من أقصى الشرق أرخص أسعاراً مما يمكن للاسرائيليين تسويقه، والبضائع الغربية أكثر إتقانا وأعرق في السوق، فلا يمكن للاقتصاد الإسرائيلي أن يشكّل خطرا علينا أو يبتلعنا، وكيف دار الأمر - يتابع صاحبنا حديثه - اللبناني أجدر من الإسرائيلي وأعلى منه كفاءة، وهو إلى العرب أقرب، وله في قلوبهم مكانة لا يصل إليها الإسرائيلي، واللبناني ماهر في ميدان الأعمال لا يشقّ له غبار)..

وفي كثير مما قاله صاحبنا حقائق معروفة، ولكن عرضها يتميّز بالبساطة التي تصل إلى درجة الغفلة عن حقائق أخرى لا يقبل من المسلم المعاصر أن يغيب عنها أو أن تغيب عنه، ذلك لأن الإسلام نفسه بعيد عن منهجية الاستغفال والسذاجة، ولم يعرف تاريخنا الإسلامي الحافل (سطحية) كالتي يعيش فيها البعض اليوم، وقد حسبوا أن الإيمان بـ(الغيب) و(القدر) و(التوكل) يعني ترك الحبل على الغارب، والنوم الهانيء باعتبار أن القدر يحركنا كما نحرك نحن بيادق الشطرنج، ونسوا أن مبدأ الحساب والعقاب يصب بشكل مباشر في عقيدة المسؤولية الفردية والجماعية، وتناسوا فوق ذلك سجل الجهاد المشهود الذي قام به رسول الله ﷺ وإخوانه وأتباعه رضي الله عنهم أجمعين، ولو كانت الدنيا تأتي طواعية بلا تخطيط ولا سهر ولا بذل لجاءت مطواعة للنبي ﷺ، وهو خير الخلق وحبيب الحق وصاحب الدعوة الخاتمة..

لقد نسي صاحبنا الشاب المتحمس، ونسي أكثرنا، أن ما بيننا وبين الإسرائيليين ليس مجرد تنافس صناعي أو تجاري، إنما الذي بيننا هو صراع حضاري يبدأ بالعقيدة أولا، وبتصوّر كل منا للكون والحياة والإنسان، والعلاقات الإنسانية التي يذبحها الإسرائيليون - كلما سنحت لهم الفرصة - على مذبح المصلحة القومية الضيقة الخاصّة بهم..

وبناء على هذا التصوّر تسعى القوى الصهيونية في العالم إلى إحلال حضارة مكان حضارة، ومفهوم حضاري مكان مفهوم حضاري آخر، فالعدل والحرية والمساواة وكل ما يمسّ الإنسان من حقوق وواجبات، تختلف في المفهومين الإسلامي والإسرائيلي لاختلاف نظرة كل فريق إلى (الإنسان) ومهمة استخلافه في الأرض، واستعدداته الفطرية ليحمل شرف التعبّد والتنسّك وإقامة العدل..

وبناء على ما تقدّم يمكننا فهم الممارسات الإسرائيلية التعسفية اليومية في فلسطين وما حولها، ولاسيما الجنوب اللبناني، فالعدل والحرية والقيمة الإنسانية واحترام الحياة البشرية ورفع العدوان والإيذاء عنها، ما زال محصوراً – عندهم – في نطاق الفرد (الإسرائيلي) اليهودي بالولادة والانتماء، ولا نعجب عندما نرى ضغطهم الواضح في الإعلام لإبراز ظلامات الشعب اليهودي دون سائر الشعوب، والانتقام من أي فرد أو جماعة تحدثهم أنفسهم بالتعرّض بالنقد والكشف لزيف التاريخ اليهودي، أو لواقع الإرهاب الذي تمارسه العصابات اليهودية في فلسطين، أو المافيا اليهودية في ميادين السياسة والاقتصاد والتجسس العالمي، ويحتاج تفصيل ذلك إلى مقالات مستقلة كي توفيه حقّه..

فإذا تحدّث الإعلام – مثلاً – عن القنبلة النووية الإسلامية (الباكستانية أو الإيرانية) وضخّم مخاطرها، رأيناه يعمى ويبكم ويصم أمام مخاطر إسرائيل النووية.. وأن يعلن المسؤولون الإسرائيليون رفضهم التوقيع على المعاهدة النووية الدولية لا يؤدي إلى تصريحات ولا تهديدات ولا مجرد احتجاجات غربية، ولكن أن تربط مصر بين مصالحها الأمنية والقومية واحتياجات شعبها، وبين خطواتها السياسية أو الأمنية وعلاقاتها بالدولة العبرية فأمر لا يستطيع الموقف الدولي ولا الإعلام العالمي تحمّله أو قبوله، أوليس في ذلك انحياز أبلق لا يستتر خلف أي بروتوكول أو لياقة دبلوماسية؟

إن قوّة الموقف الإسرائيلي الدولي الذي نلمسه يومياً، لا ينبغي أن يدفعنا باتجاه الرعب المؤدي إلى شلل الحركة، كما لا يصح أن يدفعنا إلى التصرف الأرعن المؤدي إلى الخسارة، وإنما الذي ينبغي فعله هو اعتماد منهج الدراسة والتخطيط للوصول إلى نتائج تدفع باتجاه الهدف ولا تبعدنا عنه..

ومنطق الغرور لا يبتعد عن منطق الاستهانة بشيء، بل هما مترابطان ترابط السبب بالنتيجة، فأحدهما باب للآخر، ونتيجتهما معروفة سلفاً لمن درس التاريخ أو تمعّن في الواقع، فقد أدت الاستهانة بطاقات وقدرات العدو سابقا إلى فقدان مساحات واسعة من العالم الإسلامي، وخسارة دول بأكملها، وما الأندلس عنا ببعيد، وأدت الاستهانة حديثاً إلى سلسلة من التراجعات وكمية من التراكمات مما شكل ويشكل تركة يصعب علينا التخلص منها في فترة وجيزة..

ولئن كنا ضد منطق التهويل والترويع فإننا في الوقت نفسه، وبالحجم ذاته، ضد منطق التبسيط والتهوين، وفي المسألة الإسرائيلية بالذات ندعو إلى اعتماد كل ما يمكن اعتماده من دراسات علمية منهجية، ومراعاة الاحتمالات جميعها، بما في ذلك تلك التي تبدو بعيدة الحصول، حتى نتجنّب منزلق غلطة تكلف أجيالنا القادمة ضريبة باهظة تضع في أعناقهم الأغلال الاقتصادية والأمنية، وتضيّع عليهم هويتهم وثقافتهم وشخصيتهم المتميّزة..

فهل يقوى العمل الفردي العربي – واللبناني جزء منه – على مواجهة العمل الجماعي الإسرائيلي المرتبط بأجهزة ومؤسسات عريقة فاعلة؟

هل تكمن إشكالية التعامل الاقتصادي مع الإسرائيليين في المهارة الفردية، وفي الجسر المفتوح داخل العالم العربي، ليستبعد أخونا اللبناني المنافسة الاسرائيلية لبني وطنه؟ وهل تكمن إشكالية التفوق الإسرائيلي في العدد البشري حتى يطمئن ملايين العرب والمسلمين إلى تفوقهم العددي؟

أم أن التفوق الإسرائيلي يكمن في وضوح المشروع السياسي، وبناء القوى الصناعية وقيام المؤسسات التي تضمن تنفيذ القرارات ومتابعتها؟

ولقد بيّن لنا الله ما ينبغي علينا من الموضوعية ورؤية الواقع بحجمه لا بما نتوهم، في خطابه تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قل للمخلّفين من الأعراب ستُدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ [الفتح:١٦] فوصف العدو بما يستحقه من البأس فيستعد المسلمون للمعركة بحجمها الحقيقي بعيدا عن أجواء الغرور أو التقدير الخاطيء لاحتياجاتها، مع الأخذ بعين الاعتبار انه يخاطب المخلّفين الذين يحتاجون تشجيعاً وحثّاً قد يراه البعض في التهوين من شان العدو، والرفع من معنويات الجند المدعوّين إلى خوض غمار المعركة..

وفيما وقع في غزوة حنين عبرة عميقة لأولئك الذين يستعلون بقوتهم، ويستهينون بغيرهم، حيث قال بعض المسلمين الجدد: (لن نُغلب اليوم من قلة) مستحقرين قوات (هوازن وثقيف) فحل بهم البلاء، وامتحنهم الله تعالى امتحانا قاسيا محّص الصف من خلاله، ولقنهم درساً وافياً في إخلاص النية، والأخذ بالأسباب وعدم اتكاء العاطفة على العدد أو العدة: ﴿ويومَ حُنينٍ إذ أعجبتكم كثرتُكم فلم تغنِ عنكم شيئاً وضاقتْ عليكمُ الأرضُ بما رحُبتْ﴾ [التوبة:٢٥]..

إن مخاطر الواقع، وغيوم المستقبل لا يمكن معالجتها بالعاطفة البحتة البعيدة عن لغة الوقائع والأرقام، وإنما تحتاج إلى مواجهة شجاعة تقرّ بالحقائق الماثلة وترسم خطتها على هذا الأساس بلا تشنج ولا توتر أعصاب، والمعرفة أول خطوات النجاح: ﴿إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ﴾ [ق:٣٧]□



أضخم مسجد في البلقان

صرح جمال الفوزان – عضو لجنة مسلمي أوروبا والأمريكتين بجمعية إحياء التراث الإسلامي – بأنه قد بدأ العمل في انجاز أضخم مسجد ومركز إسلامي في منطقة البلقان تقيمه لجنة مسلمي أوروبا والأمريكيتين التابعة لجمعية إحياء التراث الإسلامي في العاصمة الألبانية تيرانا.

والمشروع سوف يقام على مساحة تصل لـ ١٧ ألف متر مربع، وبتكلفة إجمالية تصل لربع مليون دينار كويتي، وقد تبرعت بإنشائه أسرة كويتية ليكون على أحدث طراز، ويجسد الروح الإسلامية لمنطقة البلقان التي اصبحت ساحة تتصارع فيه الأديان والاتجاهات بغية تغريبها وإبعادها عن الإسلام..

وهذا المشروع الضخم سيضم مسجدا جامعا ومدرسة إسلامية كبيرة ومكتبة متعددة الأدوار، ويقع في قلب العاصمة الألبانية – تيرانا – وعلى مقربة من مبنى البرلمان.

تنمية وتعمير سيناء



● الدكتور محيي الدين الغريب

أعلن الدكتور محيي الدين الغريب رئيس هيئة الاستثمار والمناطق الحرة بمصر أنه تقرر البدء في تنفيذ الخطة القومية لتنمية سيناء الشمالية والجنوبية التي يقدر أنها سوف تتكلف ٧٥مليار جنيه خلال الأعوام الخمسة والعشرين المقبلة، وأنه تم اختيار خمس مناطق صناعية حرة جديدة تشمل كل سيناء.

وكان الدكتور الغريب يتحدث في حفل أقامته جمعية مستثمري سيناء بفندق شيراتون بالقاهرة، وقد أقيم الحفل بمناسبة إنشاء أول كيان اقتصادي مصري مائة بالمائة في شمال سيناء والذي يخدم قطاعاً كبيراً من أبناء سيناء وفي إطار المشروع القومي لتنمية سيناء.

وقال الغريب: إن الخطة القومية لتنمية سيناء بدأت مع إنشاء ترعة السلام الجديدة التي تهدف إلى استصلاح ٤٠٠ ألف فدان في سيناء وإنشاء مجتمعات صناعية ومناطق عمرانية جديدة لتحقيق التنمية الشاملة، وأن المناطق الحرة الجديدة في رفح ورأس النقب ستبدأ بالنشاط وتصدير منتجاتها إلى الدول العربية المجاورة بمنطقة الخليج، وكذلك غزة وأريحا، وأكد الغريب أن المناطق الصناعية الحرة الجديدة في سيناء سوف تحظى باهتمام كامل من الدولة في المرحلة القادمة، وأن مشروعات التصنيع الزراعي ستكون لها الأولوية في شمال سيناء إضافة للمشروعات التعدينية والسياحية في جنوب سيناء.

وأكد اللواء منير شاش محافظ سيناء أن المشروع القومي لتعمير سيناء تبلغ تكاليفه الاستثمارية ٧٥مليار جنيه. وأن ما يجري الآن هو البداية لتأسيس وإنشاء شركات وكيانات اقتصادية مصرية ضخمة.

وطالب محافظ شمال سيناء بوضع قانون جديد للاستثمار في سيناء يساعد على جذب مزيد من المستثمرين في مواجهة مرحلة السلام القادمة بين كل العرب وإسرائيل بحيث لا يتعارض مع قوانين الدولة في إطار المشروع القومي لتنمية سيناء وبحيث تكون قادرة على مواجهة المنافسات المتعددة في المرحلة القادمة.

خفض نسبة الأمية في سوريا

أعلن صندوق الأمم المتحدة للسكان أنه نجح بالتعاون مع هيئات حكومية سورية في خفض نسبة الأمية في سوريا، إلى أقل من الثلث، ضمن سلسلة نجاحات حققتها برامج التوعية السكانية وتنظيم الأسرة التي ينفذها.

وقال عبدالمنعم أبو نوار المدير الإقليمي للصندوق إن برامج التثقيف التي بدأ الصندوق تنفيذها في سوريا عام ١٩٧١ ساهمت في خفض معدل الأمية من ٧٣٪ إلى ٢٣٪.

وأضاف: إن الإحصاءات التي أجراها الصندوق تشير إلى أن نسبة الأزواج المستخدمين لوسائل تنظيم الأسرة ارتفعت من ١٢٪ إلى ٤٠٪، بينما انخفضت نسبة الوفيات بين الأطفال الرضع إلى ٣٣ في الألف، من ١٠٥ في الألف.

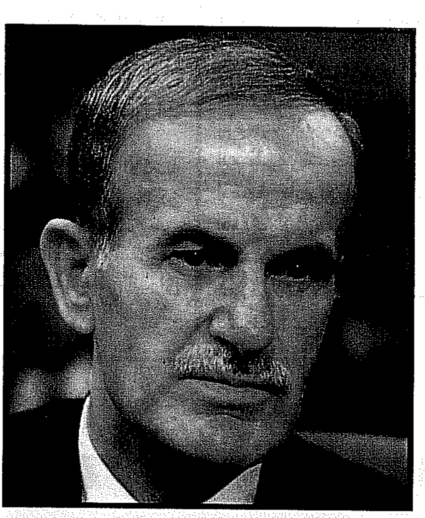
وقال (نسيم مدانات) المستشار في الصندوق إنه تجرى حاليا دراسة مشروع جديد، يغطي الفترة من عام ١٩٩٦م إلى عام ٢٠٠٠م، ويهدف إلى تنظيم السياسة السكانية لتتناسب مع النمو الاقتصادي للبلاد.

وذكر أن الصندوق ينفذ حاليا برنامجا يغطي الأعوام من ١٩٩٠م إلى ١٩٩٥م، ويتضمن إقامة مشروعين للتوعية السكانية بالتعاون مع وزارة الإعلام، ويدعي البرنامج إلى وحدة الاتصال السكاني، ويتوجه في شكل خاص نحو جيل الشباب الذين يمثلون الشريحة الكبرى من المجتمع السوري نحو الفئة القيادية صاحبة القرار في قضايا التنمية، وذلك من أجل تنظيم الأسرة.

وحدة (بلاد الشام)

كشف برلماني أردني النقاب عن أنه نقل رسالة من الرئيس السوري حافظ الأسد إلى الملك حسين تُعرب فيها سوريا عن استعدادها للدخول مع الأردن في أي شكل من أشكال الوحدة أو الاتحاد. وقال الدكتور سعيد التل – عضو مجلس الأعيان الذي كان يتحدث أمام المجلس في مناقشته للموازنة العامة – إن الرئيس الأسد (حمّلني عندما قابلته قبل أشهر قليلة رسالة إلى جلالة الملك حسين. تقول باختصار: إن الجمهورية العربية السورية مستعدة لأي شكل من أشكال الوحدة والاتحاد بينها وبين المملكة الأردنية الهاشمية).

ونسب التل للرئيس السوري قوله: إن مقاومة مشروع سوريا الكبرى في الماضي كانت خطأ قويا فادحا يجب تصويبه. وقال في هذا الصدد: إن الأردن وسوريا بالإضافة إلى لبنان وفلسطين تشكل كلا واحدا متكاملا جغرافيا وديموغرافيا واقتصاديا وسياسيا، هو إقليم بلاد الشام.



● الرئيس السوري

وأضاف: إن تعميق العلاقة وتطويرها بين أقطار بلاد الشام تمهيد لاتحادها مطلب وطني لكل قطر من هذه الأقطار ضرورة قومية عربية تفرضها التحديات المصيرية التي تواجهها هذه الأقطار.

احتمالات التطبيع

شارك ١٨ باحثا وأكاديميا من ثماني دول عربية في أعمال مؤتمر بعنوان (العالم العربي واحتمالات التسوية مخاطر وتحديات) على مدى ثلاثة أيام في بيروت بإشراف وتنظيم المركز اللبناني للدراسات، ومثّل الكويت الدكتور شملان يوسف العيسى.

وبدأت أعمال المؤتمر في أحد الفنادق الكبرى في بيروت بحضور مفكرين من لبنان وسوريا والأردن والأراضي المحتلة والكويت والعراق ومصر والمغرب. ونظم المؤتمر المركز اللبناني للدراسات وهو مركز متخصص تأسس عام ١١٩٠م ويقوم بإصدار مجلتين: (مجلة أبعاد الفصلية.. ومجلة نصف سنوية باللغة الانكليزية). وأوضح فارس أبو صعب مدير تحرير مجلة (أبعاد) أن عمل المركز يتضمن – بالإضافة إلى ذلك – تمويل إعداد دراسات. وتنظيم مؤتمرات تهتم بوضع السياسات التنموية في لبنان تحديدا، وفي منطقة الشرق الأوسط على المستويات السياسية والإدارية والاقتصادية والتربوية.

إدارة الأوقاف السّنيّة (البحرين)

ضمن مشروع طموح لبعث كنوز التراث الاسلامي، أصدر قسم الارشاد واعداد البحوث بإدارة الأوقاف السنيّة التابع لوزارة العدل والشوون الإسلامية بدولة البحرين باكورة انتاجه: كتاب (الموطأ) للإمام مالك بن أنس الأصبحي، برواية سويد بن سعيد الحدثاني (أحد تلامذة الإمام مالك رحمهما الله).

اعتذار عن إساءة

قال صاحب شركة توزيع أمريكية إنه تم سحب مئات النسخ من بطاقة بريدية تظهر عليها صورة صدر امرأة عار، تحيط به آيات من القرآن الكريم، بعد اعتراضات من المسلمين الأمريكيين.

وقال جيديون كلين صاحب شركة (جي كي انتربرايسس) في نيويورك: (لم نعرف بتلك الاعتراضات الا في الاسبوع الماضي، ووجدنا انه لا يوجد اقبال كبير على هذه البطاقة على أي حال، ولذلك لم نشأ إثارة جلبة بشأنها). وقال كلين إن نحو ٦٠٠ بطاقة بريد تحمل الصورة بيعت خلال الثمانية عشر شهرا الماضية وان مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية، الذي يتخذ من واشنطن مقرا له، اعترض عليها وحذره من ان الشركة ستغمرها الشكاوى إذا لم تسحب هذه البطاقة. وقال المجلس في بيان أصدر بهذا الخصوص: ان البطاقة البريدية التي انتجت في هولندا، تحمل صورة لصدر امرأة عار، وقد كتبت حول احد الثديين سورة الاخلاص بالعربية. وقال كلين ان شركته اصدرت بيانات لتوضح انها (لا تريد بأي حال إيذاء مشاعر المسلمين الأمريكيين وتعتذر لأي شخص جرحت مشاعره). وقال: إن الشركة الهولندية المنتجة للبطاقة، والتي لها موزعون في كل أنحاء العالم توقفت عن طبعها.

مسلمو جزر الباهاما

يعيش ١٥٠ مسلما في جزر الباهاما في البحر الكاريبي قرب كوبا. وقد بنوا مسجدا من التبرعات. وأكثرهم من أصول هندية وباكستانية وملاوية والقليل منهم من أهل البلاد الأصليين.

ويتشوق المسلمون هناك لزيارة دعاة وعلماء من العالم الإسلامي.. وقد تم تنظيم دروس وفصول دراسية أسبوعية للنساء والأطفال، ودروس لتحفيظ القرآن الكريم.. ويحتاجون إلى الكتب الإسلامية.

عدد المساجد في كازاخستان

تضاعف عدد المساجد في كازاخستان عدة مرات، فبعد أن كانت ٥٣ مسجدا عام ١٩٩٠، في عهد الاتحاد السوفييتي أصبحت الآن حوالي ٨٠٠ مسجد وانتشرت المدارس والنشاطات الإسلامية، وتزايدت الحاجة للأئمة والمعلمين والدعاة، والتحق عدد كبير من الطلاب من كازاخستان بدورات تدريبية في هذا المجال في مصر وتركيا.

وقد افتتحت الإدارة الدينية بكازاخستان مدرسة عليا لتدريب الأئمة والدعاة، وقد بني مسجد مركزي كبير في العاصمة المآتا. وسيقوم مركز إسلامي ثقافي كبير على حساب الحكومة المصرية بمبادرة من الرئيس حسني مبارك، وتشرف باكستان على إنشاء مطبعة لطبع الكتب الإسلامية في العاصمة المآتا، وستوزع مجانا، وتتوفر في المكتبات ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الكازاخية.

جائزة الأزهر في العمارة الإسلامية

اعتمد مجلس جامعة الأزهر الذي انعقد برئاسة شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق مشروع جائزة الأزهر في مجال العمارة الإسلامية، والهدف منها تشجيع البحوث والدراسات في مجال العمارة الإسلامية، وتنمية الوعي بأهمية العمارة الإسلامية والفن الإسلامي بشكل عام في مختلف دول العالم، وتشجيع المبتكرين على إنتاج أعمال معمارية أكثر ملاءمة للمجتمعات الإسلامية، وتحافظ في الوقت نفسه على وظيفة العمارة وفقا للمفاهيم الإسلامية، هذا بجانب مهمة توثيق المعلومات عن فن العمارة الإسلامية والفنون الأخرى المكملة له، ومقدار الجائزة ١٥ ألف دولار توزع على ثلاثة فائزين بالتساوي، وهي تنظم كل عامين، كما أن لها مجلسا يشكله شيخ الازهر ويعين أعضاءه لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد.

اجتماعات المجمع الفقهي بمكة المكرمة

أقيمت في مكة المكرمة - مؤخرا - اجتماعات المجمع الفقهي في (رابطة العالم الإسلامي) في دورته الرابعة عشرة برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء)، نوقش فيها عدد من الموضوعات والمسائل ذات الصلة بالفقه الإسلامي التي تهم المسلم المعاصر.

مركز إسلامي في السويد

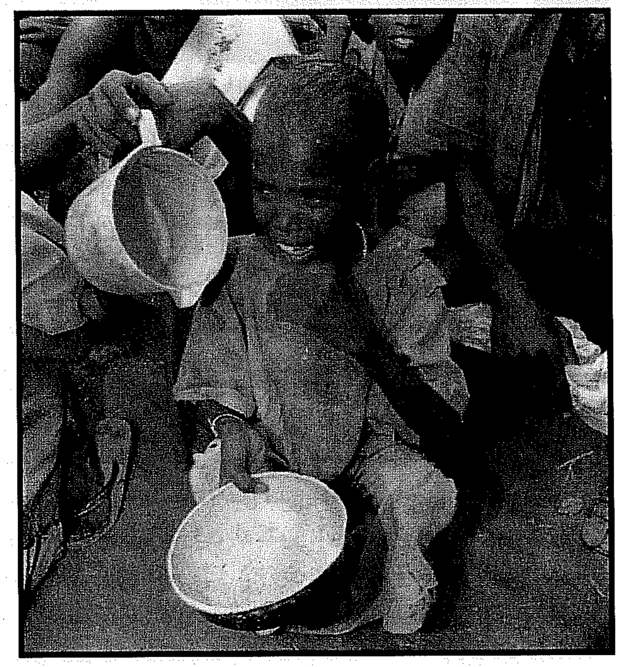
(المركز الإعلامي الإسلامي) في السويد سيتخذ مقرا له في العاصمة ستوكهلم، يحوي قسما لإصدار جريدة إسلامية ومحطة إذاعية إسلامية. ويعمل المركز على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات السويدية والنرويجية والفنلندية والدانماركية.

وسيفتتح مكتبا فرعيا في أوسلو عاصمة النرويج، وهلسنكي عاصمة فنلندا، وتقدر تكاليف هذه المشروعات الإجمالية حوالي ٥٠٠ ألف دولار.

ترجمة كتب إسلامية للصينية

كلف (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية) بالقاهرة الدكتورة منى فؤاد حسن (أستاذة اللغة الصينية) بترجمة بعض الكتب الإسلامية إلى اللغة الصينية لتوزيعها في الصين على المسلمين. وتشمل الكتب التي يجري ترجمتها أحكام العبادات والعقائد والمعاملات.

مليون لاجيء مسلم في أفريقيا



أكد جاسم العيناتي رئيس لجنة القارة الأفريقية تزايد أعداد اللاجئين المسلمين في أفريقيا خلال الفترة الأخيرة، حيث بلغ عددهم نحو مليون لاجيء، يعيشون في ظروف إنسانية بالغة الصعوبة تتطلب الإغاثة العاجلة.

وأشار العيناتي إلى أهمية توفير المسكن والملبس لهؤلاء اللاجئين، وإلى دور اللجنة في تقديم الخدمات اللازمة لهم باعتبارهم ضحايا للكوارث الطبيعية والنزاعات والحروب.

وأوضح أن تقديم العون لهؤلاء اللاجئين يدخل في صميم العمل الدعوي للجنة التي تعنى بتشييد المساجد والمراكز الصحية وتقديم المعونات الغذائية والمادية، وإقامة المشاريع التنموية، ومشاريع الصدقة الجارية.

وأوضح أن لجنة القارة الأفريقية قد قامت في هذا الإطار ببناء ٤٢ مسجدا، و٤٠٦ مراكز إسلامية، و٨٠ مركزا صحيا، و٢٣ مزرعة إنتاجية، و١٥١ مدرسة.

أكبر مركز إسلامي في بورسعيد

افتتح أكبر مركز إسلامي بمدينة بور فؤاد بمحافظة بورسعيد بمناسبة احتفالات المحافظة بذكرى انتصارات شعبها على المعتدين في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م.

وتكلف المركز الإسلامي الجديد تسعة ملايين جنيه مصري، وافتتحه محافظ بورسعيد اللواء فخر الدين خالد عبده، ثم نقل منه التلفاز والإذاعة بمصر صلاة الجمعة على الهواء مباشرة عقب مراسم الافتتاح الرسمي.

استرداد الآثار الإسلامية من أثينا

توجه إلى أثينا وفد من وزارة الأوقاف المصرية برئاسة أحمد عبد الله رئيس هيئة الأوقاف في زيارة لليونان، لبحث سبل استرداد أموال وممتلكات الأوقاف المصرية في أثينا والتي تقدر بحوالي ٣٥ مليون دولار. يضم الوفد المهندس احمد مرعي المستشار الهندسي لوزارة الأوقاف وعددا من الفنيين والخبراء. تجدر الإشارة إلى أن من بين الآثار المصرية في أثينا والتي تطالب بها مصر: متعلقات أسرة محمد علي وبعض التحف الإسلامية.

منح أزهرية لطلاب بنغلادش

وافق فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر على تخصيص عدد من المنح الدراسية لطلاب الدراسات العليا في بنغلادش للدراسة بجامعة القاهرة.
اشترط شيخ الأزهر أن يكون الطلاب من الحاصلين على شهادات معادلة لشهادات الأزهر، وأن يجيدوا التحدث باللغة العربية الفصحى. وتجدر الإشارة إلى أن جامعة الأزهر ستجري اختبارا لهؤلاء الطلاب بعد موافقة دولتهم.

إسرائيلية سرقت رشاشين لتشتري المخدرات

قال التلفاز الاسرائيلي إن محكمة عسكرية اسرائيلية حكمت بسجن مجندة إسرائيلية خمس سنوات بتهمة سرقة رشاشين وبيعهما لفلسطينيين مقابل شراء مخدرات. واقتحمت المجندة راشيل بيتون غرفة جنود آخرين في القاعدة العسكرية التي تعمل بها في تل أبيب وسرقت رشاشين عوزي صناعة إسرائيلية.
وذكر تقرير التلفاز أنها أعطت إسرائيليا من أصل فلسطيني الرشاشين مقابل الحصول على مخدرات، وقام بدوره ببيع الرشاشين لفلسطينيين في الأراضي المحتلة.
وطالب مدعون في وزارة الدفاع بسجن المجندة ثلاث سنوات ونصف السنة إلا أن قاضيا عسكريا رفض ذلك، وحكم عليها بالسجن لمدة خمس سنوات. ويقوم الجيش بتجنيد الاسرائيليات في الخدمة العسكرية من سن ١٩ لمدة عامين.

أسرارهم عند صغارهم

ذكرت صحيفة (إندبندنت) أن مراهقا بريطانيا يواجه تهمة اختراق أنظمة كمبيوتر حكومية أمريكية حساسة للاطلاع على اتصالات سرية حول أزمة كوريا الشمالية النووية في الربيع الماضي. وأضافت الصحيفة أن الصبي ظل لمدة سبعة أشهر يخترق أنظمة كمبيوتر دفاعية عدة، فيما وصفه مسؤولون أميركيون بأنه من أخطر عمليات انتهاك سرية الكمبيوتر خلال السنوات الأخيرة. وعقب اطلاع الصبي البالغ من العمر ١٦ عاما على الرسائل السرية، قام بإدخالها على شبكة الكمبيوتر الدولية (انترنت) التي تضم ٣٥ مليون مشترك.
وقال هاوٍ للكمبيوتر إن بريطانيا آخر اطلع على الرسائل المذاعة على الشبكة لصحيفة (إندبندنت) وإنها كانت تضم معلومات عن مواقع إطلاق في كوريا الشمالية، ومعلومات استخبارات ميدانية. وأضاف للصحيفة: إن (الأمريكيين كانوا يعتقدون أنه جُاسوس لكنه أبلغهم أنه كان يفعل ذلك من أجل المتعة).
وتمكن المحققون الامريكيون من الإمساك بالصبي عندما ترك جهازه ذات ليلة متصلا بكمبيوتر وزارة الدفاع الامريكية (البنتاغون). وألقت الشرطة البريطانية القبض على الصبي في يوليو الماضي. وذكرت الصحيفة أن المحققين سيقررون هذا الشهر ما إذا كانوا سيوجهون إليه الاتهام رسمياً.

أرشيف عثماني للوثائق

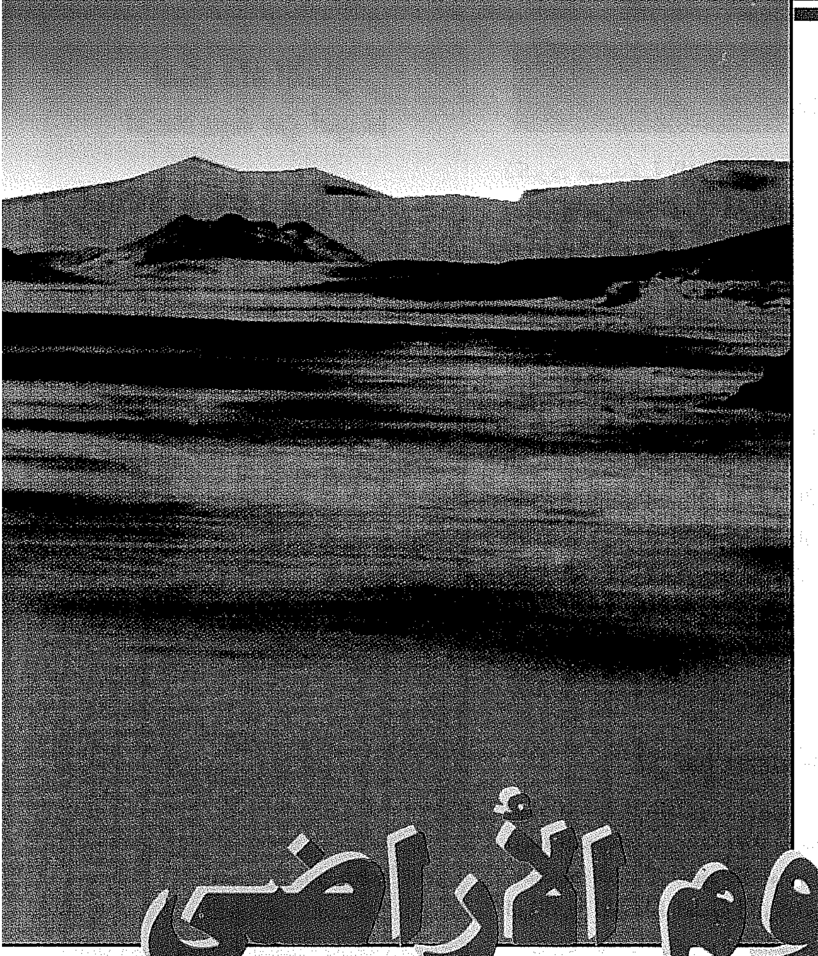
يهتم الأرشيف العثماني الذي مضى على إنشائه ١٤٨عاماً بتأمين وجمع الوثائق الأرشيفية التي ترجع للعهد العثماني وما قبله، والحفاظ عليها، والقيام بتصنيفها وحمايتها واستنساخها بالوسائل والتقنيات الحديثة، تمهيداً للقيام بدراسات علمية حول تلك المواد، ثم إعداد المنشورات للتعريف بتلك الوثائق في الأوساط العلمية في تركيا وخارجها.
ومن بين مهام الأرشيف العثماني متابعة التطورات العلمية القائمة في العالم في مجال إدارة الأرشيفات وترجمة الكتب والمقالات والوثائق، وتجميع الوثائق المتعلقة بالتاريخ والحضارة في العهد العثماني إلى جانب تقديم خدمات أرشيفية بوساطة الكمبيوتر للباحثين.
وكانت بداية إنشاء الأرشيف العثماني سنة ١٨٤١م، عندما نظم علي شكل أرشيف سلطاني عرف باسم (خزينة أوراق). وفي عام ١٩١١م، وضع هذا الأرشيف تحت إدارة رئاسة مجلس الوزراء التركي. وفي عام ١٩٨٤م، تم إنشاء المديرية العامة لأرشيف الدولة وألحق بها الأرشيف العثماني كأحد أقسامها.

كتابة ١٧ لغة أفريقية بالحروف العربية

أتمت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) بنجاح المرحلة الأولى من مشروع كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف القرآني المنمط، و ذلك بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية، ومركز الأبحاث والدراسات للتعريب في الرباط.وتمثل المرحلة الأولى من المشروع تنميط الحرف العربية لكتابة ١٧ لغة افريقية. ولذلك فقد تم إنجاز الآلة الكاتبة المنمطة لتوزيعها على الدول الأعضاء، التي يتحدث سكانها بهذه اللغات، وستواصل المنظمة العمل في هذا البرنامج، ليشمل أيضا لغات شعوب شرقي أفريقيا، ولغات الشعوب الإسلامية في وسط وشرق آسيا.يتطلب المشروع جهودا كبيرة ودعما ماليا متزايدا حيث يسعى لإعادة ربط الشعوب المسلمة بمصادر الثقافة الإسلامية الأصلية، والتي تتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والتراث الحضاري الاسلامي في كل ميادين المعرفة، ويواجه هذا المشروع تحديا كبيرا من قبل هيئات كثيرة لا تريد للمسلمين أن يتقاربوا وأن يعودوا لمنابع دينهم وحضارتهم.

كتب إسلامية بالروسية

طبع على نفقة الحكومة المصرية عشرات من الكتب الإسلامية باللغة الروسية تحت إشراف (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية). وسيتم توزيعها في روسيا الاتحادية، وبلدان اسيا الوسطى.. وتشرح هذه الكتب عدة موضوعات إسلامية مثل الصلاة والحج والزكاة والفقه والتوحيد.



يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير. إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ [آل عمران:١٨٩و١٩٠].

وفي ظل هاتين الآيتين الكريمتين تم بحمد الله تناول المصحف الشريف، وتدبر الآيات الكريمة التي ورد بها ذكر لفظة (الأرض) تدبراً خاصاً يبحث في معارف الإنسان ومعلوماته التي كشف الله لخلقه بعضاً من أسرارها العلمية والعملية، والتي شاهدها الإنسان بنفسه ولمسها بيده سواء في الحياة اليومية أو البحثية في حقائق ذات انتشار واسع أو محدود. وذلك ابتغاء وجه الله تعالى أولاً، وابتغاء المعرفة والاعتراف بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم، فسبحان رب العالمين.

تقديم لعلوم الأراضي في ظلال بعض آيات القرآن الكريم

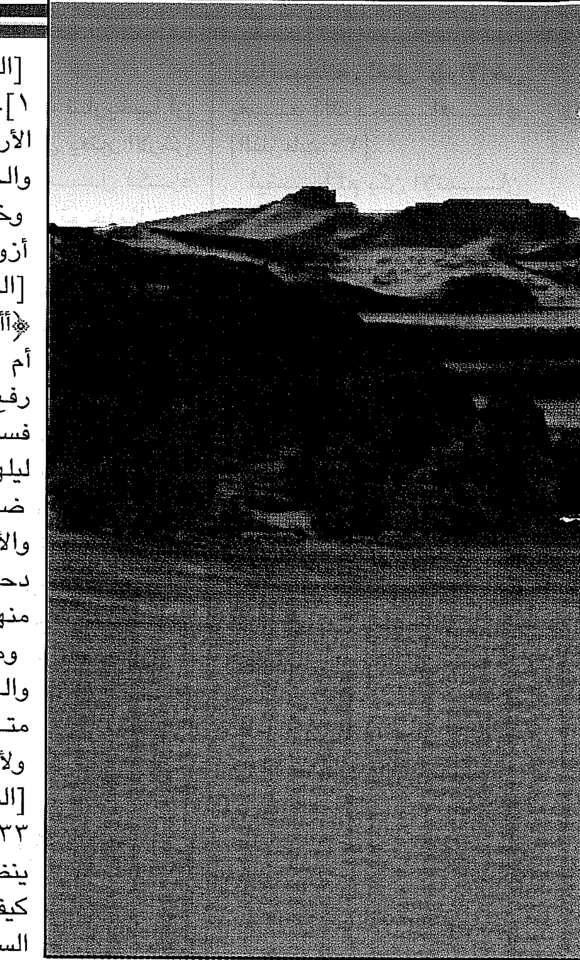
بقلم: د. محمد أحمد عبد المطلب *

(الأرض) في القرآن الكريم

من المنطلق المتقدم تم حصر الآيات الكريمات التي ورد فيها ذكر لفظ الأرض وحصر معارف الإنسان المشتغل بعلوم الأراضي والمياه في عصرنا الحالي، ثم تحديد الآيات التي توصل الإنسان لمعرفة أية معلومات أو بيانات يمكن إيداعها في ظل تلك الآيات. وتوصلت الدراسة في ضوء هذا الفهم المحدود للإنسان، والإطار الخاص للبحث إلى تبويب خاص لبعض آيات القرآن الكريم على النحو التالي:

آيات تتصل بخلق الأرض مثل: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ [هود:٧]. ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ [الأنبياء:١٦]. ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون. وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون﴾ [الأنبياء:٣٠و٣١]. ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾

* أستاذ علم الأراضي بكلية الزراعة، جامعة الأزهر، القاهرة.



[غافر:٥٧]. ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم. الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون. والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون﴾ [الزخرف:٩-١١].

الآيات التي تتصل بالإعجاز المطلق لقدرة الله سبحانه وتعالى مثل: ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ [النمل:٧٥].

آيات تتصل بطبيعة التواجد مثل: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ [طه:٥٥]. ﴿والأرض وضعها للأنام. فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام. والحب ذو العصف والريحان﴾ [الرحمن:١٠-١٢]. ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً. والجبال أوتاداً. وخلقناكم أزواجاً﴾ [النبأ:٦-٨]. ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها. رفع سمكها فسواها. وأغطش ليلها وأخرج ضحاها. والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها. متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ [النازعات:٢٧-٣٣]. ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾ [الغاشية:١٧-٢٠]. ﴿والشمس وضحاها. والقمر إذا تلاها. والنهار إذا جلاها. والليل إذا يغشاها. والسماء وما بناها. والأرض وما طحاها. ونفس وما سواها﴾. [الشمس:١-٧].

وآيات تتصل بعبودية الأرض وملكيتها لله سبحانه وتعالى مثل: ﴿ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير﴾ [النور:٤٢]. ﴿الرحمن على العرش استوى. له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ [طه:٥و٦]. ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾ [الإسراء:٤٤].

وآيات تتصل بطبيعة الأرض وأنها أحد مصادر الرزق مثل: ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون. وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾ [الحجر:١٩-٢٠]. ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ [البقرة:١٦٤]. ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت:٩-١١].

وآيات تتصل بطبيعة التواجد والتعايش بين المخلوقات على الأرض مثل: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ [البقرة:٢١و٢٢]. ﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ [البقرة:٣٦]. ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون﴾ [الأعراف:١٠]. ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى. كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ [طه:٥٣و٥٤].

وآيات تدل على أن الأرض أحد المصادر المباشرة لرزق الخلائق مثل: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ [البقرة:١٦٨]. ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد﴾ [البقرة:٢٦٧]. ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ [يونس ٣١]. ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون. وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون. وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ [النحل:١٠-١٣]. ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقاً. فأنبتنا فيها حباً. وعنباً وقضباً. وزيتوناً ونخلاً. وحدائق غلباً. وفاكهة وأبا. متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ [عبس:٢٤-٣٢].

وآيات تتصل بالأمثلة الإيضاحية حسب مراد رب العزة سبحانه وتعالى مثل: ﴿يا

تقديم لعلوم الأراضي

أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مُخلَّقة وغير مخلَّقة لنبين لكم ونُقرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير. وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ [الحج :٥-٧]. ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كِسَفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون. وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين. فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ [الروم:٤٨-٥٠].

ونظراً لأن القرآن الكريم كتاب هداية، فإن ألفاظه ومعانيه أَجْملت وأَوْفت لما أراده الله لها، كما أنه يساير المعرفة في جميع العصور، ومهما تقدمت العلوم فلن تتمكن من الوصول إلى حقائق ما أتى في القرآن الكريم من علوم .. بل إن القرآن الكريم نبأ بذلك حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء:٨٥].

ما قبل خلْق الإنسان وما بعده

وبالنظر إلى الآيات القرآنية التي ورد بها لفظ (الأرض) نجد أنه يمكن تقسيمها إلى مجموعتين أساسيتين:

المجموعة الأولى: تتضمن آيات تبلغ الإنسان عن نشأة الأرض فيما قبل الإنسان، وهذا الأمر يعد (من الناحية الدراسية في عصرنا الحالي) من الأمور الغيبية التي لا يستطيع الإنسان وصفه أو شرحه والتعرض لتفاصيله وليس أمام الإنسان إلا الإسلام والتسليم لله سبحانه وتعالى - ويؤيد هذا الرأي فهمنا لقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ [الكهف:٥١].

والمجموعة الثانية: تتضمن آيات توضح للإنسان بعض صفات الأرض وخصائصها وفي ظل هذه المجموعة سوف يتم بإذن الله وتوفيقه استعراض معرفة الإنسان وإسناد ذلك إلى الآيات التي نعتقد أن معناها يمكن أن يتقبل ذلك بإذن الله.

بين مصطلحات علماء الطبيعة والقرآن

من المعروف حالياً بين المشتغلين بدراسة العلوم الطبيعية أنه يوجد لديهم ثلاثة مصطلحات للفظة الأرض. وهذه المصطلحات الثلاثة هي: (Earth, Land, Soil) فإذا ما استعمل المصطلح الأول وهو (Earth) كان ذلك دلالة على أننا نعني الأرض كأحد كواكب المجموعة الشمسية التي نعيش عليها.

ومن المعروف تاريخياً أن الإنسان كان يعتبر الأرض مسطحة ثم تعدل فكره واعتبرها كروية، ثم حديثاً ثبت بالتصوير الجوي للأرض أنها ليست كاملة الكروية، بل يميل شكلها إلى الكروي المنبعج أو المائل إلى البيضاوية ..

فإذا علمنا أن أول سفن الفضاء ذات الرحلات الناجحة تم إطلاقها عام ١٩٥٧م، وتلا ذلك تصوير الأرض ومعرفة خصائص شكلها بأسلوب تقديري كمي، حيث وجد أن القطر القطبي للأرض يساوي (١٢٦٤٠) كيلومتراً تقريباً (١)، بينما وجد أن القطر

يشير القرآن بشكل واضح إلى التوازن المطلوب في عناصر الطبيعة لتحقيق حياة أفضل للإنسان

الاستوائي للأرض يساوي (١٣٠٧٠) كيلومتراً تقريباً، هذا ما توصل إليه العلم حديثاً .. وهذا قليل من كثير حيث لم نصل إلى معرفة جميع القياسات الخاصة بأبعاد الأرض في الاتجاهات البينية المختلفة.

فما بالنا نجد القرآن الكريم أوجز هذا وأجمله مع ما يمكن أن يتوصل الإنسان إليه من معارف في هذا الشأن - حيث حدد لنا ربنا سبحانه وتعالى شكل الأرض في لفظة واحدة تشمل كل ما عرف وما سوف يعرف، وما لا يستطيع أن يعرف الإنسان - حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ [النازعات:٣٠].

أيضاً لم يكن الإنسان يتصور أن الأرض كجسم هائل معلق في الفراغ الكوني بل كان يعتقد أنها ترتكز على قاعدة ما، أو أنه لا يوجد كواكب أخرى دونها، وأن الأرض ممتدة عمقاً إلى ما شاء الله .. ثم تبين للإنسان بوسائله العلمية أن الأرض ككوكب معلق في فراغ كوني هائل تحيطها السموات من كل جانب وكل اتجاه ،والمقصود هنا بلفظة السموات هو كل ما يعلو الأرض .. وباعتبار أن أي قياس لابد أن يبدأ من نقطة، ويمتد في اتجاه ما ، نجد أننا في مجال الحديث عن الأرض وما حولها نتكلم عن الأرض بلغة المفرد، بينما ما حولها يمثل جمعاً، لأنه متعدد الاتجاه والمقدار.

فلننظر إلى التعبير القرآني عن هذه الحقيقة وياله من تعبير سام: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ [الأنبياء:٣٠].

كما أن هذه الأجرام الكونية دائمة الحركة رغم إحساسنا الظاهري بثباتها - والحركة دليل عملي على حرية الأطراف - وهذا ما يشير إليه العلم الحديث في السنوات الأخيرة.

بينما القرآن الكريم يشير إلى ذلك منذ بدء الرسالة المحمدية، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت:١١].

فكيف للأرض وما يحيط بها من سموات بما فيها من كواكب أن تأتي، أليس ذلك دليلاً على أن أطرافها حرة، وتستطيع

التحرك، بل وأنها فعلاً تتحرك، بدليل قولهما ﴿أتينا طائعين﴾.

أما المصطلح الثاني: وهو (Land) فيطلق على الأرض عندما نريد التعبير عن الجزء اليابس من الكرة الأرضية، وما لسطح هذا الجزء من خصائص، وما لهذه الخصائص من تأثير على حركة الإنسان ومعيشته على الأرض.

فمن البديهي أن الإنسان خصوصاً، والكائنات الحية عموماً تفضل في معيشتها التواجد على أرض سهلة منبسطة ذات مناخ ملائم وذات موارد طبيعية طيبة، سواء كانت هذه الموارد منتجات زراعية نباتية أو حيوانية، أو موارد معدنية وغيرها من خيرات مخزونة في باطن الأرض، أو كانت هذه الموارد من منتجات البحار: كالأسماك، والحيوانات البحرية التي يتسفيد بها الإنسان، أو مقتنيات أثرية بحرية مثل اللؤلؤ والمرجان وغيرها مما عرف الإنسان.

كما أن الإنسان يفضل التواجد بقرب وسائل المواصلات التي تمكنه من الترحال من مكان إلى آخر بسهولة وأمان، وأهم عنصر في ذلك هو الطرق أو السبل الممهدة براً أو المجاري المائية إذا كان الانتقال بحراً.

فكان حرياً بالإنسان منذ أقدم العصور أن يلتزم ذلك كأمر بديهي تلقائي فنجد حالياً التكاثف السكاني متوافق مع تيسر سبل الحياة، والعكس صحيح، وعندما يريد الإنسان التوسع العمراني لمكان ما خالٍ فإنه يختار المكان الأقرب إليه، والأقل تكلفة في أعمال التسوية والتمهيد للمعيشة، والأيسر في توصيل الخدمات إليه، وكل هذه الأمور يحكمها شكل السطح سواء كان مستوياً، أو منحدراً، أو متعرجاً، أو به تباب، أو هضاب، أو جبال..إلخ.

(سطح الأرض) والعلم الحديث

ومن ثم فإن إنسان العصر الحديث يهتم عند حديثه عن سطح الأرض أن يتناول ما يلي:

أ) الموقع: ويتحدد بذلك المكان على سطح الكرة الأرضية، ويتضح بذلك الظروف المناخية للمكان وعلاقة المكان بالأماكن الأخرى وما به من موارد طبيعية عموماً.

ب) شكل السطح: ويتحدد ذلك بالشكل العام للمكان والذي عادة ما يوصف بأحد الأوصاف الآتية: مستوٍ – مائل – منحدر – مرتفع – متموج – هضبة – جبل – منخفض – وادٍ.

جـ) المنسوب: ويتحدد به ارتفاع الموقع عن سطح البحر، ويهمنا بالتحديد تبيّن ارتفاع الموقع عن مصادر المياه الصالحة للاستعمال الإنساني، سواء في أغراض صحية، أو إنتاجية زراعية نباتية، أو حيوانية.

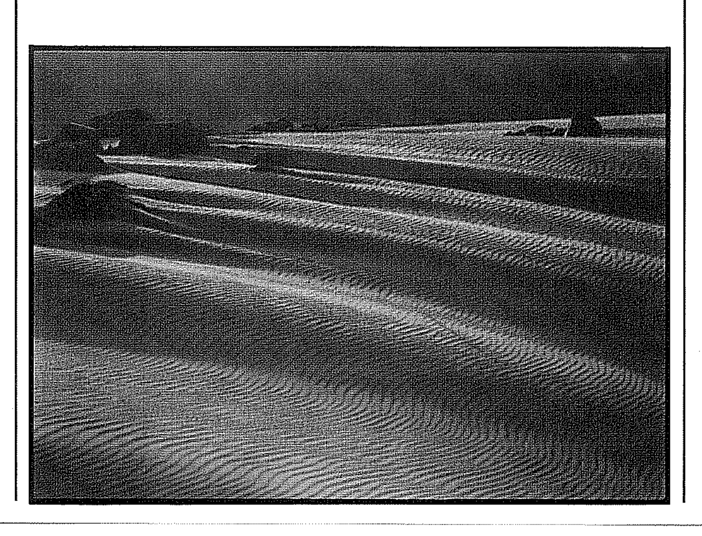
وحيث إن الموقع يحدد المناخ بصفة عامة مثل المناخ القطبي والاستوائي والقاري، وهكذا للمناطق المتباعدة، فإنه يحدد أيضاً طول الليل والنهار لذات المكان نتيجة دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، وهذه الدورة معروفة، وهي دورة يومية تتم كل ٢٤ ساعة تقريباً.

فلو افترضنا أننا عند نقطة على خط الاستواء مثلاً، حيث يبلغ طول محيط الكرة الأرضية حوالي ٤١٠٤٠ كيلومتراً تقريباً(٢)، وأن هذه النقطة تعود إلى مكانها أمام الشمس مرة كل ٢٤ ساعة نتيجة دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، فإن ذلك يعني أن هذه النقطة تتحول بسرعة تساوي (١٧١٠) كيلومترات في الساعة تقريباً. وفي أثناء حركة الأجسام العادية غير المتوازنة (ذات الأشكال المنبعجة) بمثل هذه السرعة الدورانية يتحتم اختلال وضع أجزائها بالنسبة لبعضها البعض، بينما نجد من رحمة ربنا بنا أن خلق الجبال وجعلها رواسي في الأرض أو أوتاداً تتثبت بها أجزاء الأرض وأوضاعها بالنسبة لبعضها البعض في أثناء حركة الأرض المستمرة ذات السرعة العالية المشار إليها سابقا.

وكيفية ذلك فيما نعلم – والله أعلم – أن الجبال تم توزيعها (بعلم الله سبحانه وتعالى الذي خلق كل شيء بقدر)، بحيث أن ما تمثله من نتوءات على سطح الأرض وما تحويه من كتل مكثفة في مواضعها تحقق اتزاناً في توزيع الكتل المحيطة بمركز ثقل الأرض، وبمجرد دورانها بحيث لو أخذنا أي قطر يمر بمركز الثقل في أي اتجاه ويوصل بين نقطتين على سطح الأرض، فإن مجموع القوى (الكتل) مضروباً في ذراعها على أحد جانبي هذا المركز سوف يساوي مجموع القوى (الكتل) مضروباً في ذراعها على الجانب الآخر للمركز على نفس امتداد الذراع الأول.

والمعنى الآخر يتحقق بأخذ مقطع أفقي في شبه الكرة الأرضية عند أي مستوى متعامد على محور حركة الأرض (دورانها حول نفسها أمام الشمس)، ثم بتوصيل أي قطر داخل هذا المقطع، فإننا نجد أيضاً أن مجموع القوى (الكتل) مضروباً في ذراعها على أحد جانبي المحور لابد أن يتساوى مع مجموع القوى (الكتل) مضروباً في ذراعها على الجانب الآخر للمحور على نفس الامتداد فسبحان الله .. ومن يستطيع الإجابة على السؤال القرآني المعجز: ﴿ألم

■ يساير القرآن الكريم المعرفة في جميع العصور، بل سبقت آياته كثيرا من حقائق العلوم المعاصرة



تقديم لعلوم الأراضي

نجعل الأرض مهاداً. والجبال أوتاداً﴾ [النبأ ٦ و٧].

أما وظيفة الجبال الثانية فيما نعلم: أنها تعمل كمصدات للرياح بما تحمل من مواد وأتربة وبالتالي فإنها تحد من فعل عوامل تعرية سطح الأرض من المواد الناعمة.

أما الوظيفة الثالثة للجبال فيما نعلم: أنها تعمل على تنوع المناخ المحلي للأماكن التي تحتلها الجبال حيث إنه من المعروف أن درجة الحرارة تنخفض كلما ارتفعنا عن سطح الأرض بمعدل من ٦ إلى ٦,٥ درجة مئوية(٣) لكل ألف متر خلال طبقة التريوسفير (حوالي ١٥ كم ارتفاع)، وبذلك نجد تدرجا حرارياً مع ارتفاع الجبل، أيضاً نلاحظ أن قمم الجبال وجوانبها المنحدرة لا تجمع ولا تسمح بتجميع مياه المطر الساقطة عليها، بل تتركها تسيل إلى ما يجاور الجبال من سفوح وأودية، وهذا يؤدي إلى توزيع محلي للمطر مخالف عن توزيعه الطبيعي المتجانس للمكان الواحد.

وباختلاف التوزيع المحلي لسرعة الرياح ودرجة الحرارة، ومعدل سقوط المطر، تختلف تباعاً الرطوبة النسبية والضغط لذات المكان، وهذه الاختلافات تمثل تبايناً مناخياً في المكان الواحد، الأمر الذي يحقق لهذه الأماكن ما يسمى الاكتفاء الذاتي في بعض متطلباتها المناخية والمعيشية.

وهذه الأمثلة للحقائق العلمية السابقة، نسوقها ضمن فهمنا للآية الكريمة: ﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يُغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الرعد:٣].

أما المصطلح الثالث وهو (Soil) فيطلق على التربة الزراعية وتعرف بين المشتغلين بعلوم الأراضي أنها تمثل الجزء الخارجي أو السطحي للغلاف الخارجي للقشرة الأرضية، والتي تتميز بوجود قطاع يعكس تأثير عوامل تكوين الأراضي عليها، وأنها تقع في تماس مباشر مع الهواء الجوي.

وهذه الأرض لم يدَّع أحد ملكيتها أو خلقها، أو خلقه مثلها، فسبحان الله عما يشركون: ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ [طه:٦].

ولذا اتجهت كل دراسات علم الأراضي إلى دراسة خواص الأرض فقط، وكيفية الاستفادة منها على طبيعتها التي هي عليها ولم تنجح أعمال الاستصلاح إلا في إعادة حالة التربة إلى ما كانت عليه قبل تدهورها، أما استصلاح أراضٍ غير قابلة للاستصلاح بطبيعتها فلم ينجح أي من برامجه حتى الآن.

ومن ثم، فإن الجانب التطبيقي لدراسة التربة يعمد إلى إعادة استزراع الأراضي التي كانت صالحة للزراعة فيما مضى، ولسبب ما توقف استزراعها، كما يعمد إلى تحسين ورفع كفاءة الإنتاج للأراضي المنزرعة حالياً.

وفي إطار الهدفين السابقين تقسم أعمال المشتغلين بعلوم الأراضي خصوصاً في الجانب التطبيقي بصفة أساسية إلى:

١- استصلاح أراضٍ.
٢- تحسين أراضٍ.
٣- خدمة أراضٍ.
٤- صيانة أراض والمحافظة عليها من التدهور.

وللتعامل مع هذه المجالات الأربعة، يجب تقدير الصفات الآتية للتربة(٤):

١- الموقع.
٢- الانحدار.
٣- التضاريس.
٤- النحر.
٥- الصرف السطحي.
٦- لون التربة.
٧- عمق قطاع التربة.
٨- نفاذية التربة.
٩- كثافة التربة.
١٠- مسامية التربة.
١١- قوام التربة.
١٢- وجود أحجار من عدمه.
١٣- بناء التربة.
١٤- الصرف الداخلي.
١٥- قدرة الأراضي.
١٦- نسبة الماء الميسر للنبات.
١٧- المادة العضوية المساعدة على الاحتفاظ بالماء.
١٨- كربونات الكالسيوم.
١٩- السعة الامتصاصية للأيونات.
٢٠- الأملاح.
٢١- العناصر الغذائية.
٢٢- العناصر الثقيلة.
٢٣- التكوين المعدني.
٢٤- المناخ.
٢٥- الغطاء النباتي.
٢٦- إنتاجية الأراضي.

وردت لفظة (الأرض) في الآيات القرآنية في ميادين الخلْق، والطبيعة، والإعجاز المطلق، والعبودية، والرزق، مما أبعدها عن الوصف السطحي العابر

العلاقة الوثيقة بين التربة والنبات

وبتقدير هذه الصفات للتربة ومقارنتها بقيم صفات الأراضي عالية الإنتاج، يتضح لنا المطلب، وتتحدد احتياجات الأرض إلى عمليات الخدمة التي ترفع من قدرتها الإنتاجية. والواضح علمياً وعملياً هو ضرورة إتمام هذه الدراسة وإتمام عملية الخدمة قبل زراعة التربة، وهذا هو ما ذكره القرآن الكريم صراحة، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صباً. ثم شققنا الأرض شقاً. فأنبتنا فيها حباً﴾ [عبس :٢٤-٢٧].

وفي الواقع أن إنتاجية التربة تتوقف على عوامل عديدة، بعضها خارجي ولا يمكن للإنسان التحكم فيه أو توجيهه. مثل: المناخ، والعوامل البيئية، والآفات، والأمراض، وذلك برغم محاولات الإنسان في مجالات مقاومة الآثار الضارة للعوامل السابقة.

كما أن الإنتاج يتوقف على عوامل داخلية يمكن للإنسان المساهمة في تحديد مقاديرها، وذلك مثل خواص الأراضي، والتعديل من قيمتها نتيجة لعمليات الخدمة، مثل: نوع النبات، واختبار بعض السلالات منه ذات صفات خاصة، ومثل: صفات مياه الري، ومحتوياته من العناصر

المختلفة.

أي أن صفات المنتج النهائي للزراعة النباتية (عند ثبوت العوامل البيئية) تتوقف على(٥):

١- صفات التربة.
٢- صفات النبات(٦).
٣- صفات مياه الري.

فمن البديهي أن كل نبات يتأثر بالصفات السابقة هي جملة صفات لكل من التربة والنبات والماء على المستوى العام (بمعنى للأراضي المختلفة، والنباتات المختلفة في أنواعها، والمياه المختلفة في صفاتها) - بينما على المستوى الخاص - بمعنى لكل نبات مفرد - فإن كل نبات يتأثر بحجم الأرض الذي تنتشر فيه جذوره، وبمدى ما فيه من ماء ميسر للنبات، وصفات هذا الماء.

وهذه الجزئية الأخيرة تدل على أن لكل نبات عمق تربة خاص به، وكمية عناصر غذائية متاحة، ووسطا معينا تنتشر به جذوره، ونسب رطوبة محيطة به، ونسباً خاصة بين العناصر داخل هذا الوسط المحدود المحيط بجذر نبات واحد، ومن المستحيل أن تتساوى هذه الصفات لنباتات النوع الواحد المنزرع في أرض واحدة، بل إنها لا تتساوى ولا تثبت للنبات الواحد المفرد.

فمع نمو النبات يزداد انتشار جذوره، ويتاح له التعامل مع حجم تربة أكبر، وبالبعد عن السطح يقل انتشار رطوبة مياه المطر، أو مياه الري، وبالتالي يقل ذوبان العناصر الغذائية وصلاحيتها لكي يمتصها النبات، وربما بزيادة التعمق لجذر النبات وصل إلى مستوى الماء الأرضي، وربما كان ماء أرضياً مالحاً، أو ذا تأثير قلوي، وهذا له تأثيره على نمو الجذر، ومن المعروف أن نمو الجذر مؤثر ومرتبط بنمو المجموع الخضري والثمري للنبات.

■ لم يقتصر الإعجاز القرآني على فصاحة الألفاظ ومتانة البناء اللغوي، وإنما فيه من الإعجاز العلمي ما لايدع حجة لكافر

مما تقدم يتضح أن إنتاجية النبات «نوعاً وكماً» تتأثر باختلاف صفات التربة، وباختلاف نوع النبات وكفاءة عمليات الخدمة، واختلاف صفات المياه المستعملة في الري، سواء كان ذلك لأراضٍ متجاورة، أو لنفس التربة في مساحة محدودة لنباتات مختلفة النوع، أو لنبات نوع واحد.

أما الشيء الأكثر غرابة مما تقدم فهو اختلاف إنتاجية النبات ذي النوع الواحد المنزرع في مكان واحد، ويروى بنفس المياه، وتقدم له الخدمة بنفس الكفاءة من يد مزارع واحد، فلو أخذنا نباتين متجاورين تحت هذه الظروف، فإننا نجد أن إنتاجهما يختلف في طعمه عن بعضهما البعض، وذلك يرجع للاختلاف في الاتزان الغذائي في المنطقة المحيطة بالجذر لكل منهما.

وأبسط معاني الاتزان الغذائي في البيئة الخارجية للجذر: أن تتواجد العناصر الغذائية في هذه البيئة أولاً، بنسب وبكميات مناسبة، لاحتياج النبات بحيث تكون علاقة هذه العناصر مع بعضها متكافئة كيماوياً، ومتعادلة كهربياً، بمعنى أن يكون مجموع الشحنات الموجبة على عناصرها مساوٍ لمجموع الشحنات السالبة على العناصر التي تحملها.

وأصبح الآن من الثابت علمياً وعملياً أن هذا الاتزان لا يتساوى لنباتات النوع الواحد المنزرع تحت ظروف قياسية (حسب تقدير الإنسان) ثابتة، وذلك نظراً لأن لكل نبات اختيارية خاصة للعناصر، ومعدلا خاصا في الامتصاص، ونظراً لهذا الامتصاص الاختياري بتغير الاتزان في البيئة الخارجية بين العناصر، وبديهي أن التغير في محيط كل جذر نباتي لا يتساوى مع التغير في محيط الجذور الأخرى.

على أن صفات الأراضي والنباتات والمياه، وإن بدت ثابتة في لحظة ما لمكان ونبات ومياه معينة، إلا أنها في الواقع دائمة التغير الديناميكي، وأن نتائج هذا التغير تختلف من محيط نبات إلى آخر، وأن إنتاج كل نبات يتوقف على نتائج هذا التغير المستمر نتيجة التأثير المتبادل بين النبات والبيئة.

وهذا قليل من كثير فيما أشار إليه القرآن الكريم في آية واحدة: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأُكُل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ [الرعد :٤]. ﴿فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾□

الهوامش:

(١) د. محمد إبراهيم فارس، د. محمد يوسف حسن، د. مراد إبراهيم يوسف (قاعدة الجيولوجيا العامة والتطبيقية)، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦٤م.

(٢) د. محمد جمال الدين الفندي، الطبيعة الحيوية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٦٤م.

(٣) د. محمد جمال الدين الفندي، الطبيعية الجوية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٦٤م.

(٤) د. محمد أحمد عبد المطلب، د. سيف الدين أحمد حسين (تقييم الأراضي الزراعية)، كلية الزراعة، جامعة الأزهر، القاهرة ١٩٨٥م.

(٥) د. محمد أحمد عبد المطلب (مبادىء التغذية المعدنية للنبات) الطبعة الأولى، كلية الزراعة، جامعة الأزهر ١٩٨٧م.

(٦) د. محمد عزيز فكري، د. عماد الدين الشيشيني (الخلية من النواحي السيتولوجية والبيوكيماوية والوراثية) الجزء الأول، الأعضاء الأساسية في الخلية وفسيولوجيتها، الطبعة الأولى، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٠م.



تجدد الرؤية الاسلامية في فكر الشيخ محمد الغزالي

بقلم: صبري عبد الله قنديل

علمنا إسلامنا الحنيف آداب الحوار العام وآداب الاختلاف في الرأي واحترام العقل المفكر، وشجع على إعمال الفكر والتخلق بشجاعة العلم وقوة الايمان وبصيرة العقيدة للاجتهاد فيما ينفع الأمة ويزيل الالتباسات المتراكمة، ويفتح الطريق أمام الارهاصات البناءة التي تعمق وترسخ وتبني وتنهض وتقوى وتعضد. لقد حاول كثير من العلماء الذين يملكون من الجرأة ما لا يجعلهم يخشون في الله لومة لائم أن يبصّروا الأمة ويأخذوا بأيد المسلمين إلى الأمام، إلا أن دعاة السلطان وبعض الظلاميين من أهل التقليد والتجمد – وما أكثرهم في تاريخنا – كثيراً ما قوّضوا بعض هذه المحاولات وجندوا أقلامهم للنيل من علماء التنوير والاجتهاد فعطلوا مصالح الأمة ونصبوا لهم فخاخ الدسائس وجروا بعضهم إلى ميدان الجدل الفارغ، والمعارك المبتذلة التي يتصاعد فيها القتال بالكلمة بصورة شرسة تمتد لحد الرمي بالكفر والزندقة، فيضطر بعض الثقاة إلى ترك واجبهم درءاً لمهاترات المتهاترين وبقيت الأمة ترفل في بلاء التخلف الذي دفع ببعض الأبناء إلى منطق الزيغ والشرود. وإذا كنا بحاجة في هذه الظروف إلى الترابط على قلب رجل واحد فنحن أيضا بحاجة إلى فكر موضوعي صادق يضعنا أمام أنفسنا ويناقش جوانب الخلل بصراحة بناءة.

فرقتنا أضعفتنا

يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه: (الطريق من هنا):

تخلف العالم الاسلامي في قضية معروفة وإن كانت مخجلة، وهذا التخلف أطمع الأقوياء فيه من اعدائه بل طمّع فيه من لا يحسن الدفاع عن نفسه وشر من ذلك أن هذا التخلف ألصق بالاسلام تهما كثيرة، بل إن عقائد خرافية فكرت في إقصائه ووضع اليد على أتباعه، ولست ألوم أحدا استهان بنا أو أساء ظنه بدينا ما دمنا المسؤولين الأوائل عن هذا البلاء وأن القطيع السائب لابد أن تفترسه الذئاب. هذا تأكيد على فرقتنا التي أضعفتنا وهو واقع لم يجد فضيلته غير بلورته على هذه الصورة حتى وإن كان ذلك غير مباشر.

وهو يذهب إلى تفاصيل يرى من خلالها أن الاسلام يعاني اليوم من أمرين:

الأول تصور مشوش يخلط بين الأصول والفروع والتعاليم المعصومة والتطبيقات التي تحتمل الخطأ والصواب..

والثاني أن جماعات متربصة تقف بعيدا دون عمل تنتظر بأعداء الله الويل والثبور وعظائم الأمور وهي في ميدان الدعوة الاسلامية بطالة مقنعة، لأن المسلم، سواء ملك سلطة رسمية أم لم يملك، انسان ناشط دؤوب لا ينقطع له عمل في الشارع أو البيت أو المسجد أو الحقل أو المصنع أو الدكان أو المكتب، وليس العمل المطلوب مضغ كلمات فارغة أو مجادلات فقهية أو خصومات تاريخية، والمجتمع الذي يعجز عن محو تقاليد سيئة في دنيا الأسرة لن يحقق نصرًا في دنيا السياسة..

إن الجهاد الاسلامي كدح مضن في

ميادين وعرة. وقد ساق الله الدولة للمسلمين الأوائل وهم مشغولون بالعمل له وبناء مجتمع رباني خالص من الرزائل والمآرب. تلك مكاشفة أراد بها فضيلته إبراز همّة المسلم وتاريخه الطويل الحافل بالارادة والقدرة على التحمل الذي انتصر بهما وفتح بلادا جديدة وأقام بهما حضارة رائدة من أجل هذا كانت دعوته الى تغيير العقل الذي يفكر به الدعاة والمدعوون وهو يجزم بأنه ليس عقلا إسلاميا..

ولقد علت في السنوات الأخيرة نبرات خرجت بالحوار عن آدابه وتقاليده المتعارف عليها اسلاميا ودخل إلى ميدانه أناس يجهلون بدهياته ويفتقرون إلى الحكمة والرؤية المتبصرة. وكذلك الثقافة التي تشكل شخصية المتصدي للحوار بالتي هي أحسن وتحول ميدان الحوار إلى منطقة مخيفة ومرعبة تحرسها جوقة لا يرون في الميدان إلا أنفسهم وليس في وسعهم مجال لرأي مخالفيهم حتى ولو كانوا على صواب والذي يعيد النظر ويجد المبرر الموضوعي لرد بضاعتهم هو خارج عن الدين أو عميل وفي النهاية هو كافر..

وتمضي حمية الشيخ محمد الغزالي ونحن لازلنا معه في (الطريق من هنا) فيقول:

إن العقيدة الاسلامية أساس حضارة راشدة راقية ولا يسوغ أن يتذرع بها من يخدمون مآربهم وأغراضهم. وأن كثيرا من المعارف المسمومة والفتاوى الكاذبة والأحكام الطفيلية قد عاشت وغلظت في حضانة الحكم الفردي والاستبداد السياسي، وقد لاحظت أن جماهير المسلمين خلال عدة قرون احتبست في مجادلات لا تساوي قلامة ظفر، وهاجت أعصابها في خلافات محمومة لا طائل تحتها وأن السياسة الفاسدة تبقى وتنمو في جو الثقافة الفاسدة وهي إذا لم تجدها سعت لخلقها ، واحتضان رجالها والحكم الاسلامي في قرون خلت لم يرتفع إلى مستوى الاسلام نفسه. فلا عجب إذا فشل في تبليغ رسالته وفي الدفاع عنه عندما تعرض له الأزمات، وتلك إشارة أخرى واضحة لا يمكن اغفالها وأهميتها ونحن إزاء عدة مآسي تتعرض لها الأمة!

أين العلم الذي يسعفنا؟!

ويتواصل في نفس الكتاب تأمل فضيلته مع الحمية فيقول:

إن فساد المبتعدين عن الله الجاهلين بحقوقه، سوف يعلل بأنهم لا إيمان لهم أما فساد المتدينين فإنه يرتد إلى الدين نفسه بالنقض، يجر عليه تهما هو منها براء، فحكمة الله واضحة في تأخير المتدينين الجهلة وحرمانهم من السلطة والأمة الاسلامية منذ بضعة قرون تتدحرج إلى أدنى، والمصلحون الذين هم شهداء عليها يوم القيامة لا يلقون منها إلا عنتا، وقد فقدت في أثناء هذا التدحرج أمرين جليلين..

أولهما: الشمائل الاسلامية التي اختصت بها الرسالة الخاتمة.

والآخر: الملكات الانسانية التي تتمتع بها الشعوب الراقية والتي تجعلها سباقة في ميادين الحياة المادية والأدبية وتلك هي الحال عند بعض المتدينين الذين يسرفون في المواجهة بأساليب بعيدة كل البعد عن روح الاسلام وتعاليمه السمحة. من أجل هذا يتساءل فضيلته – هل لنا من العلم من نصيب نقطع به المشوار الطويل؟

إن النصيب الذي لدينا هو ما يرميه خصومنا إلينا فنحن على فصولهم العلمية نعيش، فأين العلم الذين يسعفنا

أين العلم الذي يصون عقائدنا وآدابنا ويجعل يدنا العليا؟

ويقيم لنا صناعة مستقلة؟

أين العلم الذي يصون عقائدنا وآدابنا ويجعل يدنا العليا؟

أين العلم الذي يحكم علاقتنا بكتابنا وينقلنا إلى جوه الممدود بين السماء والأرض؟

أين العلم الذي يقدرنا على أن نثير الأرض ونعمرها؟

إن تتابع مواجهة الخلل ونقد العيوب كرؤية في كتب الشيخ محمد الغزالي يكشف لنا عن مدى حرصه على ربط الاسلام بحركة الحياة بشكل عام، ونجده يدقق النظر كذلك في مناهج الغرب وأسرار تقدمه وهو يبرز عيوبنا وسر تخلفنا ولم تخنه شجاعته في قول الحق ولهذا تحركت ثورته على كل ما يجرى من خلال كتابه (ركائز الايمان).. فدعا إلى مراجعة ثقافتنا التقليدية.. يقول فضيلته:

إن الطريقة التي يواجه بها المسلمون الحياة تحتوي على أغلاط كثيرة ومرد ذلك إما إلى جهلهم بأمور كان يجب أن يحيطوا بها علما، وإما لعلمهم بأمور على غير وجهها الصحيح والثقافة التقليدية هي التي تصنع عقيدة الأمة ومزاجها وشخصيتها ووجهتها مسؤولة عن ذلك القصور السائد، لأنها تنقص عناصر لابد منها لتكوين الغذاء العقلي المطلوب للجماهير ولأنها خلال القرون الطوال تضمنت جملة من التصورات والأحكام المعيبة، ولأن ما بها من حقائق مازال يعرض العرض المنفر أو يفسر التفسير الناقص، وذلكم هو السر الأول في تخلف العالم الاسلامي خلال العصُورُ الأخيرة تخلفا جعل الأوربيين نتذ عصر الأحياء – ينفردون بقيادة القارات الخمس! وانحطاط التعليم الديني في هذه المجالات هو المسؤول عن تكوين أجيال ضعيفة الأفق بيّنة القصور، لا تتقدم بها دنيا، ولا ينتصر بها دين.

ثم يعيب فضيلته على ترك الأمة

تجدد الرؤية الاسلامية في فكر الشيخ محمد الغزالي

ينابيعها العلمية حتى خفت فيعود بنا (للطريق من هنا) متسائلا:

لماذا جفت ينابيع العلم؟.. إن الله جعل معرفته والحفاظ على حقوقه مربوطين بدراسة الكون، والتمكن فيه فاذا كنا خفافا في هذه الدراسة أو كنا ذيولا لغيرنا فهل نحن بهذه الخفة عارفون بالله، قادرون على صيانة حرماته؟

فأي تناقض مذهل إذا مشى الكافرون بين مخلوقات الله وهم يسبرون أغوارها ويعرفون أسرارها ويجيدون استخدامها، ومشي المؤمنون بين هذه المخلوقات لا يكادون يفقهون حديثا أو يحسنون صنعا؟ وكل ما يجيدونه هو الحوقلة والتواكل.

العقل والعلم

أما في كتاب (خلق المسلم) فيعرض فضيلته لطبيعة الاسلام وهي طبيعة تفرض على الأمة التي تعتنقه أن تكون أمة متعلمة ترتفع فيها نسبة المثقفين وتتقدم بهم وتهبط فيها نسبة الجاهلين ذلك لأن حقائق هذا الدين من أصول أو فروع ليست طقوسا تنقل بالوراثة أو تعاويذ تشيع بالإيحاء، وتنشر بالإيهام، كلا إنها حقائق تستخرج من كتاب حكيم ومن سنة واعية ولابد من أمة تتوافر فيها الأفهام الذكية والأساليب العالية والآداب الكريمة حتى تنهض بالأمة وتتقدم بها وتجعلها في مصاف مثيلاتها من الدول الحضارية.

إن فضيلة الشيخ محمد الغزالي لم يترك جانبا من الجوانب الأساسية التي تتعلق بجوهر حياة الأمة إلا وطرقه وأعمل فيه العقل والتفكير الأمين وأعلن فيه الرأي من خلال مؤلفاته التي تتميزبالحيوية الفكرية والرؤية التي تبرز عمق ديننا وتحضره على مدى الأزمان ومن هنا كان تشبثه وحرصه أن

احترام المسلمين لنسائهم جاء ثمرة نضج المجتمع ومعرفة الأنثى لوظيفتها الصحيحة

يدور مع القرآن وبهذا العمق يمضي بنا مع (ركائز الايمان) حيث يرصد حالة الانفصام التي سيطرت على فعاليات حياتنا ويرى أن الإصلاح الحقيقي يجب أن يكون أولا وثانيا وثالثا في السؤال الآتي:

كيف نحوّل الفكر إلى عمل؟ وكيف نمنع الفكر من أن يتبخر؟ وكيف لا نفكر إلا إذا ضمنا العمل بما نفكر؟

إن الفكرة ميتة ما لم يحييها العمل. خيال ما لم يحققها العمل، ولذلك يجب أن تتضافر الجهود لدفع المسلمين إلى هذا السبيل، سبيل العمل الذي يملأ القلب ويزخم الحياة.

إن المتأمل لرؤية فضيلة الشيخ محمد الغزالي يرى أنه لا يقتحم القضايا التي يتناولها بل يتأملها تأمل المحب لدينه العاشق لإسلامه ولذلك رفض المزاعم الهلامية التي تبناها الجدليون المعاصرون حول نظرة الاسلام للمرأة وخصها بكتاب (قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة) ولم يغفل القاء الضوء على جوانب دورها ومكانتها في

كل مفقود يمكن أن تسترجعه إلا الوقت، فهو إن ضاع لم يتعلق بعودته أمل

العديد من كتبه السابقة لهذا الكتاب وفي (ركائز الايمان) يقول:

نريد أن نتأمل في أساليبنا نحن العرب والمسلمين - مع المرأة - وأن نقابل بين ما انتهى إليه الاسلام في هذا الشأن وبين ما وصل إليه مفكروا الغرب وتقدم الحضارة الحديثة ومن الخير أن ننفي زعما شاع بين الناس أن العرب في جاهليتهم كانوا يهينون الأنثى ويغمضون مكانتها، واحترام العرب لنسائهم جاء ثمرة نضج الذكورة، وعرفان الأنثى لوظيفتها الصحيحة..

فالمرأة إما زوج حانية أو أم مربية أو في طريقها إلى هذا المصير ووظيفة ربة البيت من أشرف الوظائف في الوجود، وما يحسنها إلا من استكمل لها أذكى الأخلاق وأنقى الأفكار وفي نطاق تعاليم الاسلام لا يقل وعي المرأة عن وعي الرجل بقضايا الدين وما كان نساء الصحابة والتابعين جاهلات بكفاح الاسلام في أرجاء الجزيرة ضد الوثنية، أو بكفاحه بعد ضد الفرس والروم ولكن توزيع الأعباء أعطى كلا الجنسين نصيبه من العناء دون تعسف.

إن المشكلة ليست في عمل المرأة أيا كان نوعه، بل المشكلة في وجود ذلك العمل ولون المجتمع العام الذي يتم فيه، لقد رأينا المرأة في صدر الاسلام لا تقل عن الرجل علما ولا جهدا في خدمة دينها وأمتها وبيتها وولدها، رأيناها في القادسية واليرموك في أشرف المواقف وأجدرها بالتكريم ولم نرها أبدا مجندة للترفيه عن الرجال ولا رأيناها حسرت عن صدرها وركبتيها باسم العمل في المكاتب أو المصانع. إن الأخلاق كما نرى هي نقطة الارتكاز المضيئة للحياة الانسانية وهي في رأي فضيلته ليست شيء يكتسب بالقراءة والكتابة أو الدعاية والخطابة.

ثم يعود بنا إلى (الطريق من هنا) فيقول:

إنها درجة تكتسب بالمعاناة الشديدة، وكيف تنتقل من أدنى إلى أعلى؟

والأخلاق لغة عالمية تتفاهم بها الشعوب على اختلافها وتتحاكم إلى منطقها وربما اختلفت تقاليد وأحكام لكن الأخلاق تظل مرتكزة إلى ما أودع الله في الفطرة من تحسين الحسن وتقبيه القبيح ولكي يعود سلطان الأخلاق إلى عرشه يجب أن يعود اليقين إلى الأفئدة وأن تألف الجماهير الصلاة، وأن تنتصر الفضائل على الشهوات وألا يحترم كذوب أو يتقدم مفرط ثم يمتد بنا الفهم إلى مكونات الخلق الأساسية التي لا يمكن أن تستقيم الأخلاق إلا بها وفي مقدمتها الإيمان الذي تقوم عليه كل الفضائل.

دعوة إلى الخير

يقول شيخنا الجليل في كتابه (خلق المسلم):

الايمان قوة عاصمة عن الدنايا، دافعة إلى المكرمات، ومن ثم فإن الله عندما يدعو عباده إلى خير أو ينفرهم من شر يجعل ذلك مقتضى الايمان المستقر في قلوبهم وقد أوضح صاحب الرسالة أن الايمان القوى يلد الخلق القوي وأن إنهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الايمان، يقول الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (الحياء والإيمان قرناء جميعا فاذا رفع أحدهما رفع الآخر).

إن الاسلام جاء لينتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، وأنه اعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل نابعة عن صميم رسالته كما أنه عد لاخلال بهذه الوسائل خروجا عليه وابتعادا عنه، لهذا كانت الغاية من بعثة الرسول صلوات الله عليه (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

ثم ينقلنا فضيلة الشيخ إلى النظر في خوارق العادات. معناها ودلالتها من خلال كتاب (ركائز الإيمان) فيقول.. الخرافيون من الناس آفة الأديان والأخبار في كل زمان ومكان، والمسلم الذي آمن بربه عن عقل يحسن الفهم

الايمان قوة عاصمة من الدنايا دافعة إلى المكرمات

والاستدلال ليس مستعدا لإلغاء كيانه المعنوي بأي ثمن وهناك خوارق للعادات أنبأنا الله عنها في كتابه، وهذه نتلقاها جميعا بالصدق (ومن أصدق من الله حديثا).

إن خالق الكون جل شأنه ومبدع نواميسه جعل من هذه النواميس وما يقع في الكون من خوارق إنما يتم وفق سنن كونية قد يكشف عنها العلم أو تبقى مستورة أبدا، أما ما يتداوله الناس بينهم من قصص وقعت أو لم تقع، فلا علاقة لديننا برأينا فيها ومزاعم الدهماء في تلك القضايا لا وزن لها والأقرب إلى طبيعة الإسلام تعليم الجماهير إحترام القوانين العامة شرعية كانت أو كونية أو عقلية، وحماية التفكير الديني من شطحات الملتاثين هو الذي يحميه من الزيغ.

أما المزاعم الروحية الحديثة والتي استدرجت الذين استدرجتهم الأوهام يفندها فضيلته قائلا عند بعض المتدينين طيبة تبلغ حد السذاجة وإيمانهم بالغيب إذا تجاوز حدود الكتاب والسنة قد يكون ثغرة تنفذ منها الأساطير، وتضاربها حقيقة الدين وقصة تحضير الأرواح التي شاعت في عصرنا قد اكتنفتها أوهام شتى وسرت في ركابها أفكار ينكرها الاسلام، ولعل إحقاق الحق في هذه القضية يضع الحدود لجدل كثير ويغلق الأبواب أمام

الخرافيون من الناس آفة الأديان والأخبار في كل زمان ومكان

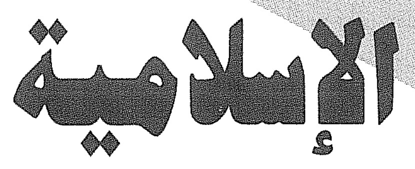
ترهات لا أول ولا آخر لها. إن دنيا التقدم بكل ما أحدثت من نهضة وصلت في بعض جوانبها إلى تحويل الخيال إلى واقع إنما استمدت علمها وفكرها من الاسلام وإذا كان الغرب يمسك بيده الزمام فهو لتقاعس المسلمين وليس لجمود الدين الجامع لعلوم الدنيا والآخرة.

والوقت هو أحد العناصر الهامة في حياة أي أمة لا يهتم به أهل اللغو الذين يحاربون بكل ما في أيديهم لتجميد الحركة الاسلامية. ولذلك يقول الشيخ الجليل: كل مفقود يمكن أن تسترجعه إلا الوقت فهو إن ضاع لم يتعلق بعودته أمل وقد وزع الإسلام عباداته الكبرى على أجزاء اليوم وفصول العلم والزمن يستغرق التكاليف التي نيط بأعناق العباد، فهو يستوعب الأقضية التي أرسلها الله على الناس من خير وشر وهي أقضية تفيض بالعظات الحقة. إن هذا الفكر وإن أختلف حوله كثير ممن لم يستوعبوا أبعاد القضايا الاسلامية، فقد وضعنا أمام أنفسنا رغبة ودعوة لإعادة صياغة العقل المسلم وإكتسابه قدرة التعامل مع هذه القضايا بفكر متجدد يقاوم الجمود والتخلف.

إننا أمام رؤية إسلامية تجاوزت أنماط القوالب وفكر شجاع وجاد يواجه ويكشف بأمانة مدى حجم الفجوات التي يعاني من ظلمتها فكرنا الاسلامي ومدى حاجة الحوار الاسلامي إلى مراجعة تأخذه إلى مناقشة قضايا الأصول التي تنهض بالأمة مثلما نهضت في آفاق العلم والمعرفة وتنقية المناخ من ركام السفسطة وكفانا إستغراقاً كل هذه السنوات الطويلة ان نكون أسرى لفكرة الدعة والاسترخاء والضعف الذي يأكلنا وقد آن الأوان لأن ننظر أمامنا لنحدد توجه خطانا على الطريق ونعلم مكاننا بين الأمم ولن يكون لنا ذلك إلا بفكر يكشف لنا معالم هذا الطريق□

أيا كانت ديانتك فأنت في الدولة الإسلامية لك حق المواطنة، وتتمتع بالمساواة والعدل، وإن كنت ذا خبرة فلك مكانتك. فقد تضع الدولة شروطاً لتولي بعض المناصب ذات الصفة الدينية، وهذا حق فإن توفرت فيك فمرحبا بك، وإلا فلن ينتقص أحد حقك. حول هذه المعاني وغيرها يحدثك هذا المقال.





بقلم: الدكتور محمد عمارة

في القرآن الكريم، وفي الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة «الممتحنة» تحديد لمعايير الإسلام في الموالاة والمعاداة بين المسلمين وغير المسلمين ﴿لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون».

وانطلاقا من هذه الآيات المحكمة فالمواطنون من أبناء الأقليات الدينية - الكتابيون - الذين يعيشون مع الأغلبية المسلمة ويشاركونهم الانتماء للوطن، والولاء له، هم شركاء في المواطنة، لهم البر والعدل، فريضة من الله على الأغلبية المسلمة.

الموالاة نوعان

وإذا كان الإسلام قد جعل من التعددية في الشرائع الدينية سنة من سنن الله في الاجتماع الديني: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [المائدة/٤٨]. فإن دستور دولة الإسلام الأولى، في المدينة، على عهد رسول الله ﷺ، قد قرر التمييز بين «أمة» - جماعة - الدين. وبين «أمة» - جماعة - الرعية السياسية. فحرية التدين تحدد خطوط تمايز الجماعات المختلفة في الدين، على حين تجمعها جميعا رابطة المواطنة الواحدة، والرعية السياسية في الدولة الواحدة.

فهناك نوعان من الموالاة:

أ) موالاة في الدين بين أهل كل دين، تظهر في المناصب والتنظيمات ذات الطبيعة والشروط والو ظائف الدينية، والتي ترعى الشؤون الدينية لأهل كل دين. وفيها لا ولاية لغيرهم عليهم. بصرف النظر عن القلة والكثرة العددية لهذه الجماعات والملل الدينية.

ب) وموالاة في الشؤون العامة للدولة المشتركة، تظهر في المرجعية التي تعبر عن هوية الدولة ورسالتها. وهذه المرجعية والهوية والرسالة تتحدد تبعا لأغلبية المواطنين. ولشمولية الإسلام الدولة مع الدين - وهي خصيصة تميز بها عن النصرانية خاصة، تلك التي وقفت عند خلاص الروح ومملكة السماء، تاركة ما لقيصر لقيصر وما لله لله. مع التأكيد على أن إسلامية المرجعية في هوية الدولة ورسالتها لا تعني انتقاصا من المساواة في الحقوق أو تمييزاً في الواجبات الحياتية بين كل المواطنين من أبناء كل الديانات.

إسلامية قانون الدولة مطلب إسلامي لايقابله مطلب للنصرانية

المرجعية الإسلامية وحقوق المساواة

وعن هذه الحقيقة الدستورية - جاء في «الدستور» - الصحيفة - الكتاب - الذي حكم علاقات الرعية بعضها ببعض، وعلاقاتها بولاة الأمر، في دولة الإسلام الأولى: «وأن يهود. أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم. وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم». فتقررت في هذه «المواد» المساواة في الحقوق والواجبات.

ثم تقررت إسلامية المرجعية في هوية الدولة ورسالتها بالنص على: «وأنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ». والأمر الذي يجعل من إسلامه المرجعية في هوية الدولة ورسالتها. أمر لا ينتقص من حقوق المواطنة لغير المسلمين، في الدولة ذات الأغلبية الإسلامية، أن «إسلامية الدولة» من حيث «إسلامية قانونها» هو مطلب ديني للإسلام، لا يقابله مطلب نصراني للنصرانية. فالنصرانية التي لم تأت بشريعة للدولة والسياسة والاقتصاد وشؤون العمران الدنيوي، والتي تركت ما لقيصر لقيصر وما لله لله، لا يضيرها، ولا ينتقص من حقوق أبنائها «إسلامية قيصر - الدولة». لأنها في كل الحالات قابلة بـ«قانون» ينظم العلاقات في الدولة، فإذا كان هذا القانون إسلاميا، يعبر عن الهوية الإسلامية للدولة، فإنه لا يمثل انتقاصا منها، ولابديلا عنها، فضلا عن أنه - مع عدله مع كل الرعية - هو جزء من الاعتقاد الديني للأغلبية التي تعايشها وتواطنها.

المساواة في المواطنة

ولقد أكد هذه الحقيقة. حقيقة قيام المساواة في حقوق وواجبات المواطنة، بين الأغلبية المسلمة وبين الأقليات الكتابية - «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» - مع «إسلامية الدولة» - في هويتها ورسالتها وحضارتها وثقافتها - ان هذه الإسلامية لم تقم كبديل عن «نصرانية الدولة» في المرحلة التي سبقت فتوحات الإسلام وقيام دولته الإسلامية فالنصرانية الشرقية - والتي هي دين لا دولة - قد ظلت ديانة مضطهدة في الشرق، حتى جاء الإسلام فأمَّن أهلها لأول مرة في تاريخهم النصراني.

فدولة الإسلام كانت بديلا لدولة الروم البيزنطيين المستعمرين، ولم تكن بديلا لدولة نصرانية وطنية شرقية، ولذلك كانت تحريرا للنصارى وتأمينا للنصرانية، ولم تكن انتقاصا لحق من حقوقهما.

وحدة الأمة بديانات متعددة

ولقد بلغ الإسلام في التأسيس لوحدة الأمة في المواطنة، على اختلاف دياناتها، أن شرع لتعدد الديانات في الأسرة الواحدة - وهي لبنة الأمة والشعب -. فبزواج المسلم من الكتابية، يكون للأولاد المسلمين أم كتابية وأخوال كتابيون!، الأمر الذي يؤسس وحدة الأمة بدياناتها المتعددة، على التعددية التي قررها الإسلام في لبنات الأساس.

وإذا كانت سنة «لهم مالنا وعليهم ما علينا» قد مثلت عنوانا على تراث من المبادىء والتشريعات والممارسات ضمنت العدل والمساواة بين أهل الديانات المتعددة في دولة الإسلام، حتى لقد انفردت حضارة الإسلام بتجسيدها لهذه التعددية بين الحضارات الأخرى.

فإن الفكر الإسلامي، والممارسة الإسلامية قد أكدت على أن إسلامية هوية الدولة ومرجعيتها ورسالتها الحضارية - فضلا عن أنها حق من حقوق الأغلبية المسلمة في أن تحكم بأيديولوجيتها - بالمنطق الديمقراطي. وحق الإنسان في أن يحكم بالقانون الذي تريده الأغلبية - والذي لا يخل بالعدل والمساواة بالنسبة للأقليات. إن هذا الفكر وهذه الممارسة قد ميزا بين الولايات التي فيها «رسالة دينية إسلامية». فمن الطبيعي أن يليها مسلم. وبين الولايات التي لا تحمل «رسالة دينية إسلامية» وفيها يتساوى كل المواطنين، على اختلاف الديانات التي يدينون بها.

الاجتهاد الإسلامي والخبرات الإنسانية

فعندما نكون بصدد تكوين هيئة للاجتهاد الإسلامي في الشريعة الإسلامية والقانون الإسلامي. لابد من اشتراط الإسلام في أهل هذا الاجتهاد. وعندما نكون بصدد خبرات أهل الذكر في الشؤون الحياتية. فلا مجال للتمييز بين عقائد أهل الذكر هؤلاء، وكذلك عندما نكون بصدد تكوين هيئات ومؤسسات المراقبة والمحاسبة للحكومات «البرلمانات» فلا مجال للتمييز بين المواطنين بسبب الاعتقاد الديني.

وعندما يكون القاضي - كما كان قديما - مجتهدا في الدين الإسلامي. فلابد وأن يكون مسلما. أما إذا كان القاضي منفذا للقانون - كما هو الغالب الآن - فلا مجال للتمييز بين عقائد القضاة.

رئيس الدولة المسلمة مسلم

وعندما تكون لرئيس الدولة الإسلامية ولايات دينية - رغم كونه حاكما مدنيا مثل إمامته للأمة في الصلاة. وقيادته الدعوة إلى الإسلام. والجهاد في سبيل نصرة الإسلام. وقضاء المظالم وفق شريعة الإسلام، إلى آخر ولايات حراسة الدين الإسلامي. فضلا عن سياسته للدنيا بهذا الدين. فإننا نكون أمام شروط في رأس الدولة لا تتحقق إلا إذا كان مسلما. فحجب غير المسلم عن هذا المنصب ليس انتقاصا من المساواة في المواطنة، وإنما هو لغيبة شروط لابد منها فيمن يلي هذه الولاية ذات الرسالة الإسلامية، غيبتها عن غير المسلمين. ومثل ذلك مثل المواطن الذي لم تجتمع فيه شروط منصب من المناصب. فإن ذلك لاينتقص من حقوقه في المواطنة الكاملة. وإنما هو أمر يتعلق بغيبة الشروط اللازمة فيمن يلي هذا المنصب.

وإذا كانت إسلامية الدولة، هي مطلب ديني إسلامي، وفي غيبتها لا يكتمل إسلام الدولة والأمة - وإذا كانت هذه الإسلامية للدولة - التي يرمز لها إسلام رئيس الدولة - ليست بديلا ولا نقيضا لعقيدة نصرانية توجب نصرانية الدولة وقانونها ونظامها - ومن ثم رئاستها، فإن الذين يطرحون مطلب تولي نصراني، مثلا لرئاسة دولة أغلبيتها مسلمة، إنما يفتعلون «مشكلة» ثم يبحثون عن «حل». فالدولة ليست شريعة نصرانية حتى يطلبها النصراني بحكم نصرانيته. وإنما هي شريعة إسلامية يطلبها المسلم استكمالا لإسلامه. ففي ولايتها بُعْدُ ،ديني إسلامي، وإذا كان المسلم مطالبا بأن يدع الولايات ذات الرسالة النصرانية للنصارى، فإن الولايات ذات الرسالة الإسلامية والبعد الديني الإسلامي والشروط الإسلامية، ولابد أن يشترط فيها إسلام متوليها.

افتعال مشكلات

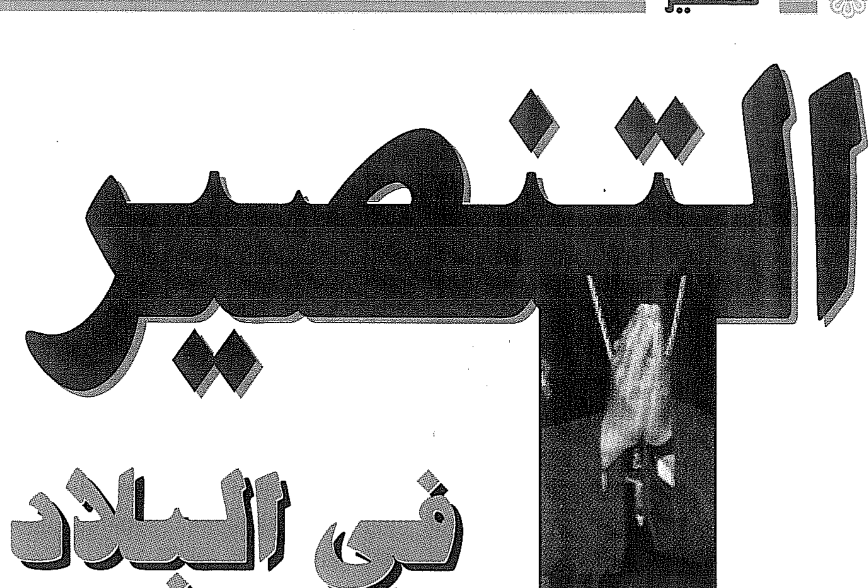
وإذا كان غريبا - ومستحيلا - أن يطلب مسلم بريطاني أن يكون ملكاً على بريطانيا - وملكتها - بنص الدستور - حارسة الكنيسة - فإن من الغريب - دينيا. وديمقراطيا - أن نجعل الولايات ذات الرسالة الدينية في الدولة الإسلامية «مشكلة ومطلبا» في علاقات الكتابيين كأقليات بالأغلبية المسلمة في الدولة الإسلامية. !

لقد قرر الفقه الإسلامي - منذ عصر الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠هـ ٩٧٤ - ١٠٥٨م) - أن «ولايات ووزارات التفويض» ذات الرسالة الدينية الإسلامية - هي اختصاص إسلامي. بينما «ولايات ووزارات التنفيذ» - التي لا تحمل رسالة دينية إسلامية - هي مشاع مفتوح لأهلها من الكتابيين. ومارس المسلمون، من خلال دولتهم الإسلامية، تطبيق هذا الاجتهاد الإسلامي».

ولقد آن الأوان للإقلاع عن افتعال «مشكلات»، ثم البحث عن «حلول - مفتعلة» لها. فتخصيص «الولايات ذات الرسالة الدينية الإسلامية» للمسلمين. هو كتخصيص «الولايات ذات الرسالة الدينية النصرانية للنصارى» لا يعني ذلك انتقاصا من حقوق المواطنة بالنسبة لمن يحجب عن ولاية هذه الولايات. لأن هذا الحجب هو الافتقار إلى شروط هذه الولايات أقرب منه إلى التمييز الذي يخل بحقوق المواطنة.

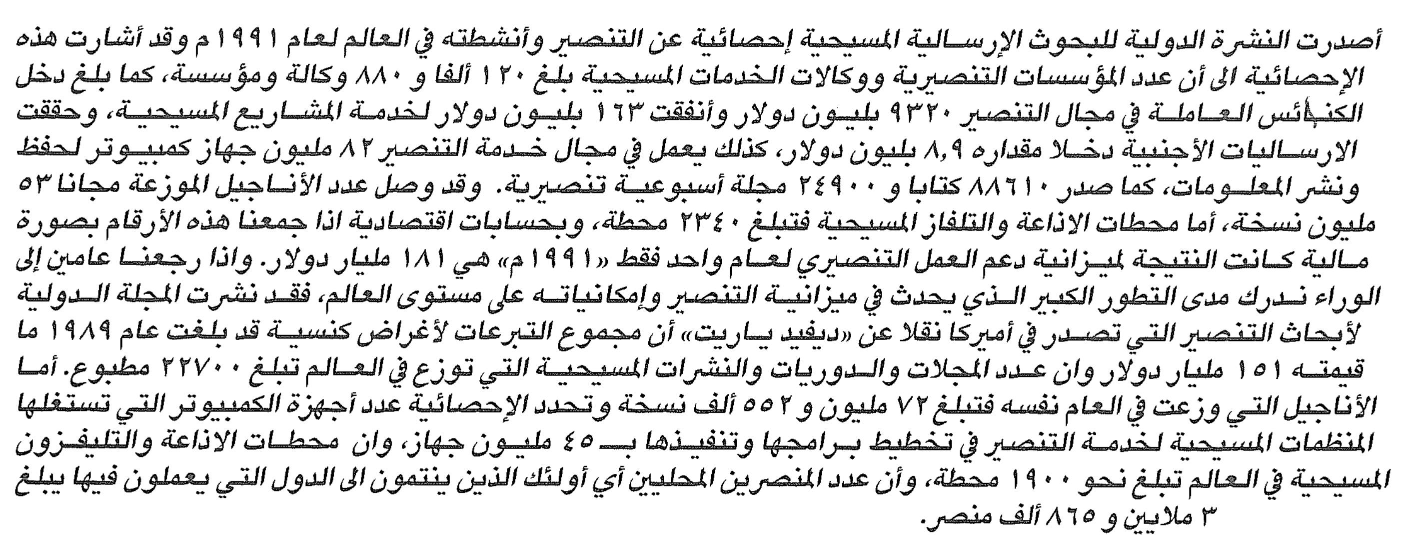
إن المساواة بين المواطنين حتى في الدولة التي تكون رعاياتها كلها مسلمة، لا يعني توفر كل شروط جميع المناصب في كل مواطن مسلم.

وولاية منصب ما، هي حق لمن تجتمع فيه شروطه. وليس في ذلك إخلال بمبدأ المساواة في المواطنة، حقوقا وواجبات، تلك التي سنها رسول الله ﷺ عندما حدد علاقة المسلمين بالكتابيين فقال: «إن لهم مالنا وعليهم ما علينا»□



التنصير في البلاد الإسلامية

الفقر باب واسع من أبواب المنصّرين



أصدرت النشرة الدولية للبحوث الإرسالية المسيحية إحصائية عن التنصير وأنشطته في العالم لعام ١٩٩١م وقد أشارت هذه الإحصائية الى أن عدد المؤسسات التنصيرية ووكالات الخدمات المسيحية بلغ ١٢٠ ألفا و ٨٨٠ وكالة ومؤسسة، كما بلغ دخل الكنائس العاملة في مجال التنصير ٩٣٢٠ بليون دولار وأنفقت ١٦٣ بليون دولار لخدمة المشاريع المسيحية، وحققت الارساليات الأجنبية دخلا مقداره ٨,٩ بليون دولار، كذلك يعمل في مجال خدمة التنصير ٨٢ مليون جهاز كمبيوتر لحفظ ونشر المعلومات، كما صدر ٨٨٦١٠ كتابا و ٢٤٩٠٠ مجلة أسبوعية تنصيرية. وقد وصل عدد الأناجيل الموزعة مجانا ٥٣ مليون نسخة، أما محطات الاذاعة والتلفاز المسيحية فتبلغ ٢٣٤٠ محطة، وبحسابات اقتصادية اذا جمعنا هذه الأرقام بصورة مالية كانت النتيجة لميزانية دعم العمل التنصيري لعام واحد فقط «١٩٩١م» هي ١٨١ مليار دولار. واذا رجعنا عامين إلى الوراء ندرك مدى التطور الكبير الذي يحدث في ميزانية التنصير وإمكانياته على مستوى العالم، فقد نشرت المجلة الدولية لأبحاث التنصير التي تصدر في أمريكا نقلا عن «ديفيد باريت» أن مجموع التبرعات لأغراض كنسية قد بلغت عام ١٩٨٩ ما قيمته ١٥١ مليار دولار وان عدد المجلات والدوريات والنشرات المسيحية التي توزع في العالم تبلغ ٢٢٧٠٠ مطبوع. أما الأناجيل التي وزعت في العام نفسه فتبلغ ٧٢ مليون و ٥٥٢ ألف نسخة وتحدد الإحصائية عدد أجهزة الكمبيوتر التي تستغلها المنظمات المسيحية لخدمة التنصير في تخطيط برامجها وتنفيذها بـ ٤٥ مليون جهاز، وان محطات الاذاعة والتليفزون المسيحية في العالم تبلغ نحو ١٩٠٠ محطة، وأن عدد المنصرين المحليين أي أولئك الذين ينتمون الى الدول التي يعملون فيها يبلغ ٣ ملايين و ٨٦٥ ألف منصر.

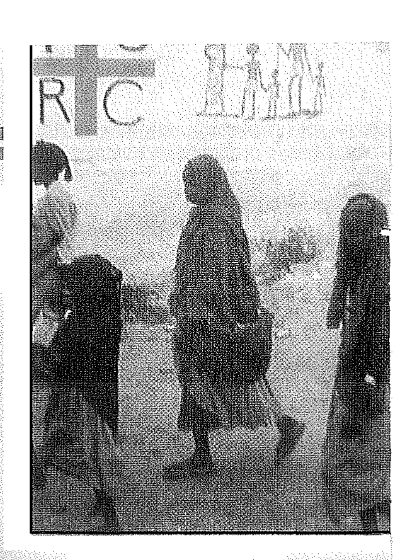
١٣ دولة أفريقية يمارس التنصير فيها نشاطه وشعاره: إذا لم تستطع تنصير مسلم فلا تمكنه من أن يكون مسلما حقيقيا

ولعل هذه الارقام وتلك الاحصائيات التي صدرت عن دعاة التنصير أنفسهم تؤكد بما لا يدع مجالا للشك، أن التنصير من أقوى الجبهات المعادية التي تعمل ضد الإسلام في هذا العصر، وتهدف إلى إبعاد المسلمين عن دينهم، ويستمد التنصير قوته من هذه الامكانيات الضخمة، التي ترصدها له الكنائس الأوروبية والدول المسيحية، وكذلك من هذه الصورة التنظيمية التي يقوم عليها والتي تظهر في أهدافه المحددة، وفي إرسالياته

بقلم: أحمد محمود أبو زيد

ومؤتمراته ومؤسساتها التي يحرص المنصرون على إقامتها في كل بقعة يطأونها، وعلى رأسها المدارس والمستشفيات وملاجىء الأيتام ودور الرعاية. وأمام هذه القوة التي يتمتع بها النشاط التنصيري كان ولابد أن يؤتي أكله في بعض المناطق الإسلامية، ويحقق بعض أهدافه الخبيثة، وقد أشارت وسائل الإعلام إلى هذه النتائج حيث انخفض عدد المسلمين في دولة ملاوي من

٧٠٪ من مجموع السكان الى ٣٠٪ فقط نتيجة ممارسات التنصير، وأجريت دراسة شاملة على المجتمعات الإسلامية في أفريقيا أكدت أن أكثر من ٩٠٠ ألف مسلم قد تقبلوا المسيحية في عدد من البلاد الأفريقية، وأن عدد أبناء المسلمين - الذين يشرف المنصرون على تعليمهم في تلك البلاد - وصل الى خمسة ملايين طالب وطالبة، كما ثبت أن الهيئات التنصيرية العاملة في أندونيسيا استطاعت تنصير رابع مليون مسلم خلال عشرين عاما.



أهداف التنصير

والمخطط التنصيري يسعى الى تحقيق مجموعة من الأهداف المحددة في البلاد الإسلامية وفي هذا الصدد يقول الكاتب والمفكر الإسلامي: أنور الجندي: إن المنصرين يخافون الإسلام، ويرددون دائما أن الإسلام هو الدين الوحيد الخطر عليهم فهم لا يخشون البوذية ولا الهندوكية ولا اليهودية. اذ أنها جميعا ديانات قومية لا تريد الامتداد خارج أقوامها وأهلها، وهي في نفس الوقت أقل من النصرانية رقيا، أما الإسلام فهو كما يسمونه دين متحرك زاحف يمتد بنفسه وبلا أية قوة تساعده، وهذا هو وجه الخطر فيه - كما يقولون - ومن هنا نجدهم يهدفون الى إخراج المسلمين من الإسلام والتشكيك فيه وفي سيرة رسوله ﷺ وتزييف مفاهيمه وهدم عقيدته. ولقد صرح بذلك «زويمر» زعيم التنصير في قوله: «إن مهمة التنصير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله».

إخضاع العالم الإسلامي

ثم نجد التنصير يهدف في جانب آخر من أهدافه الى إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة النفوذ الغربي، فقد كتب أحد المنصرين إحدى المجلات التي تصدر في باريس يقول: «إن الهدف من التنصير ليس مجرد نشر النصرانية بل إخضاع العالم الإسلامي فقد أثبت التاريخ أن المجابهة بين المسيحية والإسلام لم تنته بمجرد انتهاء الحروب الصليبية، تلك الحروب التي مثلت الصراع الجسدي على أعلى المستويات، والتي استمرت في خمس حملات خلال مائتي عام، وقال إن التعاون بين الإرساليات التنصيرية والاستعمار تعاون وثيق لتحقيق هذا الهدف».

الحيلولة دون انتشار الإسلام

ويتحدث د. يوسف القرضاوي عميد كلية الشريعة بقطر (سابقا) عن هدف آخر للتنصير هو الحيلولة دون انتشار الإسلام، فيقول: إن هجوم المنصرين على الإسلام وتشويهه يأتي خوفا على قومهم من معرفته أكثر من رغبتهم في تنصير المسلمين، فهم يخافون الإسلام ويرددون دائما أنه الدين الوحيد الخطر عليهم.

وهدف التنصير يختلف من منطقة الى أخرى ففي المنطقة العربية يكتفي بزعزعة عقيدة المسلم وإخراجه من الإسلام، وليس مهما أن يدخل النصرانية، وفي خارج المنطقة العربية يتم تنصير المسلمين فعلا، فهناك ٢٥٠ ألفا من أندونيسيا قد نصروا منذ عدة أعوام، وفي نيجريا وغيرها من البلاد الإسلامية هناك نصاري الآن آباؤهم وأجدادهم مسلمون ولا يزالون يحملون أسماءهم الأسلامية.

الإمكانات الضخمة

وحول إمكانات التنصير الضخمة يقول د. القرضاوي إن للمنصرين إمكانات ضخمة في البلاد الإسلامية، ففي أندونيسيا أكثر من خمسين مطارا للمنصرين غير أسطول من الطائرات (واللنشات) والسفن والسيارات المختلفة والمدارس والجامعات والمستشفيات المجهزة بأحدث الأجهزة، هذا الى جانب المؤتمرات التي يعقدونها لتنظيم صفوفهم ووضع خططهم، فقد عقد مؤتمر في كلورادو عام ١٩٧٨م قدم فيه أربعون بحثا عن الإسلام والمسلمين، وقرروا فيه العمل على تنصير المسلمين في العالم، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار، كما أنشأوا معهدا لإعداد منصرين متخصصين وأطلقوا عليه «معهد صموئيل زويمر»

وفي مؤتمر كلورادو هذا وضعت استراتيجية شاملة ذات أهداف محددة في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي تهدف الى تحريف عقيدة المسلمين وتغيير منهج حياتهم، وقد عقد هذا المؤتمر تحت اسم «مؤتمر أميركا الشمالية لتنصير المسلمين» وحضره مائة وخمسون مشتركا يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في الجامعات والكنائس والمؤسسات الأخرى.

العوامل المساعدة للتنصير

أما العوامل التي تساعد المنصرين في تحقيق أهدافهم في البلاد الإسلامية - والحديث للدكتور: القرضاوي - فتتمثل في الآتي:

١) النفوذ الغربي الذي يعاون التنصير ويهيىء له الظروف التي تساعده في تحقيق أهدافه.

٢) ضعف بعض حكام المسلمين الذين يسكتون عنه أو يُيَسّرون له السبل.

٣) انتشار الفقر والجهل والمرض في بعض البلاد الإسلامية، حيث يستغل المنصرون فقر المسلمين وحاجتهم إلى الغذاء والكساء والدواء ويمدون لهم يدالعون في مقابل تنصيرهم.

٤) بُعْد المسلمين عن الإسلام وتخليهم عن أحكامه وشرائعه.

جبهات التنصير

وأما الجبهات التي يعمل من خلالها التنصير فتتمثل في جبهتين:

جبهة الأقليات والجاليات الإسلامية: التي تعيش في الدول المسيحية، حيث يمارس التنصير نشاطه بين هؤلاء جميعا، وبخاصة الذاهبين منهم لتلقي العلم في المعاهد والجامعات الاوروبية والأمريكية.

وأما الجبهة الثانية: فتتمثل في المجتمعات الإسلامية نفسها وبخاصة في قارة أفريقيا حيث ينتشر الفقر والمجاعات ويسود الجهل والمرض ويستغل المنصرون كل هذه الظروف في تحقيق أهدافهم، ومن الدول الأفريقية التي ينشط فيها التنصير: نيجريا وغانا وأثيوبيا والصومال وأوغندا والسنغال، وخارج أفريقيا هناك أندونيسيا وبنجلاديش والفلبين، وفي هذه الدول تعمل آلاف المنظمات والجماعات التنصيرية التي يتم التخطيط لأهدافها ودعمها بالملايين بل المليارات من الدولارات.

ويذكر أحد التقارير أن هناك ثلاث عشرة دولة أفريقية يمارس التنصير فيها نشاطه ويعقد

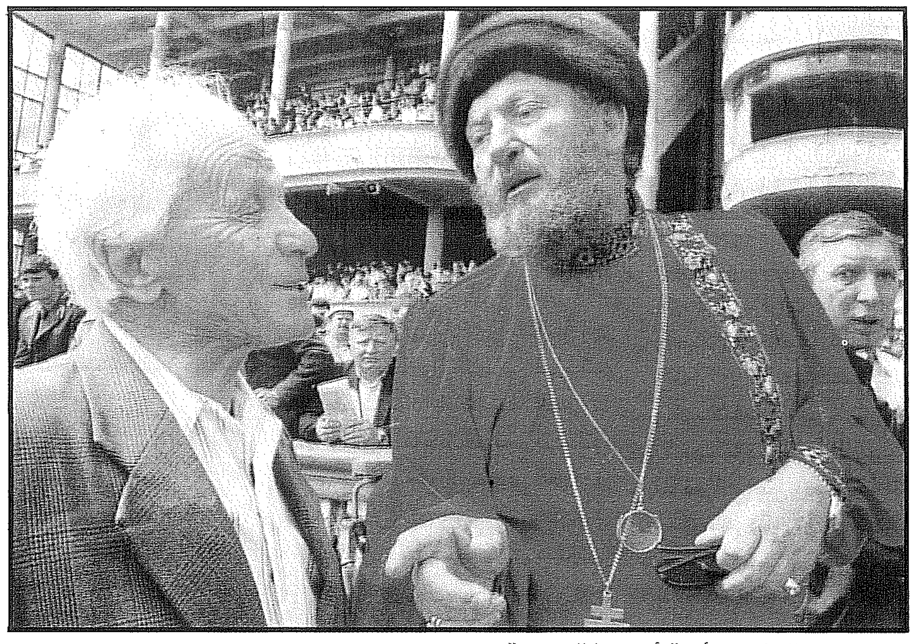
التنصير في البلاد الإسلامية

مؤتمراته في مدينة نيروبي للتشاور حول الأهداف والأنشطة والممارسات وشعار التنصير في أفريقيا هو: «إذا لم تستطع تنصير مسلم فلا تمكنه من أن يكون مسلما حقيقياً».

الوسائل والأساليب

ويعتمد التنصير في تحقيق أهدافه ومخططاته على مجموعة من الوسائل والأساليب فيقول الدكتور: وهبة الزحيلي عميد كلية الشريعة بجامعة الإمارات: التنصير يعتمد على عدة وسائل أهمها: أسلوب الخدمات المادية والاجتماعية كالاعلانات والغذاء والكساء وبناء المستشفيات والمدارس ودور الرعاية..

ومن هنا نجده يركز على المناطق التي تعاني من الفقر حيث يكون من السهل شراء هؤلاء المحرومين واستمالة قلوبهم وتغيير عقائدهم ومحو الإسلام من نفوسهم، ولذا فان الغذاء والدواء أصبحا ثمنا للتنصير في بعض البلاد الإسلامية الفقيرة.ومن أخطر الوسائل التي استغلها المنصرون في تحقيق أهدافهم - كما يقول الأستاذ أنور الجندي - التعليم ومناهجه في البلاد الإسلامية، فقد سعوا إلى إنشاء المدارس المسيحية في الأقطار الإسلامية واتجهوا الى مناهج التعليم ليطوعوها لخدمة أهدافهم، وقد اعترف بذلك «زويمر» في قوله: «لقد قبضنا على برامج التعليم في البلاد الإسلامية منذ خمسين سنة فأخرجنا منها القرآن وتاريخ الإسلام، ومن ثم أخرجنا الشباب والفتاة المسلمة من الوسائط التي تخلق فيهم العقيدة الوطنية والإخلاص والرجولة والدفاع عن الحق».



● هل يحل التنصير أزمة أوروبا الروحية؟

ولقد عاون الاستعمار الغربي - في فترة احتلاله للبلاد الإسلامية إرساليات التنصير في وضع برامج التعليم التي تدمر الانسان المسلم، وجاءت المدارس الوطنية في ظل الاحتلال واعتنقت هذه البرامج وطبقتها، ولا يزال جانب كبير منها مطبقا حتى اليوم، وكانت هذه البرامج تركز على عدة أمور هي:

١) ان تحتضن الفتاة المسلمة، فركزت على مدارس البنات لتعليم المرأة المسلمة في ظل مفاهيم مسيحية وعلمانية.

٢) أن يكون التعليم وسيلة لهدم مفهوم العقيدة، وذلك بالدعوة الى وحدة كل الأديان والعقائد والنحل والمذاهب.

٣) أن تقوم على تقوية العنصريات والدعوة إلى الأقليات والعصبيات والقوميات: كالبربرية والتركية والفارسية والعربية.

٤) الدعوة إلى العاميات واللغة المحلية والقضاء على اللغة العربية الفصحى والحيلولة بين النشء وبين تعلم لغته التي هي المفتاح للاسلام والقرآن.

٥) الاعتماد على الترجمات من اللغات الأجنبية وخاصة ترجمة قصص الجنس والإباحية.

٦) طرح الأيديولوجيات المختلفة والنظريات الفلسفية المتعددة في علم النفس والاجتماع والأخلاق وكلها ترمي إلى تحطيم مفاهيم الدين.

٧) محاولة التشكيك في تاريخ الإسلام وسيرة رسوله ﷺ.

٨) تقديم مفاهيم فاسدة عن الموسيقى والمسرح والفن والحضارة تختلف عن مفاهيم الإسلام الأصيلة.

٩) إغراء الشباب المسلم بالبعثات الخارجية وهي التي تستهدف تغيير شخصية الشباب بعد صهره في معاهد خاصة.

المواجهة المطلوبة

والسؤال الذي يثار الآن بعد إستعراضنا لأهداف المخطط التنصيري وإمكاناته وأساليبه هو: ماذا فعل المسلمون ومؤسسات الدعوة في مواجهة هذا المخطط؟ يقول د. يوسف القرضاوي: إن المواجهة تتطلب إعداد الدعاة المسلمين القادرين على مواجهة التنصير واستخدامهم الوسائل المختلفة لتبليغ كلمة الإسلام، ثم بعد ذلك لابد من المواجهة الاجتماعية والخيرية بحيث تقام مؤسسات خيرية إسلامية لإنقاذ المسلمين الفقراء من براثن التنصير، وإذا كان المنصرون قد رصدوا المليارات لتنصير المسلمين، فيجب علينا أن نرصد نحن أكثر من هذا المبلغ لحماية المسلمين ونشر الدعوة الإسلامية.

ويقول الشيخ مختار السلامي مفتي تونس: إذا أردنا المواجهة الصحيحة للتنصير فعلينا أن نسد الأبواب التي يدخل منها الى المناطق الإسلامية، وهذه الأبواب هي ثالوث الفقر والجهل والمرض، فالمواجهة لن تكون الا بمحاربة هذا الثالوث المدمر ومد يد العون للمسلمين الفقراء في أفريقيا وغيرها من قارات العالم□

حركة الإصلاح الإسلامي مدخلها التعليم

بقلم: محمود محمد الناكوع

هذا المقال يسلط الضوء على حركات الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث والوسائل التي استخدمها المصلحون وفي مقدمتها الدعوة والتعليم والنوعية ودور هذه الوسائل في صنع الأمة على الطريق القويم. يعتبر القرن الثالث عشر الهجري، القرن التاسع عشر الميلادي، بداية ارهاصات اليقظة وانطلاق حركة الاصلاح الإسلامي، وتذكر الكتب التي أرَّخت لتلك الأحداث، أن دعوات الإصلاح جاءت رد فعل ضد الواقع المختلف الذي كان يعيشه العالم الإسلامي في جميع مجالات الحياة، وهي كذلك رد فعل ضد الأخطار الاستعمارية التي بدأت تفرض حضورها الإقتصادي والعسكري.

التغيير يبدأ من النفس الإنسانية

من أبرز الحركات الإسلامية التي ظهرت في الوطن العربي، الحركة الوهابية، الحركة السنوسية، الحركة المهدية. وقد اعتمدت هذه الحركات منهج التغيير الثقافي، عن طريق التعليم والتربية، وهو المبدأ القرآني الذي يؤكد أن التغيير يبدأ من النفس الإنسانية ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد/١١]. وقد أسست هذه الحركات مؤسسات تؤدي رسالة ثقافية اجتماعية ومن بين تلك المؤسسات (الزوايا) وهي التي كانت تقدم للمسلمين خدمات تعليمية، وتقدم لهم كذلك العون الإجتماعي والإقتصادي، وتقول بعض الإحصائيات الخاصة بالزوايا التي أنشأها الإمام محمد علي السنوسي في عدة مناطق إسلامية والتي بلغت حوالي مائة وخمسين زاوية.

وعملت هذه الحركات التاريخية الكبرى في اتجاهين:الإتجاه الأول يركز على تحصين المجتمع الإسلامي عن طريق التعليم والتوعية والدعوة إلى اتحاد المسلمين، باعتبارهم أمة واحدة أما الإتجاه الثاني فقد تمثل في الجهاد ضد الإستعمار الأجنبي، والإستعمار الأوربي والذي كانت قواته وجيوشه من فرنسا وبريطانيا.

بهذا النهج استطاعت تلك الحركات وما أحدثته من امتداد في العالم الإسلامي أن توقظ الإحساس بواجب الدفاع عن مقومات الشخصية الإسلامية، وأن تدفع كثيرا من الأخطار الثقافية والإجتماعية، واستطاعت أن تحدث صدى يتردد في أنحاء العالم الإسلامي . يتحدث الأمير شكيب أرسلان عن تلك التطورات فيقول: (فهذه الصرخات التي توالت والمصابيح التي أوقدت في فترات مختلفة طيلة جميع الأجيال التي كرت على الإسلام من بعد انحداره من الأوج، قد كان من شأنها أن تمهد السبيل بعض التمهيد للمصلحين المتأخرين، إذ لم ينتصف القرن التاسع عشر، حتى قد قام في كل بلد من بلدان المسلمين في الرقعة الإسلامية عدد من رواد الإصلاح ودعاته ينبهون ويوقظون، ويحضون ويستحثون) [حاضر العالم الإسلامي].

وفي دراسة للدكتور أحمد صدقي الدجاني عن (الحركة السنوسية) يؤكد نفس الرأي: (ليس غريبا أيضا أن تتابع هذه الحركات في العالم الإسلامي، فبالإضافة إلى وجود التحديات هناك تهيأ للإصلاح بين المسلمين ناجم عن أصل ديني وهو حديث الرسول ﷺ: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» [رواه أبو داود والحاكم]. وقد تتابع المصلحون طوال فترات التاريخ الإسلامي بشكل متصل.

وأي قراءة واعية لتاريخ حركات الإصلاح الإسلامي طوال ما يزيد عن قرن ونصف من الزمان، ستجد أن مدخل الإصلاح هو تعليم المسلمين، الذين كانوا وما زالوا يعانون من آثار الجهل. جهل الدين، وجهل الدنيا. أي أن المجتمعات الإسلامية على اختلاف ألسنتها وثقافتها المحلية وانتماءاتها الجغرافية، ظلت تعيش في دوامة التخلف فكريا واقتصاديا وعسكريا إضافة إلى جهلها بحقائق الإسلام عقيدة وشريعة ونظما. إلا أن حركة الإصلاح هذه وعن طريق مدخل التعليم قد تعثرت بشكل كبير، عندما وثبت قوى الإستعمار إلى هذا المعقل الحصين واستفردت به، فأصبحت المدارس والمعاهد والجامعات تحت سيطرة السياسة الإستعمارية، وتبعاً لذلك أصبحت مناهج التعليم، هي مناهج المستعمر. وخرجت الجامعات ومناهجها أجيالا متتالية من النخبة التابعة لفكر المستعمر وتابعة له في أساليب حياتها. ولم يبق لتلك الحركات الإصلاحية إلا المسجد. وحتى المسجد ليس لها خالصا. ومن هنا بدأ ضعف الجامعات الإسلامية مثل الأزهر والزيتونة، أمام قوة الجامعات الحديثة، التي تسمى بالجامعات المدنية.

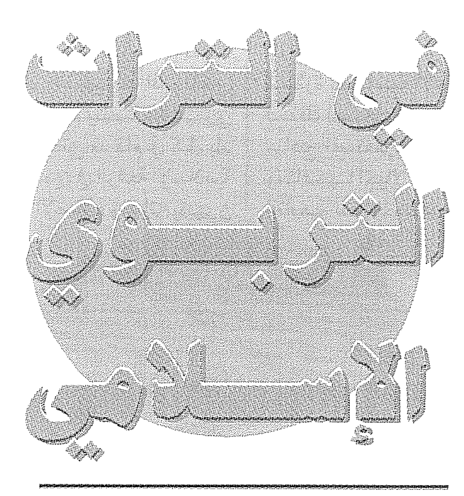
ورغم مرور أكثر من نصف قرن على بدايات الاستقلال في بعض البلدان الإسلامية، ثم استقلال جل البلدان الإسلامية، إلا أن التعليم لم يتحرر بصورة كاملة من التبعية للقوى الإستعمارية في شكلها القديم المتجدد. إذ للأسف الشديد أن تطور التعليم في الدول الصناعية يقفز بمتواليات مدهشة في مختلف التخصصات، بينما في العالم الإسلامي مازالت الفوضى في مناهج التعليم تربك وتعرقل حركة الإصلاح الصحيح. وعندما بدأ مسلسل الانقلابات العسكرية وبدأت سياسة (تثوير) المناهج جاء المنعطف الخطير الذي أدى إلى مزيد من التخلف والجهل، وتدني مستوى التعليم بصورة مخيفة وأصبحت الجامعات تخرج أجيالاً من أشباه الأميين حرفيا وثقافيا. وفي بعض البلدان (الثورية بالذات) هناك قصص عن انحطاط التعليم إلى مستوى لا يصدقه العقل.

عودة إلى المساجد لإصلاح الخلل

لقد عملت حركات الإصلاح الإسلامي أن تعوض ذلك الخلل الذي حدث، فاتجهت نحو المساجد وتأليف الكتب بأحجام مختلفة لتكون في متناول القراء، وأصدرت المجلات والصحف، وخاصة في مصر والهند وبلاد الشام وفي شمال أفريقيا، وخاصة بعد الحربين العالمية الأولى والثانية، ونشأت عن ذلك، ما سمي في الأدبيات العربية والإسلامية الحديثة. وحدثت المعركة بين القديم والجديد، والتي مازالت أبعادها قائمة حتى الآن. ويعتبر كتاب المرحوم الدكتور محمد محمد حسين [الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر] من أهم الكتب التي تناولت وأرّخت للصراع الفكري بين الفكرالغربي، والفكر الإسلامي، فيما يتعلق بالتعليم والصحافة والأدب والثقافة بصورة عامة، وأصبح هذا الكتاب من أهم المراجع لدى الدارسين والباحثين.

ويجدر بشباب اليوم أن يقرأ هذا الكتاب، وكتب المؤلف الأخرى ليسبر غور الصراع بين الثقافات، وليعرف الأبعاد التاريخية لها، وليزداد تبينا لدور ورسالة الكلمة والفكرة، وأن الإصلاح الحقيقي مدخله التعليم على تنوع طرقه وأساليبه. وأن هذا الإصلاح كلما كان مهتديا بسنن الله في الكون والحياة والناس، كلما كان أكثر حظا في التأثير والنجاح، ووضع الأمة في المسار القويم. وهكذا يبدو واضحا أن أي حركة إصلاحية لا تهتم بالتعليم ويكون هو مدخلها الأساسي والأول، لن تتمكن من تحقيق الإصلاح الذي تدعو إليه، وتطالب الآخرين بالدخول فيه. ولازالت أذكر دور التعليم ودور المدرِّس في المرحلة الثانوية وفي الجامعة، وكيف فتح ذلك الدور طريق الإصلاح الإسلامية أمامنا، وأمام الكثيرين في بلدان عربية وإسلامية أخرى، وحقق ذلك العمل تواصل عطاء الأجيال، وتأكيد الحضور الإسلامي، على المستوى العالمي□

وسائل وأساليب تقويم الشخصية



بقلم: علاء حسني المزين

موضوع (تقويم الشخصية) أي محاولة الحكم على مدى ما تتمتع به من خصائص وإمكانات واستكشاف ما أودع فيها من طاقات وقدرات ليس غريبا على ساحة الفكر الإسلامي.

فهذا المفهوم يرتبط مبدئيا بخلق إسلامي أصيل هو خلق المحاسبة وذلك الخلق الرفيع الذي يكفل نقاء الفرد ونقاء الجماعة وإتقان العمل وارتقاء الأمة في معارج الكمال.

وللحسبة في تاريخنا في إطار الدولة الإسلامية دور لا يُنكر وأهمية لا تُجهل، والحسبة كتنظيم اجتماعي ذي عمق فكري تمارس هذه الوظيفة فيما يناط بها من وظائف.

كما أن علما إسلاميا يوشك أن يكون حكرا على الأمة الإسلامية تخصصه الأساسي في هذا المجال. إنه الجرح والتعديل الذي وضع فيه العلماء من الضوابط ما يكفل الوصول إلى أوزان دقيقة لأقدار المشتغلين بالحديث النبوي حفاظا على هذا الكنز العظيم من غائلة التحريف. وهذا العلم بالمناسبة أحسبه من العلوم التي اندثرت في زماننا كما في أزمنة الضعف والانحلال التي سبقته فكان لاندثارها أثار وخيمة وفي ظني أن موضوعا كهذا الذي بين أيدينا ينبه الأذهان إلى ضرورة بعث هذا العلم من جديد وهي مهمة أحسبها من مهمات الحركة الإسلامية وفي مجال اكتشاف القدرات الخاصة للأفراد وتوظيفها التوظيف الأمثل نجد النبي ﷺ في قمة سامقة لا يدانى فيها. وإذا استعرضنا سيرته العطرة وسير الصحابة الكرام لتجلت لنا هذه الحقيقة ناصعة، ولقد كانت هذه الظاهرة مثار إعجاب كل دارس لسيرته بل كانت عند كثيرين مظهرا من مظاهر نبوته ﷺ.

وعلى إثره سار الخلفاء الراشدون فكانوا على تفاوت بينهم من فرسان تلك الحلبة ولعلنا لا ننسى هنا شهادة الفاروق للصديق وهي شهادة عظيم لعظيم حيث قال فيه: (إنه أعرف بالرجال مني). وعمر من هو في هذا الباب. إنه مضرب المثل فيه وله الوصية المشهورة في تقدير الرجال.

وفي ميدان التربية الإسلامية ترك لنا المربون المسلمون الأوائل تراثا زاخرا لا يحصر اهتمامه في استكشاف القدرات الفريدة والمواهب الفذة لاستثمارها وإنما يهتم بالإضافة لذلك بما هو أخطر ويهتم بما يعوّق نمو هذه القدرات في الاتجاه الصحيح. فيبحث لذلك في مكنونات أخرى في النفس في حاجة لاستئصال لا لاستثمار، وهو ما اصطلح على تسميته بأمراض القلوب وتتميز تربيتنا الإسلامية بالعناية بهذا الجانب العناية الفائقة حتى أفرد بعلم مستقل، على حين أنه لا يكاد يلقى أو يحظى بأي اهتمام في التربية الحديثة(١).

لقد عنى علماء التربية الاوائل من المسلمين بالبحث عن وسائل اكتشاف مواهب تلاميذهم وقدراتهم لتوجيههم في ضوئها إلى ما يصلحهم ويصلح بهم (والإسلام حريص على هذه المواهب والاستعدادات يربيها وينميها ولا يتركها تتبدد بغير طائل)(٢).

وسوف نتعرف في السطور التالية على نماذج من هذه الأساليب فنستفيد من ماضينا لحاضرنا وننظر للجديد في ضوء الأصيل التليد، فتستقيم النظرة ويعتدل الميزان ونوقن أن ما بين أيدينا، من تراثنا العريق كنوزا مذخورة لمن ينقب عنها، ومن خلال ذلك كله نستعيد هويتنا المتميزة فمن الوسائل والأساليب التي أخذ بها المربون الأوائل للحكم على شخصيات من يربونهم أو قياس بعض قدراتها الخاصة ما يلي:

١- الفراسة

ومعناها في اللغة: التثبت والنظر الصحيح، وهي إحدى أقدم الوسائل التي عرفها الإنسان للحكم على شخصيات الآخرين وقد كان للعرب القدماء فيها باع كبير حتى أوشكت أن تكون علما من علومهم وقد أعطاها الإسلام بعدا إيمانيا وجعلها عطاء ربانيا يمنحه من أوتي صفاء النفس وشفافية الروح وهو ما لايدركه بغير

مجاهدة ورياضة نفسية فهي ضرب من الحكمة التي تعني فيما تعني حسن التقدير ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾ [البقرة:٢٦٩]. وقد شاع على الألسنة كالقول المأثور: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله) .وينسب أحيانا إلى النبي ﷺ كما شاع قول أحد العارفين: (من عمّر باطنه بالتقوى لم تخطىء له فراسة).

ولقد ارتبطت الفراسة أو انبثق عنها وسائل حُكمية أخرى في أوساط الصوفية والمتدينين كالكشف والرؤى. ولا يستطيع باحث مؤمن يوقن بالإمكانات غير المحدودة للروح مما لم يقف العلم، وربما لن يقف على شيء من أسراره لأن الروح من أمر ربي ولا يستطيع باحث يوقن بذلك أن ينكر أثر هذا الأسلوب وجدارته بالإقدام، ولكنه في النهاية لا يستطيع أن يحكم له بصفة العلمية بالمعنى الدقيق. ويسرني أن أقف إجلالا لتلك العقلية العلمية المتزنة التي تبدو في الأصل الثالث من الأصول العشرين التي وضعها الشيخ البنا لتربية أفراد جماعته على قواعد منهجية فكرية واحدة حيث يقول:

(وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه)(٣).

٢- الملاحظة

والملاحظة بمعنى مراقبة سلوك المتعلم في مواقف مختلفة بعين الناقد البصير هي أيضا أسلوب قديم لأنه أسلوب فطري منطقي يمارسه الناس بتلقائية فلا تختص به أمة دون أمة أو بيئة دون أخرى وقد حاول المربون الأوائل أن يضعوا للملاحظة منهجا أو ضوابط فنية لتخرج من أسر الذاتية إلى الموضوعية ، وأقدم ما بين أيدينا من نصوص تؤكد على ضرورة ضبط الملاحظة للوصول إلى نتائج دقيقة في مجال الحكم على الأشخاص هو وصية الرسول ﷺ إلى جابر بن عبدالله عند إقباله على الزواج إذ دعاه لإمعان النظر وأباح تكراره ليتخذ القرار السليم كما نجد كذلك وصية عمر في اختيار القادة وغيرها من المواقف والوصايا وبخاصة عند علماء الحديث والصوفية مما لو تم جمعه لتكونت لدينا رؤية منهجية وإننا لانعدم بالطبع في مصدرنا الأول – القرآن الكريم – إشارات دقيقة في هذا الصدد وإلى أن يتم ذلك فلا يسعنا إلا أن نقرر أن العلماء الغربيين هم الذين قطعوا شوطا بعيدا في مجال الضبط العلمي للملاحظة لتكون نتائجها أكثر موضوعية ودقة.

إن الملاحظة الدقيقة الموضوعية المدروسة هي بداية الطريق نحو حكم صحيح وهي (الخطوة الأولى من خطوات البحث العلمي ولذلك فهي ليست بعملية سهلة) وتحتاج من ثم إلى خبرة ودربة.

ترك لنا المربون المسلمون الأوائل تراثا زاخرا لا يحصر اهتمامه في استكشاف القدرات الفريدة والمواهب الفذة لاستثمارها، وإنما يهتم بمعالجة ما يعوّق نمو هذه القدرات في الاتجاه الصحيح

٣- ملازمة الشيخ

وبينها وبين ما سبق خصوص وعموم فلا شك أن فراسة الشيخ المعلم وملاحظته هي وسائله الأساسية في الحكم على شخصيات تلاميذه، لكن الفراسة والملاحظة أوسع مدى من أن تحكر على المعلمين كما أن للملازمة في ذاتها فضيلة مستقلة تجعلها جديرة بأن تكون وسيلة خاصة من وسائل الحكم على الشخصيات واكتشاف قدراتها ومواهبها.

وابن جماعة – أحد كبار المعلمين المسلمين – يجعل من أولى مهمات المعلم اكتشاف قدرات ومواهب طلابه لتوجيهها الوجهة النافعة فيقول: (كان علماء السلف الناصحون لله ودينه يلقون شباك الاجتهاد لصيد طالب ينتفع به الناس في حياتهم ومن بعدهم)(٤).

ولا شك أن طرقهم في التدريس ووسائلهم الخاصة التي يحصلونها بالتجربة هي التي كانت تساعدهم في اكتشاف هؤلاء النوابغ والإمام الغزالي في إحيائه يعقد فصلا طريفا لبيان وسائل اكتشاف النفس والحكم عليها فيحددها في أربع وسائل ينقد ثلاثا منها ويرفضها ويقبل الرابعة ويحبذها، فالوسيلة الأولى هي الاستبطان الذاتي، والوسيلة الثانية هي ملاحظات ونصائح الصديق الصدوق والوسيلة الثالثة هي اتهامات العدو الكاشح والوسيلة الرابعة هي ملازمة الشيخ الرباني (٥).

وهذا الأسلوب الفريد المعطاء الذي تميزت به التربية الإسلامية تسعى التربية الحديثة للوصول إليه إيمانا بمنافعه ولكن دون جدوى وقد حاولت بعض التجارب التربوية الحديثة للحركات الإسلامية إحياء هذا الأسلوب وأثبت بالفعل نجاحا

وسائل وأساليب تقويم الشخصية

لكنه نجاح يحتاج لمزيد من الجهود لضبطه وتقعيده وتحقيق استمراره.

٤- المواقف الكاشفة

الرجال مواقف كما يقول المثل وهو كلام معقول حيث تكشف المواقف الكثير من معادن الناس ومكنونات نفوسهم وبخاصة مواقف الشدة والابتلاء ولعل هذا الأسلوب أسلوب فطري قديم احتفل به الإسلام، والإسلام دين الفطرة يلتقي معها في نقائها وصفائها.

ولقد عنى المربون المسلمون الأوائل وعلى رأسهم إمام المربين محمد ﷺ بهذا الأسلوب الذي يقوم على غمر المتعلم في الموقف بعد تأهل له ثم ملاحظة سلوكه وطريقة تخلصه منه وما يبدو عليه من ثقة أو اهتزاز أو ابتكار أو نمطية الخ. وهذا الأسلوب يكشف بالفعل الكثير من المواهب كما يفيد في الحكم على الشخصية حكما كليا. وتاريخنا التربوي حافل بأمثلة تطبيقية في هذا المجال بما يؤكد وجوده وأهميته.

٥- المقابلة

وهي كذلك أسلوب فطري قديم اعتمده الإسلام وأمامنا نموذج عملي في القرآن الكريم على هذا الأسلوب في سورة يوسف في تلك المقابلة التاريخية التي تحول يوسف بعدها من عبد رقيق سجين إلى رئيس وزراء مصر المطلق كما أننا لا نعدم نماذج أخرى كثيرة في سيرة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين.

وكما قلنا في كلامنا حول الملاحظة إن هذا الأسلوب كأسلوب تقويم واستكشاف للشخصية لم يحظ بدراسات تخلصه من آثار الذاتية والعشوائية كما رأينا عند الغربيين، ولا يعني هذا عدم وجود هذه الضوابط، وإنما يعني أنها لم تجمع جمعا علميا يسمح باضطرادها، كما لا يعني هذا الكلام القدح في نتائج المقابلات القديمة، فلم يزل لفطنة المقابل وفراسته وذكائه وخبرته أثر في هذه المقابلات حتى اليوم.

٦- قوائم الصفات المعيارية

ولا أنكر ابتداء أنني أخذت وصف هذا الأسلوب من الدراسات الحديثة لكنه بلا شك أسلوب إسلامي أصيل في تصنيف الشخصيات والحكم عليها حكما كليا عاما ويقوم هذا الأسلوب على مبدأ أساسي في التصور الإسلامي وهو مبدأ المسؤولية الفردية للإنسان وكونه رقيبا على نفسه: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ [القيامة/ ١٤] ويتلخص هذا الأسلوب في تقديم خصائص وصفات دقيقة للشخصية السوية تمثل معايير قياسية يسهل على كل إنسان أن يقيس نفسه بها ويعطي لنفسه درجة على هذا المقياس

> عنى المربون المسلمون الأوائل بغمر المتعلم في الموقف بعد تأهل له، ثم ملاحظة سلوكه وطريقة تخلصه منه، وما يبدو عليه من ثقة أو اهتزاز أو ابتكار أو نمطية...

فيحصل على حكم دقيق في نفسه.
ومن هذه القوائم المعيارية في القرآن الكريم خواتيم سورة الأنعام، وخواتيم سورة الفرقان، وخواتيم سورة المعارج، وغيرها كثير في القرآن العظيم.

ومن عجائب هذا الأسلوب في منطق النبي ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم أن تجمع قائمة الصفات في تشبيه يسهل إدراكه واستيعابه والقياس عليه ومن ذلك وصف المؤمن بالنخلة والخامة من الزرع ومما يجدر ذكره أن أسلوب القوائم المعيارية هذا هو أبرز الأساليب عند علماء الصحة النفسية المحدثين.

٧- الحسبة

الحسبة هي وجه من وجوه التطبيق العملي لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع الإسلامي، (والمحتسب رجل ائتمنه أهل زمانه على تقديم أداء الأفراد، وتنظيم أمور السوق والعمل، فمهمات المحتسب سابقا مهمات تقويمية عديدة ومتنوعة تقوم بمثلها الآن مؤسسات ودوائر مختلفة، والذي يهمنا من ذلك ما يقوم به المحتسب من تقويم لانجاز الفرد لمنحه إجازة الانتقال من رتبة مهنية إلى أخرى)(٦).

إن عملية التصنيف التي كان يقوم بها المحتسب لتحديد مستويات الأداء والتي تعتمد على اكتشاف المهارات الأساسية لكل مرتبة تعطي ايحاء مفيدا في أن المحتسب كان يمتلك من الوسائل ما يقيس به أو يكتشف تلك المهارات، ولما كنا لم نتعرف على وجه القطع على هذه الوسائل فقد اعتبرنا الوظيفة نفسها هي الوسيلة.

٨- إشاعة جو الحرية والتركيز على مبدأ المسؤولية الجماعية

الإنسان يعمل بصورة أفضل في الجو

الحر المفتوح وتتفتح طاقاته وتظهر مواهبه حين يشعر أنه مقدر ومحترم يستطيع أن يبدي رأيه ويعلن عما في نفسه من موقع المشارك لا التابع، ولذلك يؤكد القرآن على هذا المعنى ويعطي نماذج عملية للمسلمين في مجال النقد الذاتي ولا نعجب حين نجد أن عمليات التصويب والتسديد تناولت الرسول القدوة نفسه ﷺ في بعض ما اجتهد فيه(٧)، وتتضافر النصوص والمواقف لتأكيد هذا المعنى، ويلتقط عمر الملهم المبدأ مدركا أهمية الناس لممارسة حقوقهم في النقد الذاتي والمراقبة الجماعية: (لا خير فيكم إن لم تقولوها).

إن روح النقد الذاتي إذا تمكنت فإنها تتحول تلقائيا إلى ظاهرة اجتماعية فكما أن الفرد يقوم بحركة تزاوجية في كيانه مما يكتب لكيانه الخصوبة والنمو يحدث الأمر بنوعية جديدة من خلال مزاوجة نقدية على مستوى المجتمع تجعله يتحلل من أمراضه(٨) ومنها الكبت والتسلط والقهر وجميعها تقتل المواهب كما أن هذه الظاهرة تسهم إلى حد كبير في اكتشاف وإبراز الكثير من الطاقات والقدرات والمواهب والكفاءات.

٩- آراء المعيدين

يسجل ابن جماعة في كتابه القيم (أدب العالم والمتعلم) أسلوبا من الأساليب المعتمدة عند المربين في عصره لاكتشاف طاقات الأفراد وإمكاناتهم إذ جعل (من واجبات المعيدين وهم أكثر اختلاطا بالطلاب وأكثر معرفة بقدراتهم أن يخبروا المعلمين عن الأذكياء النابهين منهم لتزداد عناية المعلمين بهم وليقدموا لهم من التعليم ما يناسبهم وما يتلاءم مع قدراتهم)(٩).

١٠- الاختبارات التقليدية

وهي أضعف وسائل الحكم على

يعمل الانسان بصورة أفضل في الجو الحر المفتوح، وتتفتح طاقاته، وتظهر مواهبه، حين يشعر أنه مقدر ومحترم يستطيع أن يبدي رأيه ويعلن عما في نفسه من موقع لمشارك لا التابع

الشخصية إذ لا يمكن أن تقيس أكثر من جانب واحد من جوانب الشخصية ولكنها قد تفيد في الكشف عن قدرة معينة أو مهارة خاصة لدى الفرد ومن ثم لم يكن اعتماد التربية الإسلامية عليها كبيرا وهو ماتدعو إليه الدراسات النفسية الحديثة ، وقد حرصت التربية الإسلامية على تنقية الاختبارات من الكثير من مثالبها فجعلتها في حسن المربي وسيلة لا غاية، وشهادة لله، واشترطت لها ملازمة العالم للمتعلم مدة كافية يستطيع فيها تبين ما لديه باعطائه الفرصة بعد الفرصة من حين لآخر لإبراز تلك القدرات في مواقف عملية.

يقول النحلاوي: (كانت الإجازة العلمية قديما عند أسلافنا شهادة من عالم جليل لأحد طلابه بالقدرة على تدريس كتاب معين ولم تكن تعطى الإجازة إلا بعد شعور صحيح بقدرة هذا المدرس الجديد وبعد مرافقته للشيخ مدة كافية ومناقشته لجميع قضايا الكتاب مع فهم وإتقان. ويبقى المجاز بعد ذلك كله على صلة بشيخه)(١٠). ليستقيم له السير على طريق الحق بلا زيغ أو انحراف.

وبعد فهذه الوسائل والأساليب التي عرضناها ربما لا تكون مستعصية لكل ما كان معهودا في البيئات التربوية العلمية الإسلامية. ولكن حسبها أن تكون علامات على الطريق ومحفزات البحوث أكثر استقصاء وشمولا بما يغنينا في النهاية بأساليب تربوية مستقاة من تراثنا وبخاصة في عهود القوة والازدهار لعلنا نأخذ بها في جهودنا التربوية الراهنة ففصل حاضرنا بماضينا وطريفنا بتالدنا وبمثل هذا نستعيد بإذن الله ما كان لنا من مجد وسؤدد وعزة وتمكين (ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)□

الهوامش:

(١) انظر للتوسع ابن تيمية: أمراض القلب وشفاؤها. والمحاسبي: آداب النفوس. والغزالي: إحياء العلوم.

(٢) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ج٢، ص٢٧٥.

٣) الإمام حسن البنا: مجموعة الرسائل (رسالة التعاليم) ص ٢٦٨.

(٤) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين ج١ ص٧٩-٨٠.

(٥) د. نزار الطائي: القياس وعلاقته بالتقويم التربوي، من: محاضرات في التقويم التربوي، إصدار مكتب التربية العربي، ص٤٨.

(٦) عمر عبيد حسنة: نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ص٤٢.

(٧) د. خالص جلبي: في النقد الذاتي، ص٢١.

(٨) د. حسن عبدالعال: فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة، ص٢١٠.

(٩) د. عبدالرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص١٥٢.

ضرورة الاعتقاد الديني ووظيفته

بقلم: الطيب بـــوعـــزة

إن الظاهرة الدينية ثابت أساسي في جميع النظم الثقافية التي تواجدت في حضارات الانسان. فضمن كل ثقافة لابد من وجود معبود تتجه اليه مشاعر الافراد بالتقديس والخضوع، ويستمد منه نظام المجتمع الشرعية والقدرة على الزام الافراد باحترام أعرافه وقوانينه. ونظرا لاهمية الاعتقاد الديني وحضوره الكبير في حضارات الانسان، فقد كان موضوعا للتساؤل والجدال بين اتجاهات ومدارس الفكر والفلسفة. والسؤال الاساسي الذي تمحورت المجادلات حوله هو: ما مصدر الظاهرة الدينية؟

ظاهرة التدين واختلاف المفكرين

لقد تباينت الاجابات عن هذا السؤال وتعددت. فبعض المفكرين جعل الظاهرة الدينية نتاجا لضعف الانسان الاول (الانسان البدائي) تجاه الطبيعة، هذا الضعف الذي يعكس انحطاط مستوى الاجتماع والتمدن، مما يجعل الانسان مدفوعا الى تملق بعض ظواهر الطبيعة والكون، والتوجه اليها بالتقديس والتعبد، عسى ان تحميه من الاخطار المحدقة به.

لكن هذه الفرضية تظل مهزوزة، وذات ضعف واضح في استنادها. اذ لو كان الاعتقاد الديني نتاج ضعف وبدائية المستوى المعرفي والاجتماعي للانسان الاول، فلماذا استمر هذا الاعتقاد في خلال نظم اجتماعية وحضارية أرقى مستوى بل نظم اجتماعية متحضرة متمدنة جداً؟

إذن فهذه الفرضية جد محدودة في قدرتها التفسيرية، لانها لا تستطيع أن تبرر التدين في حضارة العلم والتمدن.

ونتيجة لتواجد الاعتقاد الديني وحضوره في مختلف المجتمعات البشرية - على ما بينها من اختلاف في درجة التفكير والتحضر- ذهب صنف آخر من المفكرين الى حد اعتبار الانسان حيواناً متديناً. بمعنى إن التدين احتياج فطري لصيق بالنفس البشرية، ونابع منها لذا. فقد تدين الكائن الانساني في كل أطوار حضارته ومدنيته. ولم يمنعه انحطاط مستوى عيشه. وطفولة مداركه المعرفية من الشعور بالحاجة الى الاعتقاد والتدين، كما لم يمنعه ارتفاع وعيه وفكره ومدنيته من استشعار هذه الحاجة. وهذا يدل دلالة قطعية على أن الاحتياج الى الدين ينبعث من داخل الانسان.

أما شروط الاجتماع وملابسات محيط العيش فقد تؤثر في الاعتقاد الديني، وقد تحدد مدى قوته أو ضعفه، لكنها لن تخلقه من عدم وبكل منطق، لو كانت الظاهرة الدينية نتاج شرط اجتماعي معين، أو نتاج مستوى معين من مستويات المعرفة البشرية، لذهبت بذهاب ذلك الشرط، وزالت بزوال ذلك المستوى.

التدين فطرة ربانية

وفي القرآن الكريم إجابة واضحة فيما يخص مصدر الظاهرة الدينية. إذ يتحدث القرآن في سورة الروم، عن الفطرة حديثا يزاوج فيه بينها وبين الدين في توليف واحد يفيدُ وجود علاقة ضرورية بين الفطرة الكامنة في نفس الانسان، والعقيدة الدينية الظاهرة في حياته. يقول الله عز وجل: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الروم: ٣٠].

ويمكن أن نستمد من هذه الآية دلالتين:

- الدلالة الأولى: وهي دلالة واضحة مستفادة من ظاهرة الآية، حيث تفيد أن الاسلام دين منسجم مع الكيان الفطري للانسان ومع تصميمه النفسي. ومن ثم فهو الدين الوحيد الذي يستطيع الانسان أن يطمئن الى حقائقه وإيحاءاته، ويجد فيها السعادة والاطمئنان النفسي والعقلي.

- والدلالة الثانية، وهي التي تهم موضوعنا هذا، ومفادها ان هذا الربط بين الدين والفطرة لا يقف عند انسجام الاسلام مع فطرة الإنسان، بل يتجاوزه الى أن هذه الفطرة ما انسجم معها هذا الدين الا لكمون خصائص روحية فيها وهي التي تطلب هذا الدين وتنسجم معه. ومادامت فطرة الانسان واحدة في كل زمان ومكان، فالخصائص المركوزة فيها هي كذلك واحدة، ومن ثم فاحتياجها الى الدين موجود فيها في كل زمان ومكان، وفي كل الشروط الثقافية والمجتمعية.

إن دلالة لفظة (الفطرة) - إذن - في تلك الآية الكريمة تفيد (الدين) وهكذا فسرها الشيرازي و الماردي وغيرهما من العلماء والمفسرين. ومن ثم فالانسان في المفهوم الاسلامي متدين بالفطرة.

خطأ الفلاسفة

ولذا قد أخطأ الفلاسفة وعلماء الاديان الوضعيون حين جعلوا المجتمع والكون مكاناً يبحثون فيه عن أسباب التدين، فانصرفت ملاحظاتهم عن الداخل الانساني الى الوجود الاجتماعي والكوني، ولكنهم انتهوا بعد مشقة البحث وعناء التفكير الى فرضيات مهزوزة، وسبل مسدودة، وأسئلة معلقة، وشكوك قائمة.

إن الكون ومؤثراته المادية، لا يمكن أن ينشىء في داخل الانسان مشاعر كانت معدومة من قبل، بل لا يمكن للكون أن يحرك شعورا أو إحساساً في الانسان، ما لم يكن بداخل الانسان قابلية للاستشعار والاحساس ابتداء. والشروط الاجتماعية والكونية لاتخلق المشاعر بل تحركها، ولا تخلق الاهتمام بل تثيره. والتدين إحساس فطري يولد مع الانسان، انه شعور قبل أن يتجسد في سلوك أو نمط اجتماعي، أو في ثقافة ونظام تفكير.

إن الانسان كائن متدين، وليس أدل على ذلك عندي من أفكار وفلسفات الالحاد! أجل من الالحاد يثبت فكرة التدين أكثر من فلسفات الايمان والاعتقاد. فكل فلسفات الالحاد كانت حين تستبعد فكرة الخالق

(الله)، تضع لنفسها - حتى بدون أن تدري - إلهاً جديداً، وتخلع عليه نفس المواصفات التي تخلعها الثقافة الدينية على الاله المفارق للكون، وهذا أدل دليل على حتمية الدين واستحالة ابعاده. فحينما أعلن نيتشه موت الاله فانه في ذات الوقت كان يستدخل نفس مواصفات الاله، في فكرة الانسان المتعالي (السوبر-مان)، إنه بلا شعور منه، حين يحاول تغييب الاله، يتوالد من خلال فلسفته ذاتها اله جديد! وبهذا يصل نيتشه الى عمق التناقض والتهافت. فلم يستطع قتل فكرة الإله كما توهم بل ظلت هذه الفكرة متواجدة في صلب مذهبه الفلسفي ذاته، ولم يفعل نيتشه غير تبديل موقعها من السماء الى الأرض.

إن نيتشه يناقض نفسه بنفسه، ويؤكد ضرورة وجود فكرة (الإله) في ذات الوقت الذي يحاول فيه نفيها وتغييبها، إذ يقول: (إن علينا أن نصنع الله! ولكن حذار من أن نصنع الله على صورتنا ومثالنا، إلهاً بشرياً، إلهاً غاية في الانسانية. فلنصنع أنفسنا نحن على صورة الله، ولتكن هذه الصورة فوق - إنسانية)(١).

لابد للانسان من اصطناع دين واتخاذ معبود، ومن لايعبد الله يعبد غيره. فالتدين فطرة واحتياج نفسي ضروري لابد من إشباعه. تماما كالاحتياج الى الطعام والشراب. ولذا حينما يزيل الفيلسوف الالحادي باليد (اليسرى) فكرة الاله- اله السماء- من ثقافة مجتمع معين، فانه يستقدمه - وحتى بدون أن يدري- باليد الاخرى ويثبته في موقع جديد. والفلسفة التي تفرغ السماء من فكرة الاله تضطر الانسان الى تحويل توجهه من السماء نحو الارض. وهكذا يتحول الانسان من عبادة الله الى عبادة (آلهة) زائفة من الارض، وهذا تحريف خطير لغريزة التدين، تحريف يفسد الايمان ويفرغه من محتواه الايجابي.

على التفكير الالحادي أن يدرك ألا محيد عن الاعتقاد الديني، فان لم يتعبد الانسان إلى إله السماء. تعبد - ولا بد - الى (إله) الارض (الاوثان). وفرق كبير بين عبادة إله السماء، وعبادة الآلهة الزائفة، ففي عبادة إله السماء تحرر للوجدان البشري، وتحرر للنفس البشرية من أوثان الارض وضغط مؤثراتها وشروطها، وارتفاع عن التذلل أمام مخلوقات الارض، لانها - وبكل بساطة - عبد لله الواحد لأحد، عبيد كباقي المخلوقات سواء. ولذا فالاختيار (الانطولوجي) الموضوع أمام العقل الفلسفي ليس إختيارا بين الايمان والالحاد، بل إنه في العمق اختيار بين عبادة الله الخالق، أو عبادة عبد مخلوق. والى مثل هذا المعنى كان يلمح موريس بلوندل حين كتب: (في العمق ليس هناك ملحدون بمعنى الكلمة)(٢).

والملفت للنظر أن الانسان لا يصبر على العيش بدون اعتقاد ديني، وحينما يفتقر الى وحي سماوي، يندفع بعقله القاصر - وإن كان على إدراك بقصور عقله - الى الانشغال بما وراء هذا الكون ومحاولة تحديد فكرة دينية عن أصل الحياة ومصيرها، وهذا ما يفسر المحاولات الفلسفية المصطلح عليها (بالميتافزيقا) التي رغم هشاشة بناءها، وافتقارها للدلائل والبراهين، كان الفلاسفة يتمسكون بها، ويضعونها في أول مذاهبهم الفكرية.

يقول أوجست كونت في كتابه الشهير (دروس الفلسفة الوضعية): (في الحالة الوضعية يعترف العقل الإنساني باستحالة الوصول إلى معاني مطلقة. ولذا فإنه يقلع عن البحث عن أصل الكون ومصيره، وعن معرفة العلل العميقة للظواهر)(٣).

فعلا إن العقل الإنساني عاجز عن تصور ما وراء هذا الكون، وعاجز عن تحديد مصدر هذا الكون ومصيره. ولكن أخطأ كونت في إقلاع هذا العقل عن البحث الماورائي. فحتى لو تيقن العقل الإنساني بعجزه، فإنه لن يقلع عن البحث عن أصل الكون ووجهته ومآله. فغريزة التدين وتساؤلاتها الفطرية مركزة في صميم الإنسان، كل إنسان، حتى السيد أوجست كونت نفسه! ولذا اضطر هو نفسه - في أواخر حياته - إلى البحث عن دين جديد سماه (عبادة الإنسانية) ليحل محل (الدين) اللاهوتي، في المرحلة الوضعية العلمية. وهكذا لم يقلع عن البحث، بل ظلت قضية التدين ضمن انشغالاته، واضطرته آخر الأمر إلى الإبحار في شفافية الدين، ومحاولة ملامستها.

وظيفة الدين

والفكرة الدينية ذات وظيفة هامة، إذ هي مكون ضروري لاكتمال نظام الثقافة، فهي التي تحدد التصور الكلي حول الوجود، هذا التصور الذي يفسر مصدر الوجود ومصيره، وإلى هذا التفسير تستند ثقافة المجتمع ومنه تأخذ طبيعتها وخصائصها. والفكرة الدينية عنصر أساسي لصلاح المجتمع. فحين يؤمن الإنسان بوجود الله الذي سيحاسبه بعد الموت على فعله في هذه الحياة الدنيا، يصلح في قرارة نفسه، ويصلح فيما يتجاذبه مع غيره من روابط وصلات. فلا تكون الرقابة الزجرية التي تحافظ على نماذج السلوك المشروعة كالقانون والشرط والمحكمة أوراقا وشخوصا وبنايات، بل تتحول تلك الرقابة إلى إحساس وشعور في داخل الإنسان يوجهه ويقوده.

وهذا ما اضطر فولتير وهو عدو الكنيسة إلى أن يقول: (إذا كان الله غير موجود يجب اختراعه) إيمانا منه بضرورة الاعتقاد بوجود قوة عليا ليصلح الإنسان والمجتمع. كما أن الفكرة الدينية هي التي تعطي لشريعة المجتمع القوة الإلزامية المعنوية التي تستند إلى القناعة الذاتية للفرد الإنساني، وهذا ما تفتقر إليه الشرائع الوضعية، التي لا تستند نظمها إلى قناعة شعورية معنوية، بل فقط إلى قوة إلزمية مادية(٤).

ولا يعني هذا قبولا لمختلف الأفكار الدينية الموجود، إذ فيها أفكار وثنية زائفة يجب إزالتها من ثقافة وحضارة الإنسان، لأن الفكرة الدينية فوق مقدور العقل الإنساني، ولذا فهي فكرة معطاة، ولا يجب أن ينتجها التفكير البشري، بل يجب أن يتلقاها من الوحي السماوي. والفكرة الدينية الصحيحة هي وحي منّزل، لا فكرة من بنات أفكار الأرض القاصرة، على يقين يمنحه الله للإنسان، لا هلوسة ينتجها عقل بشري محدود في طاقته وأدواته ورؤاه

الهوامش:

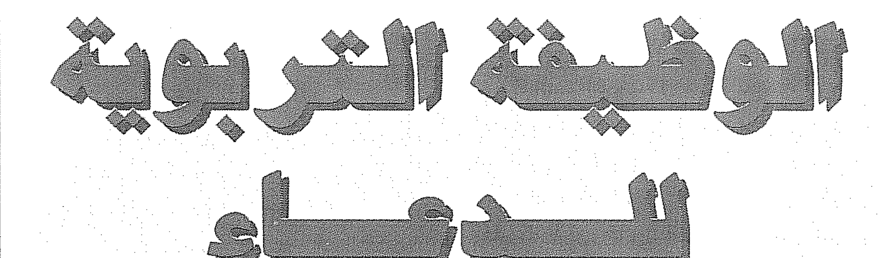
(١) د. زكريا إبراهيم: مشكلات فلسفية - مشكلة الإنسان، ص ١٩٧.

(٢) نفس المرجع ص ١٨٥.

(٣) انظر مجلة: تراث الإنسانية، المجلد ٢، ص ١١.

(٤) انظر مقالنا: الدين قانون المجتمع، ١و٢، المنشور بجريدة الإصلاح المغربية، العددان: ٩و١٠.

يمثل الدعاء أعلى وأرقى درجات العبودية والعبادة لله سبحانه وتعالى.. ولذلك كان مطلوبا في كل حين، وعلى كل حال



بقلم الدكتور: أحمد الريسوني *

غير خاف ما أعطي للدعاء من منزلة ومكانة وأهمية في الإسلام. وحسبنا من ذلك كونه اعتبر «مُخّ العبادة»، وفي رواية أخرى عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»(١).

ومن هنا كان المقصد الأسمى للدعاء، هو كونه يمثل أعلى وأرقى درجات العبودية والعبادة لله سبحانه وتعالى. ولذلك كان الدعاء مطلوبا في كل حين، وعلى كل حال، وكان مطلوباً بتذلل وتضرع وافتقار وعبودية: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾(٢). وجاءت الأدعية النبوية طافحة بروح الضراعة والإجلال للباري جل وعلا «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك..»(٣)، «يا مُقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»(٤)، «ألظوا بياذا الجلال والإكرام»(٥)، «اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان..»(٦).

والمقصد الآخر من المقاصد الكبرى للدعاء، هو قضاء الحاجات، واستجلاب الخيرات، ودفع الشرور والآفات. يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾(٧)، وقوله: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾(٨). وما جاء في الأحاديث الكثيرة من مثل ما رواه أبو هريرة رضي عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي»(٩). وما رواه طارق بن أشيم رضي الله عنه قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني»(١٠). وهذا المقصد، هو أكثر ما يعرفه الناس ويتعاطونه من مقاصد الدعاء وفوائده، ولو أنه مجرد فرع عن المقصد الأول.

إلا أن المقصد الغائب المغفول عنه من مقاصد الدعاء هو وظيفته التربوية، وهو المقصد الذي أردت التنبيه عليه في هذا المقال.

وأعني بذلك أن الدعاء في الإسلام قد جُعل وسيلة للتوجيه التربوي، والتأثير السلوكي العملي. ولا شك أن الممارسين للتربية – من أساتذة ومعلمين، ووعاظ مرشدين، وخطباء موجهين، وعلماء مفتين، ومن آباء وأمهات – لا شك أنهم كلما كانوا على بينة من الأبعاد والتأثيرات التربوية للدعاء، أمكنهم الاستفادة منه، وتوظيفه فيما يرومونه، ويضطلعون به من إصلاح وتهذيب وتزكية. بل إن عموم الناس إذ نُبهوا وتفطنوا لما تقتضيه أدعيتهم – والأدعية المأثورة خاصة – من لوازم وشروط وغايات، فإنهم يصبحون أكثر تفاعلا مع الدعاء ومغزاه العملي. وفيما يلي نماذج للمضامين التربوية لبعض الأدعية المشروعة في القرآن والسنّة.

المساعدة على الطاعة والامتثال

ومن ذلك ما نبه عليه الإمام أبو بكر الطرطوشي، حيث قال وهو يسرد فوائد الدعاء منها: (إن الدعاء إشغال الهمة بذكر الحق سبحانه وتعالى، وذلك يُوجب قيام الهيبة – للحق عز وجل – في القلوب، والزيادات في الطاعات، والانقطاع عن المعاصي)(١١)، ذلك أن من تعلق قلبه وفكره بربه داعيا مبتهلا، كان أقرب إلى طاعته والتجافي عن معصيته. وهذا أمر واضح ومجرب، ولا يحتاج إلى إثبات أو شرح.

ثم إن بعض الأدعية المأثورة تتضمن بألفاظها تذكير الداعي بطاعة الله، وترغيبه فيها، وتنفيره من العصيان، مثل ما جاء في سيد الاستغفار: (..وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت)(١٢). ومثل ما جاء في الوصية النبوية: «أوصيك يا معاذ لا تَدَعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنِّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»(١٣). ومثل دعائه ﷺ – يعلمنا – بقوله: «اللهم مُصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك»(١٤).

توجيه العناية إلى الذات

كثير من الناس حين يتوجهون بالدعاء إلى ربهم، ويرفعون أكفهم وأبصارهم نحو الأعلى، سائلين حاجاتهم، متعوذين من الشرور النازلة بهم، تنصرف عقولهم وأذهانهم عن ذواتهم ونفوسهم، غافلين أو متغافلين عن مسؤولياتهم فيما جرى، وما يمكن أن يجري، وأن الأمور بأسبابها وشروطها. ولذلك جاءت الأحاديث والأدعية النبوية توجه عناية الداعين إلى ذواتهم، وإلى مكامن الداء في أنفسهم، حتى لا يكون الدعاء – الذي هو تعلق بقدرة الله وإرادته – صارفا لهم عن الشعور بواجبهم وبدورهم، وبتبعات صفاتهم، وتصرفاتهم. فعن شَكْل بن حميد رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، علمني دعاء، قال قل: «اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر منيي»(١٥).

فالحديث يحملنا على الالتفات والتفكير في الشرور التي نقع فيها – أو يمكن أن تقع فيها – أسماعنا، وأبصارنا، وألسنتنا، وقلوبنا، وفروجنا، وغير ذلك من أعضائنا وأدوات تصرفنا. وقريب منه ما رواه زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا كما كان يقول رسول

* أستاذ مقاصد الشريعة بجامعة محمد الخامس بالرباط

الله ﷺ. كان يقول: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، إنك وليها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها»(١٦).

وهكذا يُتخذ من الدعاء سبب ووسيلة لحمل الناس على التفكير في نفوسهم، وتصرفاتهم، وأحوالهم، ومسؤولياتهم في ذلك كله.

ومن مثل هذه الأدعية والأحاديث، استخلص الواعظ الزاهد إبراهيم بن أدهم – رحمه الله – كلمته الجامعة، حين قالوا له: ما لنا ندعو الله فلا يستجيب لنا؟ فقال: (لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه، بل وافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم موتاكم فلم تعتبروا بهم، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس).

التنفير من الآفات

وهذا امتداد – لما جاء في النقطة السابقة – وفرع له. فهو من قبيل عطف الخاص على العام. وأعني بذلك أن الأدعية النبوية كانت تركز على التشنيع والتنفير من آفات معينة، يكثر اتصاف الناس بها، ووقوعهم في أسرها. من ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال: كنت أخدم النبي ﷺ، فكنت أسمعه يكثر أن يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال».

وهذه الآفات كلها تجتمع في كونها تدفع إلى الشلل في الإرادة والمبادرة والفعل، وتجعل المتصف كَلا لا يقدر على شيء. فجاء الدعاء النبوي يحمل جرعات من التحذير والتنفير من هذه الآفات، ويجعل من هذه الجرعات زادا ودواء يوميا. وإذا كان رسول الله ﷺ «يُكثر» من التعوذ من هذه الآفات وهو أبرأ الناس منها، وأبعدهم عنها، فكيف بمن دونه، وكل الناس دونه؟!

إن من شأن المداومة على هذا الدعاء – مع تدبر معانيه واستيعاب مراميه – أن يحدث في النفس نفورا واشمئزازا من هذه الآفات المستعاذ منها. وهذا الاشمئزاز والنفور يدفع إلى اتقائها، وتجنب أسبابها، ومقاومة مظاهرها وآثارها.

وغير خاف على أحد أن هذه الآفات، هي من أكثر الآفات انتشارا وتنغيصا للحياة الفردية والاجتماعية للناس، فهي مصدر الاكتئاب والانهزام، ومصدر الضعف والتخاذل، ومصدر الغش والتقاعس، ومصدر التدهور والانحطاط في المعنويات الخلقية. يوضح ذلك – أو بعضه – بيان رسول الله ﷺ حين قيل له: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم!! فقال: «إن الرجل إذا غرم، حدث فكذب، ووعد فأخلف»(١٧).

تمتين الأخوة الإسلامية

هناك أدعية كثيرة في القرآن والسنة، ترمي إلى بث روح الأخوة والمحبة بين المسلمين، وتعمل – من خلال تكرارها والمداومة عليها – إلى جعل تلك الأخوة والمحبة في حالة توهج وتجدد مستمرين، وتُحرك بين المؤمنين عواطف الرحمة والشفقة والتناصر والتآزر. وفيما يلي نماذج من تلك الأدعية التي لا يسع مسلم أن يخلو من نصيبه منها، قلّ أو كَثُر:

* فمن القرآن الكريم:

– ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾.

– ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾.

– ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾.

– ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات﴾.

ومعلوم أن الدعاء الذي يتكرر في سورة الفاتحة مرات ومرات في كل يوم وليلة، قد جاء بصيغة الجماعة ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، ليكون الشعور بالانتماء، وما يقتضيه هذا الانتماء من طلب جماعي، وسعي جماعي للهداية والتمسك بصراطها المستقيم، حيا متجددا في نفس كل مسلم.

* ومن السنّة:

نبدأ من حيث انتهينا، من أدعية الصلاة التي يكررها المسلم يوميا مرات ومرات بصورة جماعية وإلزامية.

– ففي دعاء التشهد: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، فالمصلي يدعو بالسلام والسلامة، والأمان والنجاة لكل عبد من عباد الله الصالحين. ومن روائع التأملات ودقائق الاستنباطات، ما حكاه تاج الدين السبكي عن والده علي بن عبد الكافي من أنه سمعه يقول: لكل مسلم عندي وعند كل مسلم حق في أداء هذه الصلوات الخمس، ومتى فرط مسلم في صلاة واحدة، كان قد اعتدى على كل مسلم، وأخذ له حقا من حقوقه.. لأن المصلي يقول: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، والنبي ﷺ يقول: «إن المصلي إذا قال هذا، أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض»(١٨).

ومن هذا الباب صلاة الجنازة، التي هي في جوهرها ومقصدها الأول دعاء للميت. غير أن الدعاء المسنون لهذه الصلاة – التي تخيم عليها الرهبة والخشوع – لم يقتصر على الدعاء للميت وحده، وإنما امتد ليشمل كل مسلم، على غرار دعاء التشهد: (اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان)(١٩).

– وترغيبا في استحضار المؤمن لإخوانه، وتشجيعا على ذكرهم، وتجديد عهدهم، والدعاء لهم، جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل»(٢٠).

الحث على العمل

كثير من الناس يتصورون أن الدعاء يقوم مقام العمل ويغني عنه. وهذا اعتقاد فاسد لا أصل له في الشرع. أما التعبد الصحيح بالدعاء، فهو الذي يكون مسبوقا بالعمل، ومصحوبا بالعمل، وملحوقا بالعمل. والتعبد الصحيح بالدعاء هو الذي يعتبر الدعاء شكلا من أشكال العمل، وضربا من ضروب التسبب، مثلما يعتبر العمل والتسبب ضربا من ضروب الدعاء لله تعالى. فنحن حين نتخذ الأسباب إنما ندعو الله الفاعل الحقيقي أن يستجيب لما قصدناه وابتغيناه بتلك الأسباب، وبذلك السعي. فلا يصح تعطيل العمل بالدعاء كما لا يصح تعطيل الدعاء بالعمل، فلا يغني أحدهما عن الآخر،

الوظيفة التربوية للدعاء

والنموذج التفصيلي الأرفع والأتم هو رسول الله ﷺ بكل سيرته وسنته وحالته. وهذه لقطة من ذلك:

بعدما أمعنت قريش في العناد ورفض الهدى الذي دعاها إليه رسول الله ﷺ، وأمعنت في حربه، والكيد له، والتأليب ضده، خرج ﷺ مشيا على قدميه إلى الطائف، وكان ذلك في صيف السنة العاشرة من البعثة المحمدية. وفي الطائف، كما في الطريق إليها دعا رسول الله ﷺ إلى ما بعثه الله به واجتهد وجاهد في سبيل ذلك. ومكث في الطائف عشرة أيام، يتصل ويدعو ويشرح، وهو لا يلقى في ذلك إلا أسوأ مما تركه في قريش. فلما قفل راجعا بعد معاناة شديدة قاسية، توجه إلى ربه بهذا الدعاء العظيم: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك».

فهو ﷺ إنما لجأ إلى هذا الدعاء بعد عشرة أيام من الكدح والبذل والمعاناة. وهو يعرب عن ضعفه وقلة حيلته بعد أن أبلى بلاء الأقوياء، ودبّر تدبير الحكماء. وهو يفوض كامل الحول والقوة إلى الله، بعد أن بذل كل ما في حوله واستطاعته، وبعد تصميمه على المضي في ذلك.

وشبيه بهذا الموقف ما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يُقسّم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»(٢١). فهو يبذل جهده ويستنفد قدرته فيما يستطيعه، ثم يدعو الله أن يعفو عنه، فيما لم تبلغه طاقته.

وفي قصة الثلاثة أصحاب الغار – وهي في الصحيحين – ما يشير إلى ضرورة الجمع بين الدعاء والعمل الصالح والتوسل بهما مقترنين. فقد جاء في أول هذه القصة عن رسول الله ﷺ قال: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت، إلى غار، فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار. فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم..».

وحين شرع الإسلام للناس صلاة الاستسقاء – التي هي دعاء لله أن ينزل غيثه ورحمته عند الجدب وانحباس المطر – شرع لهم هذا الدعاء المخصوص، سنّ لهم قبله ومعه أعمالاً: في التوبة، والخروج، والتجمع، والصلاة، والوعظ، وإظهار الرغبة في إصلاح الحالة الفاسدة. فعند ذلك يحصل الاستسقاء المشروع وتحصل ثمرته المطلوبة، وليس هو ما يفعله الكسالى الغافلون، من الدعاء البارد المقترن بالخمول والقعود واللا مبالاة وبقاء ما كان على ما كان.

قال الشيخ المصلح الفقيه أبو بكر الطرطوشي – رحمه الله – وهو يتحدث عن آداب الدعاء: (ومن آدابه أن تقدّم بين الدعاء عملاً صالحاً من صلاة أو صدقة ونحوها.. كما شرع لنا في الاستسقاء أن يؤمر الناس قبله بالصلاة والصيام والصدقة والأعمال الزاكية، ثم يخرجون للاستسقاء، وهذه سيرة السلف الصالح. قال عبد الله بن عمر: إذا أردت أن تدعو فقدم صدقة، أو صلاة، أو خيرا، ثم ادع بما شئت)(٢٢).

وقد استدل الطرطوشي في موضع آخر بقوله سبحانه: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠]. قال: (دلت الآية بظاهرها أنه إذا لم يقترن بالدعاء عمل، لم يستجب)(٢٥).

ومن خلال الدعاء وآدابه، يعلمنا النبي ﷺ المثابرة والإلحاح في العمل، وفي الحرص على ما نريد، وعدم الاستعجال المفضي إلى التخلي واليأس. ففي حديث الصحيحين: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت ربي فلم يستجب لي». وفي رواية لمسلم يقول: «قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء».

فإذا كان بعض الناس لا يصبرون على العمل ومتطلباته وسننه، ويلجأون إلى الدعاء تاركين العمل ومتاعبه، وبطء نتائجه، فإن النبي ﷺ يعلمهم أن الدعاء نفسه يتطلب الصبر والمصابرة والتأني في الأمور، وعدم الضجر واليأس والانصراف، وأن الله تعالى لا يستجيب للقلقين العجلين، سواء في أدعيتهم أو في أعمالهم□

الهوامش:

١) رواه أبو داود والترمذي، وقالا حديث حسن صحيح.
٢) سورة الأعراف: ٥٥.
٣) رواه البخاري في الدعوات، وكذلك الترمذي، والنسائي في السنن، وفي عمل اليوم والليلة.
٤) رواه الترمذي، وقال حديث حسن.
٥) رواه الترمذي والنسائي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.
٦) رواه مسلم وأبو داود، والنسائي في عمل اليوم والليلة.
٧) سورة النمل: ٦٢.
٨) سورة البقرة: ٢٠١.
٩) رواه مسلم.
١٠) رواه مسلم.
١١) الدعاء المأثور وآدابه ١٣٢.
١٢) سبق تخريجه برقم ٣.
١٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة، وانظر تخريجات محققة، د.فاروق حمادة، ص١٨٧.
١٤) رواه مسلم.
١٥) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن.
١٦) رواه مسلم.
١٧) الدعاء المأثور للطرطوشي: ١٢٥و١٢٦.
١٨) متفق عليه.
١٩) متفق عليه.
٢٠) معيد النعم ومبيد النقم: ١٤٩ و١٥٠.
٢١) رواه الترمذي وأبو داود. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.
٢٢) رواه مسلم.
٢٣) قال في نيل الأوطار: رواه الخمسة إلا أحمد.
٢٤) الدعاء المأثور: ٥٩.
٢٥) نفسه: ١٢٢.

طفلة سراييفو

شعر:
عبد الله القولي

قد كنت أحيا ذات يوم في سلام ... أمي معي وأبي على أحلى وئام

مع أسرتي كانت سعادتنا منى ... تغشى القلوب وظلها مثل الغمام

مع إخوتي ألهو وأمرح كيفما ... تهوى الطفولة مثلما يهفو مرامي

نمضي الحياة هنيئة أيامها ... وطفولتي تاج المحبة والسلام

جيراننا كانوا أناسا حولنا ... عشنا جميعا في أمان واحترام

في ديننا الإسلام إحسان لجار ... ومحبة وجميل أفعال الكرام

إنا سمونا عن أذى دينا وطبعاً ... بل لم نفكر أي وقت في خصام

ما بالهم في لحظة صاروا وحوشا ... هدموا المنازل فوق هامات النيام؟

بل أحرقوها والصغار بجوفها ... ناموا على حلم الطفولة في هيام

قد أحرقوها والعجائز مادروا ... عن بطش غدر كل حين من لئام

يا ويحهم جيراننا إذ أجرموا ... دكوا البيوت بكل أنواع الحمام

هدموا المساجد فوق هامات الورى ... فإذا الأذان مضى إلى الأسماع دام

رباه قد ذبحوا أبي في حضرتي ... ذبح الخراف فمن لنا إلاك حام؟

أمي وقد هتك الكواسر عرضها ... فهي الذبيحة قد غدت مثل الحطام

وأخي ترى ألقاه يوما بعدما ... أخذوه في بطش إلى الموت الزؤام

قد صرت أخشى إن دنا أحد إلينا ... أن استباح، فأين أبطال تحامي؟

رباه إن (الصرب) قد بطشوا بنا ... فجروا! فمن يا رب يمسك بالزمام؟

من ينقذ الأعراض والأرواح؟ من ... يسعى لإنقاذي من الكرب العظام؟

من يرفع التضييق عن بلدي ... يغيث الناس يأذن بالسلاح وبالطعام؟

رباه كم شكوى من الأطفال، كم ... جرح لدى قومي وكم مقل دوام

كم أدمع هزت صخور الأرض لكن ... لم تجد عطفا لدى سمع الطغام

باسم الطفولة عالم الإنسان أوقف ... سيل الدماء فأنت في وضع اتهام

فإلامَ تسكت عن وحوش أثخنت ... وطني؟ إلام الصبر عن بطش اللئام؟

باسم الطفولة عالم الإنسان عجل ... أنقذ صغارا من رحى الموت الزؤام

ربي إليك المشتكي دوما فمن ... إلاك رحمن؟ ومن إلاك حام؟

ربي أغثنا يا قدير فحالنا ... يبكي الصخور دما، فتصرخ من ملام

ربي أغثنا أنقذ الأطفال من ... وحش الدمار وقد تشفى بالحطام

ربي إليك المشتكى ولأنت حسبي ... من خطوب أفزعت حتى منامي

فأجب دعائي وأكشف البلوى إلهي ... حمدي إليك أبثه حتى الختام

الاستشراق.. وتراثنا الفقهي

بقلم: أ.د. محمد الدسوقي

تراثنا الفقهي ثروة علمية تعتز بها الحضارة الاسلامية كل الاعتزاز، إنها ثروة رائعة لم تعرف البشرية نظيراً لها في تاريخها الطويل، وهذه الثروة ثمرة جهود عظيمة لأجيال متتابعة من العلماء والمجتهدين، وهؤلاء على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الفقهية كانوا في اجتهادهم يعتمدون على المصادر الأساسية للشريعة الغراء، وليس لهم إلا دقة الفهم وانسانية النظرة، ومحاولة الاحاطة بكل القضايا والمشكلات التي تحتاج إلى معرفة حكم الدين فيها، حتى يكون الناس على بينة وهدى فيما يأتون من التصرفات وما يدعون.

الأصالة

وهذا التراث من ناحية أخرى أصيل في نشأته، أصيل في نظرياته وقواعده، فلم يكن له من رافد سوى مصادره الأساسية، وما يتمتع به الفقهاء من فهم ثاقب، وإدراك واع لمقاصد الشريعة، وأن الأحكام التكليفية لاحرج فيها، وأن طابع اليسر غالب عليها، ومن ثم كان للبيئة والعرف تأثير في بعض الأحكام من حيث الصحة وعدمها.

مستشرقون ومستشرقون

وهذه الحقيقة العلمية حول تراثنا الفقهي ومكانته وأثره في الفكر الانساني وقف منها المستشرقون موقفا لا يعرف الموضوعية العلمية، صحيح أن منهم من أثنى على هذا التراث واعتبره أعظم جهد علمي عرفته الانسانية، وأن المسلمين خليقون بأن يفخروا به، يقول بعض المستشرقين: (إن البشرية لتفخر بهذا التشريع وإننا سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي عام) ويقول مستشرق آخر: (إن فقهكم الاسلامي واسع جدا إلى درجة أنني أعجب كلما فكرت في أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لبلادكم وزمانكم) (١).

ولكن هذه الأصوات التي ترتفع بالثناء والتمجيد تنظر إلى هذا التراث على أنه مجرد فكر إنساني، لأنها لا تؤمن بمصدره الالهي، ولا يمكن أن نتوقع منها سوى هذا، لأن إنكار نبوة محمد ﷺ ينسحب على انكار كل تراث علمي استهدى القرآن، وقام على خدمته، والتزم بمبادئه وقواعده، ومع ذلك تعد هذه الأصوات – على قلتها – شهادة إكبار لتراثنا الفقهي نبهت بعض الغافلين منا إلى أهميته ووجوب التعويل عليه في اتخاذ التشريعات والقوانين.

> **مهما امتدح بعض المستشرقين الاسلام فإن إنكار نبوة محمد ﷺ يهدم كل ما قالوا**

> **هل وجود التشابه بين تشريع وآخر دليل كاف على أن هذا أخذ من ذلك؟**

إن جمهور المستشرقين لا يعترف بقيمة علمية للفقه الاسلامي، ويحاول نفي كل جديد جاء به الفقهاء المسلمون، ويعزو ذلك إلى مصادر غير إسلامية، وفي مقدمتها القانون الروماني.

إن الذين درسوا تاريخ الفقه الاسلامي من المستشرقين يرون بوجه عام أن هذا الفقه اعتمد على القانون الروماني (٢)، بل إن منهم من غلا غلوا كبيرا وزعم أن الشرع المحمدي – على حد تعبيره – ليس إلا القانون الروماني للامبرطورية الشرقية معدلا وفق الأحوال السياسية للبلاد العربية. فهذا رأي لا يصدر عن عالم يعرف شيئا من التاريخ، أو يملك قدرا محدودا من البصر والفهم للعقلية العربية الاسلامية، أو إدراك لما أحدثه القرآن والسنة النبوية في التشريع الاسلامي في مختلف النواحي.

وجملة الأدلة التي يأخذ بها هؤلاء المستشرقون في دعواهم تقوم على ما أراده من الشبه بين بعض أحكام الفقه الاسلامي والقانون الروماني، ثم إلى ما يحدثه بلا ريب التقاء الحضارات والعادات والأعراف القانونية من تأثير متبادل.

وجود التشابه وحده لا يكفي

ولكن هل هذا التشابه – إذا كان موجودا – يدل على التأثر، أو يدل على أن الفقه الاسلامي ليس إلا القانون الروماني مع شيء من التعديل في بعض القضايا والمسائل؟

إن الاجابة عن هذا هي النفي بلا ريب فإن الوضع الصحيح الذي يقرره علم الاجتماع، ويؤيده الواقع فعلا أنه إذا التقت حضارتان لأمة غالبة وأمة مغلوبة كان التقليد – حين يوجد ويكون – من الأمة ذات الحضارة المغلوبة، لأن المغلوب مولع بتقليد الغالب كما يقرر ابن خلدون.

ثم إن التشابه في بعض الأحكام القانونية أو في غير ذلك من نواحي الفكر المختلفة أمر طبيعي بين الأمم جميعا، لا فرق بين العرب أو الرومان أو غيرهم، وبذلك لانستطيع لمجرد هذا التشابه الحكم بأن هذه الأمة هي التي أخذت عن تلك وليس العكس، بل قد يكون مرجعه إلى ما هو معروف من أن العقل الانساني السليم يتشابه في كثير من ألوان التفكير ونتائجه دون حاجة إلى تفسير هذه الظاهرة بالأخذ والتقليد.

ثم هل عرف المسلمون القانون الروماني كما عرفوا فلسفة اليونان؟ لقد نقل المسلمون هذه الفلسفة وافادوا منها، وهم يعترفون بذلك، بيد أنهم في الفقه والتشريع لم يجدوا حاجة مطلقا للأخذ عن غيرهم، فلديهم من كتاب الله وسنة رسوله، وتراث الصحابة والتابعين ما يغنيهم عن الاستعانة بسواهم في هذا، ولو كان الأمر على غير ذلك لحفظ لنا التاريخ كتابا واحداً أو رسالة واحدة نقلوها إلى اللغة العربية من قانون الرومان، أو لرأينا ولو مصطلحا واحدا من مصطلحات هذا القانون في كتب الفقه وما أكثرها.

وهذا ابن النديم (ت٤٣٨هـ) في كتابة (الفهرست) ذكر لنا أسماء الأشخاص الذين قاموا بحركة الترجمة والمؤلفات التي ترجموها، ولكنه لم يذكر لنا اسم كتاب واحد وضع في القانون وترجم الى العربية (٣).

هل تأثر القانون الروماني بالفقه الاسلامي؟

على أن هناك رأيا يذهب إلى أن

لا حاجة لنا في مجال الفقه والتشريع إلى الأخذ من غيرنا

الفقه الاسلامي اعتمد على القانون الروماني ، دعوى باطلة

القانون الروماني هو الذي تأثر بالفقه الاسلامي، لأن القوانين الأوربية مستمدة من ذلك القانون، وعلى الرغم من تطويرها عبر التاريخ مازالت روح القانون الروماني تسري في كل التشريعات الغربية حتى الآن. وقد أثر الفقه الاسلامي في هذه التشريعات منذ بداية عصر النهضة في أوربا وحتى العصر الحاضر، بل إن هناك بعض النظريات الفقهية الاسلامية كنظرية التعسف في استعمال الحق، ونظرية النيابة عن الغير أخذتها القوانين الأوربية عن الفقه الاسلامي، وإن أنكر الفقهاء الأوروبيون ذلك.

بين الفقه المالكي والقانون الفرنسي

ويلاحظ من يدرس الفقه المالكي والقانون المدني الفرنسي أن بينهما تشابها واضحا في كثير من القضايا، وهذا يعني أن هذا القانون انتفع بذلك الفقه أوتأثر به، فقد كان الفقه المالكي يسود المجتمع الاسلامي في الأندلس وشمال افريقيا وجزر البحر المتوسط، وقد أثر في القانون الفرنسي عن طريق الدراسة العلمية بالأندلس وغيرها، وأيضا عن طريق ترجمة بعض مؤلفات ذلك الفقه إلى الفرنسية (٤).

الفقه الاسلامي لم يتأثر بالقانون الروماني

ومما يدل على نفي تأثر الفقه الاسلامي بالقانون الروماني وجود نظم في هذا القانون لا يعرفها ذلك الفقه مثل التبني لولد معروف نسبه، والوصاية على المرأة بصورة دائمة بحيث لا يمكنها التصرف إلا بإجازة صاحب الوصاية عليها أبا كان أو زوجا، (٥) وكذلك وجود نظم في الفقه الاسلامي لا يعرفها القانون الروماني مثل: الوقف والشفعة وموانع الزواج بسبب الرضاع، وجواز حوالة الدّين.

وفضلا عن ذلك لا يقيم القانون الروماني علاقة بين القاعدة القانونية، والقاعدة الأخلاقية، بخلاف الفقه الاسلامي فإنه يرفض الفصل بين هذه القاعدة وتلك، ويقيم بينهما علاقةحميمة.. والفقه إلى هذا يسوي بين الناس كافة أمام التشريع، على حين يفرق القانون بين الناس فليسوا كلهم أمام التشريع سواء...

فقهاؤنا الأفاضل

وقد حاول المستشرقون – في إثبات ما ذهبوا إليه من نفي أصالة الفقه الاسلامي إن في مصدره وقواعده، أو في تدوينه وتبويبه – التركيز على ثلاثة من إعلام الفقهاء، بقصد تشويه الجهد العظيم الذي قام به هؤلاء الفقهاء، وانهم كانوا عالة على غيرهم من اليونان والرومان.

الامام الاوزاعي

وأول هؤلاء الفقهاء هو الامام أبو عمرو عبد الرحمن بن محمد الاوزاعي الذي ولد في بعلبك سنة ٨٨هـ، ونشأ في البقاع، ثم أقام في بيروت وتوفي بها سنة ١٥٧هـ فقد ذهب بعض (٦) المستشرقين إلى أن هذا الامام درس الفقه البيزنطي في مدرسة بيروت القانونية، وظن هؤلاء المستشرقون أن حياة الأوزاعي في بيروت تعضد زعمهم، وتجعل رأيهم مقبولا. ولكن ما يدعيه المستشرقون من تأثر الامام الأوزاعي غير مسلم به،لأن مدرسة بيروت القانونية لم يكن

الاستشراق وتراثنا المعاصر

لها وجود في القرن الثاني، فقد دمرت قبل الفتح الاسلامي لبيروت بنحو قرن، ومن ثم كانت بلاد الشام في حياة هذا الامام لا تعرف شيئا عن القانون الروماني، وكان الاسلام بتعاليمه قد صبغ المجتمع في تلك البلاد صبغة جديدة تباين كل المباينة صبغته في ظل الحكم البيزنطي.

هذا من جهة ومن جهة أخرى يلاحظ من ينظر في فقه الأوزاعي أن هذا الفقه مبتوت الصلة بكل فكر تشريعي لا يرتد إلى المصادر الاسلامية، وأن الرجل فيما صدر عنه من آراء كان يجنح إلى مدرسة المدينة أكثر من ميله إلى مدرسة الكوفة وإن عده ابن قتيبة في كتابه (المعارف) (٧) من فقهاء أهل الرأي.

الامام الشيباني

أما الامام الثاني الذي يرى المستشرقون أنه تأثر بمصادر غير اسلامية في مؤلفاته الفقهية فهو الامام محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩هـ - هذا الامام أول من دون الفقه الاسلامي على منهج علمي لم يُسْبَق به، كما أنه أول من كتب في العلاقات الدولية كتابة علمية شاملة، بحيث عُدّ في الأوساط الدولية في العصر الحاضر أول رائد في مجال التأليف في القانون الدولي، وأنشئت باسمه جمعيات متعددة في بعض بلدان أوربا وأمريكا تحمل اسم «جمعية أصدقاء الشيباني للقانون الدولي» (٨).

ماذا قال المستشرقون عن هذا الامام؟ لقد راعهم أن يكون الامام الشيباني بعبقريته الفذة، قد دوّن الفقه الاسلامي تدوينا علميا، وكتب في العلاقات الدولية كتابة دقيقة شاملة، فحاولوا أن يقللوا مما قام به من جهد علمي، وأن يثبتوا أنه لم يكن مجددا أو مبتكرا، وانما سار على الطريق الذي سلكه من قبله، واستفاد من تراث علمي غير اسلامي، فقد قالوا (٩) إنه في تبويبه وترتيبه للفقه تأثر بترتيب كتاب «المشنا» اليهودي، ومن ثم فهو مقلد وليس مجددا.

وكتاب «المشنا» يضم السنّة الموسوية، وقد قام بشرحه عدد من الأحبار وسمى الشرح «بالجيماره» ومن المشنا والجيمارة يتألف التلمود، وهو يعتبر مرجع اليهود في أحكام العبادات والمعاملات، وهذا التلمود لم يكن مكتوبا بلغة عربية، ولم ينقل إلى هذه اللغة إلا في أوائل القرن الرابع الهجري (١٠)، فكيف استطاع الامام الشيباني أن ينسج على منواله في ترتيب المواد الفقهية وقد عاش في القرن الثاني، ولم يكن يعرف لغة غير العربية حتى يمكن أن يقال إنه اطلع على التلمود في لغته الأصلية؟ إن دعوى تأثر الامام الشيباني بالمشنا لا أساس لها، لأنه لا يوجد دليل علمي عليها.

أول من دون الفقه الاسلامي على منهج علمي غير مسبوق الامام محمد بن الحسن الشيباني

الإمام الشافعي

ثالث الفقهاء الذين كثر كلام المستشرقين عنهم هو الامام محمد بن ادريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ وهذا الإمام يُعدّ أول من كتب في علم أصول الفقه كتابة متكاملة وصلت إلينا.

وهذا العالم يعتبر مفخرة الفكر الاسلامي، فهو يؤصّل لمنهج البحث الفقهي تأصيلا رائعا يشهد لعلماء المسلمين بأنهم كانوا الرواد لغيرهم في هذا المجال، «مجال الكتابة في المناهج».

لقد أكدت الدراسات العلمية المعاصرة أن أصول المنهج العلمي الحديث أصول اسلامية وليست أصولا يونانية (١١)، وأن بعض المؤلفات العلمية الاوربية في بداية عصر النهضة هي في الحقيقة ترجمة لمؤلفات اسلامية أو نقول منها، وإن حاول أصحاب هذه المؤلفات تجاهل فضل العلماء المسلمين، وزعموا أنهم فيما أتوا به من آراء ونظريات لم يعتمدوا على مصادر اسلامية (١٢).

الامام الأوزاعي فقيه يجنح إلى مدرسة المدينة أكثر من ميله إلى مدرسة الكوفة

ولأن الامام الشافعي كان أول من دوّن علم أصول الفقه ومن ثم كان الهجوم عليه، وكذلك الاتهام بأنه عرف المنطق اليوناني حين وضع رسالته في الأصول، وأنه درس القانون الروماني في مدرسة (١٣) بيروت، واستطاع بما عرفه عن ذلك المنطق وهذا القانون أن يكتب رسالته الأصولية وفق منهج علمي دقيق في التأليف، وهذا كله غير صحيح، فلم يعرف الشافعي المنطق اليوناني ولم يدرس في مدرسة بيروت، لأنها لم تكن موجودة في القرن الثاني كما أومأت إلى هذا آنفا.

إن الإمام الشافعي ولد في غزة، وعاش أيامه الأولى في البادية يدرس العربية وآدابها، ثم طلب العلم بعد ذلك على أئمة فقهاء عصره في الحجاز والعراق، وتولى بعض الأعمال في اليمن، ثم أقام في العراق، وكان له في هذا البلد مذهب فقهي عرف بالمذهب القديم، لأنه بعد أن ترك العراق ورحل إلى مصر أنشأ له مذهباً آخر سمي بالمذهب الجديد، وكان مرد الاختلاف بين المذهبين إلى ما اطلع عليه الشافعي في مصر من سنن وآثار، وكذلك إلى اختلاف الأعراف بين أرض الرافدين ووادي النيل، فكيف استطاع الشافعي أن يدرس الفقه البيزنطي كما يدعي المستشرقون؟

إن تاريخ الإمام الشافعي لا يتحدث عن اقامته في بيروت أو سفره اليها، وكتابته في علم الأصول لم تكن لها روافد دخيلة. لقد استقى مادة ما كتبه في هذا العلم من الكتاب (١٤) والسنة وفقه الصحابة

والتابعين، ولأن الرجل وهبه الله عقلية علمية طيبة وقدرة فائقة على الربط بين الجزئيات واستنباط القواعد العامة لها، استطاع أن يخط الرسالة التي قال فيها الامام الحافظ عبد الرحمن بن مهدي (ت١٩٨هـ) لما نظرت الرسالة للشافعي أذهلتني، لأنني رأيت كلام رجل عاقل فصيح ناصح فإني لأكثرُ الدعاء له (١٥).

وقال عنها الإمام المزني صاحب الشافعي (ت٢٦٤هـ) قرأت كتاب الرسالة للشافعي خمسمائة مرة ما من مرة منها الا واستفدت فائدة جديدة لم أستفدها من قبل في الأخرى (١٦).

انسب الفضل لأهله

إن الاستشراق وهو يدّعي الموضوعية والدقة العلمية لا يريد أن ينسب الفضل لأهله، ولا يريد أن يعترف أن العالم كله قبل الاسلام لم يعرف فكرا أصوليا للقوانين والتشريعات وأن فقهاء المسلمين كانوا الرواد في مجال تأصيل مناهج البحث العلمي، وأن علماء القانون مع تعمقهم في البحث ووضع النظريات القانونية لم يبلغوا ما بلغ إليه فقهاء الاسلام من الاستيعاب والعمق (١٧)، ولهذا كان موقف المستشرقين من تراثنا الفقهي وأعلامه المجددين، وهو موقف يتلمس الشبهات، ويتكيء على الأوهام والظنون، ولكن هيهات لهذا الموقف أن يحجب الحقيقة، وإن أثار حولها بعض الغبار.

غاية الاستشراق سياسية - تبشيرية

وإذا كانت آراء الاستشراق في تراثنا الفقهي وغيره على هذا النحو من التحامل وتصيد المثالب، وتجاهل الموضوعية والأمانة العلمية فإن الظرف الزمني الذي ظهرت فيه مزاعم المستشرقين حول تأثر الفقه الاسلامي بمصادر دخيلة، تؤكد بأنه كان يسعى من وراء مزاعمه لغاية سياسية تبشيرية وليس لغاية علمية.

إن دعوى تأثر الفقه الاسلامي بالقانون الروماني أو غيره بدأت منذ القرن الماضي ورددتها المجامع والدوريات من الاستشراقية، وذلك لأن الغرب قد احتل أجزاء من العالم الاسلامي، ويخطط لاحتلال سائر أجزائه، وما كان هدفه من هذا الاحتلال سيطرة سياسية أو اقتصادية فحسب، وانما كان هدفه الأول القضاء على مقومات الشخصية الاسلامية بإبعادها شيئا فشيئا عن قيمها وتراثها، وفي مقدمة هذا، التشريعات والقوانين التي تحكم حياتها، ولأن الاستشراق يخضع في نشاطه لتخطيط علمي مدروس يدرك أن المسلمين مهما يبلغ بهم التخلف الحضاري لا يرضون بغير تشريعات دينهم واجتهادات فقهائهم، وإن لم يلتزموا بهذه الاجتهادات وتلك التشريعات التزاماً كاملا، فلا سبيل إلى إبعادهم عن هذه التشريعات، وإحلال غيرها محلها إلا إذا توصل إلى ذلك بمحاولة اقناع المسلمين بأن تشريعاتهم كانت تستجيب للتأثيرات الغربية وأن الثراث الفقهي ليس كله من صنع الفقهاء المسلمين، فقد أخذوا عن القانون الروماني، وهو مصدر القوانين التي يريد المحتل تطبيقها في المجتمعات الاسلامية.

(جمعية أصدقاء الشيباني للقانون الدولي) موجودة في أكثر من بلد أوروبي وأمريكي

الامام الشافعي أول من كتب في أصول الفقه كتابة متكاملة

إن الاستشرق على حد تعبير بعض المستشرقين يريد أسلمة القوانين الغربية، (١٨) يريد أن يقول للمسلمين إن هذه القوانين ليست غريبة عليهم فهي مصدر فقههم ولا ضير عليهم دينيا إن هم أحلوا تلك القوانين المتطورة محل الفقه الاسلامي الذي لم يعد صالحا للحياة العصرية؟ فالغاية من إثارة موضوع العلاقة بين الفقه الاسلامي والقانون الروماني سياسية تبشيرية وليست علمية على الاطلاق. وجملة القول إن الفقه الاسلامي أصيل في مصادره، أصيل في منهج تدوينه، أصيل في أقسامه ومصطلحاته وقواعده ونظرياته، وكل دعوى تحاول أن تنفي عن هذا الفقه أصالته، وتفرده بخصائصه، لا يدافع عنها دليل علمي مقبول ،هي دعوى لا وزن لها في معيار الحق والصدق، والبحث العلمي الأصيل. وهكذا كانت كل دعاوى المستشرقين عن الفقه الاسلامي. دعاوي لا وزن لها، لأنها لا تنهض على دليل علميّ، وإنما تقوم على التعسف في إثبات أن الظنون والأوهام حقائق تاريخية لا مراء فيها، كما تقوم على سياسة الغزو الفكري وليس على مبادىء وأصول البحث العلمي، ومن ثم لم تصمد تلك الدعاوى أمام صوت الحق، وبدأ خط السقوط البياني لها في الانحدار: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ [الرعد:١٧]□

الهوامش:

١) انظر: المدخل للفقه الاسلامي، للاستاذ محمد سلام مدكور، ص٣٨، ط القاهرة.
٢) انظر: العقيدة والشريعة في الاسلام، لجولد تسهير، ترجمة: د. محمد يوسف موسى وآخرون.
٣) التشريع الاسلامي وأثره في التشريع الغربي، للدكتور محمد يوسف، ص١.٩، ط القاهرة.
٤) انظر المقارنات التشريعية، للاستاذ حسين عبد الله. وانظر: دفاع عن الشريعة، للاستاذ علال الفاسي.
٥) انظر: فلسفة التشريع الاسلامي، للاستاذ صبحي المحمصاني، ص٢٨٥، ط بيروت.
٦) انظر: بين الشريعة الاسلامية والقانون، للدكتور صوفي أبو طالب، ص٥٢، ط القاهرة.
٧) ص٧١، ط قطر.
٨) انظر: الامام محمد بن الحسن الشيباني وأثره في الفق ه الاسلامي، للكاتب، ص٣٤٣، ط قطر.
٩) انظر: المصدر السابق، ص١٨٦.
١٠) انظر: د. صوفي أبو طالب، المرجع السابق، ص٧٦.
١١) انظر: دراسات في الفلسفة الاسلامية، للدكتور محمود قاسم، ص٢٦، وانظر: في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق، للدكتور ابراهيم مدكور، جـ١، ص٢٥، ط القاهرة.
١٢) انظر: محاضرات في تاريخ العلوم عند العرب، للدكتور فؤاد سزكين، ص٨١، ط الرياض.
١٣) انظر: دكتور صوفي أبو طالب، المرجع السابق، ص١٥٢.
١٤) انظر: الشافعي ناصر السنة وواضع علم الأصول، للاستاذ عبد الحليم الجندي.
١٥) انظر: الرسالة، بتحقيق الشيخ أحمد شاكر، ص٤، ط القاهرة.
١٦) المصدر السابق.
١٧) انظر: مجلة المحاماة الشرعية، السنة الأولى، العدد الثالث، ص١٧٢، القاهرة.
١٨) انظر: هل للقانون الروماني تأثير على الفقه الاسلامي؟ مجموعة أبحاث لبعض المستشرقين والعلماء المسلمين، ص١٢٠، ط بيروت.

■ اهتم الاسلام بالأخلاق الفاضلة وجعلها من المبادىء الضرورية لقيام مجتمع سليم

خصائص الأخلاق في الإسلام وغاياتها

بقلم: عبدالعظيم سيد الطنطاوي

الأخلاق الفاضلة من المبادىء الضرورية لقيام مجتمع، ويرى فلاسفة الأخلاق أن الإنسان عرف القيم الأخلاقية من واقع الحس والفطرة والجبلة قبل معرفته للديانات السماوية وإدراكه لقيمها ومبادئها، ولهذا لم تتميز بالأخلاق أمة من الأمم دون أمة ولا عصر من العصور دون آخر، ويرى البعض أن معرفة الأمم بالأخلاق هي المقدمة الأولى لاعتقادها في قيم السماء وتعاليمها، فجاءت الديانات لتكون الهيكل الأساسي للأخلاق التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان والتي تكفل الخير للجميع لا لفئة منهم فقط، وجاء الدين الإسلامي فاتخذ من الخلق الفاضل نبراسا لهداية وتهذيب النفس البشرية.

الأخلاق الإسلامية والتطبيق العملي

ومن أجل هذا اهتمت التربية الخلقية في الإسلام بالتطبيق العملي لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، فكان الفعل مواكبا للقول، ولم يكن الدين ترديداً لعبارات جوفاء وشعارات براقة، ولهذا عاب القرآن الكريم على البعض أن تكون أخلاقهم مجرد كلمات تقال، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ [الصف:٢و٣].

تعريف الأخلاق

الأخلاق جمع خُلُق بضم اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، وتخلق بخلق كذا: أي استعمله من غير أن يكون مخلوقا في فطرته، وفي حديث عمر: من تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله، أي تكلف أن يظهر للناس من خلقه خلاف ماينطوي عليه(١).

ويطلق الخلق على الصفة التي تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ ويستحق الموصوف بها المدح أو الذم، فهو عادة مقصودة أو عزيمة مكررة معتادة مختارة توجه إلى الخير أو الشر. فإذا كانت العادة عفوية غير مقصودة أو تحت إلحاح فلا تسمى خلقا، فمن اضطر - تحت إلحاح السائل - أن ينفق شيئا من ماله لا يمكن أن يقال أنه يتمتع بخلق (الجود) أو (الكرم)(٢).

ويخلص الإمام الغزالي إلى أن الخلق هو هيئة في النفس راسخة تصدر الأفعال عنها بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية(٣).

ترسيخ الأخلاق الفاضلة في النفوس

قلنا إن الأخلاق موجودة في كل المجتمعات، ولكن بعض هذه الأخلاق قد تكون في حاجة إلى تقويم أو تغيير، وهذا مافعله الإسلام، فقد نجح في تحويل خلق الجاهلية وحكمها إلى خلق الإسلام وشريعته، ومن هنا مرت التربية الخلقية في الإسلام بمراحل ثلاث هي(٤):

١) مرحلة المعرفة النظرية بوصف الخلق ومعناه:

كما في قوله تعالى في وصف الفاسقين: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ [البقرة:٢٧]. وكما يقول تعالى في وصف أولي الألباب: ﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبي الدار﴾ [الرعد: ٢٠-٢٢]، فهذه الآيات لم تنفر من خلق معين يجب أن نتركه أو دعت إلى خلق معين يجب أن نتمسك به، ولكن الآية الأولى اكتفت بذكر أن الأخلاق السيئة هي من صفات الفاسقين، وذكرت الآيات الأخرى بعض صفات أولى العقول الرشيدة.

٢) مرحلة التنديد بالسلوك السيء والعادات الرذيلة والتمييز بين الحلال والحرام وجزاء كل منهما:

كما في قوله تعالى: ﴿لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ [آل عمران:١٨٨]، وكما في قوله تعالى: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا﴾ [النساء:٨٥].

٣) مرحلة الفعل والإرادة بتنفيذ الأوامر

والنواهي:

وهي مرحلة الإقدام على السلوك الفاضل والإحجام عن السلوك الرذيل، ومنها قوله تعالى: ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم. يا أيها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ [البقرة:٢٦٣-٢٦٤].

خصائص الأخلاق الإسلامية

تنفرد الأخلاق الإسلامية بأن الدين منبعها وبأن التقوى محورها، وتتميز بخصائص تفوقت بها على المذاهب الأخلاقية الوضعية، ومن هذه الخصائص:

أ - الخيرية المطلقة:

فإذا كان هناك من المذاهب الأخلاقية مايسعى إلى خير البشرية، فإنها لم تتخلص من إيثار فريق من الناس على آخر أو من الاستجابة لنوازع الأهواء، لكن الإسلام كفل الخير للجميع، فقد شرع الأخلاق التي تحقق الخير المحض للفرد وللناس جميعا في كل البيئات والحالات. فأمر بالفضيلة ورغب فيها لأنها خير يجب أن يفعل، ونهى عن الرذيلة وبغضها إلى الناس لأنها شر يجب أن يترك(٥).

ب - تطابق الظاهر والباطن:

فالخلق الإسلامي يرفض مبدأ المصانعة والتكلف وأن يعطي الإنسان من طرف اللسان حلاوة ومن صفحة الوجه بشاشة على حين يحمل الفؤاد مقتا وحقا وخبثا وكيدا، ومن هنا كان المنافق - في التصور الإسلامي - أحط مرتبة من الكافر، فالكافر صادق مع نفسه فيما يؤمن به وإن كان مسؤولا عن كفره، أما المنافق فيظهر خلاف مايبطن، إنه يخون نفسه ويخدعها.

ولأن الأخلاق في الإسلام حديث صادق عن يقين صادق، كانت آية من آيات شجاعة المؤمن في الحق وسمة من سماته في العزة والإباء ودليلا على أنه لا يخشى فيما يؤمن به لومة لائم. ومن ثم لا يقيم للمعايير البشرية الفاسدة وزنا، بل هو حرب عليها يتصدى لها كي يسود طابع الخير المجتمع الإنساني(٦).

وإذا كان الإسلام يطالب بتطابق الظاهر والباطن، فإن المذاهب الأخلاقية لا تطالب بذلك، فقد كانت السرقة مباحة في أسبرطة لتدريب الشباب على الحيلة والخداع في الحرب، على شريطة ألا يراهم أحد أو يعلم بأمرهم، فكانوا يدخلون الحدائق على حين غفلة من أهلها، فإن غفلت عنهم العيون أكلوا وكان عاقبة أمرهم خيرا، وإن تنبه للسارق أحد وقبضت عليه الأيدي فياللفضيحة والعار، فإنه يشهر أمره ويسلم إلى مروض الأطفال فيضربه بالسوط ويحرمه الطعام، لا لأنه سرق بل لأنه لم يأخذ حذره(٧).

> ■ الخلق الإسلامي يرفض مبدأ المصانعة والتكلف، كما يرفض ذا الوجهين واللسانين

ج - اليسر والصلاحية العامة(٨):

تمتاز الأخلاق الإسلامية بيسرها وسماحتها وصلاحيتها العامة، فليس فيها إرهاق ولا عنت، وتكفل الخير للجميع في كل زمان ومكان.

لقد سن الإسلام أخلاقا فاضلة تستريح إليها النفوس النقية، وفي هذا يقول تعالى: ﴿يريد الله بكم اليُسر ولا يُريد بكُمُ العُسر﴾ [البقرة:١٨٥] ويقول: ﴿لا يُكلِّف اللهُ نفساً إلا وُسْعَها﴾ [البقرة:٢٨٦].

د - الثبات:

الأخلاق الإسلامية نابعة من صميم الدين والعقيدة وتتسم بالثبات والدوام والاستقرار، على النقيض من ذلك نجد الأخلاق في المذاهب الوضعية فيها مافيها من الاضطراب والتقلب وقصور الصلاحية، لأنها تمثل نفسية واضعيها وهم بشر لا يستطيعون أين يضعوا دستورا أخلاقيا ثابتا لا تبدله الأحوال ولا تداخله الأهواء(٩). وكثير من القيم الوضعية يحكمها الناس ويشكلونها على الصورة التي يختارونها، يفرضها الأقوياء إذا رأوا أنها تحقق مصالحهم وما أسهل أن يغيروها ويبدلوها تبعا لأهوائهم(١٠).

غاية الفرد والمجتمع مع الأخلاق الإسلامية

إن غاية ذي الخلق الفاضل من هذا الخلق السعادة التي يشعر بها وينعم عند ممارسته له، وهذا ما أراده الإمام الغزالي بقوله: (وغاية هذا الخلق أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا، فالسخي يستلذ بذل المال الذي يبذله، دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع يستلذ التواضع)(١١).

والغرض من الأخلاق الإسلامية تكوين مواطنين صالحين أقوياء العزيمة مهذبين في أقوالهم وأفعالهم، نبلاء في تصرفاتهم، يراعون الله في سلوكهم الظاهر والباطن، وبذلك يتكون المجتمع الفاضل الذي تسوده مجموعة من العلاقات الإنسانية، القائمة على دعائم العدل والحق والرحمة ومجموعة من القيم الروحية التي تساعد الفرد على التوافق الفردي والاجتماعي(١٢). لذا كانت التربية الخلقية هي الهدف الأساسي في الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». [رواه البخاري].

الرسول ﷺ المثل الأعلى في الأخلاق

عندما نتحدث عن الأخلاق الإسلامية لابد أن نذكر القدوة والمثل الأعلى فيها وهو رسول الله ﷺ، ولكن كيف نوفيه حقه بعد أن قال عنه ربه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم:٤]، وبعد أن قال عن نفسه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وبعد أن تحدثت عنه أم المؤمنين عائشة. رضي الله عنها - حينما سئلت عن خلقه - فقالت: «كان خلقه القرآن». [رواه أحمد وأبوداود]، يعني أنه ﷺ يتأدب بآداب القرآن، فيفعل بأوامره ويتجنب نواهيه، فصار العمل بالقرآن له خلقا كالجِبِلّة والطبيعة(١٣)، وكما تنساب آيات القرآن فقد انسابت أخلاق رسول الله ﷺ، فكان مثالا للخلق الفاضل في كل مايأتي وفي كل مايدع. ومن أخلاقه ﷺ:

١ - جوده وسخاؤه ﷺ:

كان ﷺ يعجل بالإحسان والصدقة والمعروف وكان وافر الفضل والكرم مطبوعا على السخاء سهل الإنفاق، لا يخيب أمل الآمل، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، أسخى من الغمائم المثقلة وأجرى بالخير من الريح المرسلة، ماسئل عن شيء وقال لا(١٤). فقد جاءته ﷺ امرأة ببردة منسوجة فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها، فأخذها ﷺ محتاجا إليها ولبسها، فقال له

رجل من الصحابة: أكسنيها يارسول الله، فقال ﷺ: نعم، فدخل منزله فطواها وبعث بها إليه، فقال له بعض الصحابة: ما أحسنت، لبسها رسول الله ﷺ محتاجا إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائل. فقال: إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني. قال سهل بن سعد رضي الله عنه: فكانت كفنه». [رواه الترمذي].

٢ – حسن المعاشرة:

اتصف ﷺ بحسن معاملته لكل من خالطه يستوي في ذلك الخادم والسيد: الفقير والغني، المرأة والرجل، فيروي أنه ﷺ ما نهر خادما وماضرب بيده شيئا قط إلا أن يكون جهادا في سبيل الله، قال أنس رضي الله عنه: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا قال لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟» [رواه الشيخان].

وكان ﷺ يجيب دعوة المسكين ويعود المرضى، يقبل عذر المعتذر ويأمر بالحسنة ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ويتسامح ويتجاوز عن المسيء، يصل الرحم ويقري الضيف وكان يدعو أصحابه بكناهم وأحب الأسماء إليهم(١٥).

حث الرسول ﷺ على حسن الخلق

كثرت توصيات الرسول ﷺ لأصحابه باتباع الأخلاق الحميدة وجعلها من خصال المؤمن الحسنة، فقال: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا». [أخرجه أحمد وأبوداود]. وقال ﷺ عندما سئل: يارسول الله، ما أفضل ما أعطي المرء المسلم؟ قال: الخلق الحسن». [أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه]. وقال: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجات الصائم والقائم». [أخرجه أحمد وأبوداود]. وقال ﷺ: «إن حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان وإن صاحبه أحب الناس إلى الله وأقربهم إلى النبيين مجلسا [أخرجه أحمد وأبوداود].

ولقد دعا رسول الله ﷺ إلى كثير من الأخلاق المرغوبة، ومن هذه الأخلاق:

١) كسب المودة واستمالة قلوب الناس: فقال ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم». [رواه مسلم].

٢) العفة: حرص رسول الله ﷺ على تكوين المجتمع الفاضل، فأمر المسلمين بالعفة في كثير من أحاديثه، كقوله ﷺ: «لإن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه». [متفق عليه].

٣) التواضع وذم الكِبْر: فقال ﷺ: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد». [رواه مسلم].

وقد نهى ﷺ عن جملة من الأخلاق الذميمة، منها:

١) الظلم: فقال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة». [رواه مسلم].

٢) الحسد: فقال: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو العشب». [رواه أبوداود].

٣) الغش: فقد مر رسول الله ﷺ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت بللا، فسأل: «ماهذا ياصحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يارسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا». [رواه مسلم].

وبعد

فما ذكرنا يتضح لنا أن التربية الخلقية هي دعوة الإسلام – بالحسنى – إلى العمل الصالح الذي يحقق الرقي الأخلاقي الذي تسعى إليه البشرية جمعاء.

إنما دعوة إلى الناس جميعا كي يؤدوا الأمانات إلى أهلها ودعوة إلى الصدق والرحمة. وهي دعوة إلى الحاكم والقائد والراعي كي يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته وأن يقيموا العدل بين المحكومين.

ودعوة إلى رب الأسرة كي ينفق على من يعولهم من زوجة وولد، ودعوة إلى كل زوج ليحسن معاملة زوجته وأمر إلى الزوجة كي تطيع زوجها وتحسن إليه.

ودعوة إلى التاجر كي يكون صدوقا يفي الكيل والميزان ولا يحتكر سلعة ثم يستغل حاجة الناس إليها بعد ذلك.

ودعوة إلى المعلم كي يكون وقورا رحيما مع من يعلمه وصبورا مع من يتعلم منه. ولقد ربى رسول الله ﷺ صحابته على هذه الأخلاق العليا، وأشربتها قلوبهم، فاستحقو أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس، ثم ربى الصحابة جيلا بعدهم اسقوه من هذا المنهل الفريد، فنبغ في الأمة من لا يحصيهم العد من الأبطال والقادة والمصلحين والعلماء وحاملي مشعل الهداية في كل مكان وطأته أقدام المسلمين وبهذا دانت لهم الأرض ورحب بهم الخلق وسعد بحكمهم الناس. لقد كانت هذه الأخلاق هي مصدر القوى النفسية والمادية التي مكنتهم في نحو قرن واحد أن ينتقلوا من قلة متبدية مستضعفة إلى كثرة متحضرة مرهوبة، فقوضوا ملك الفرس والروم وانتشروا في بقاع الأرض هداة ومعلمين ودعاة إلى الحق والخير والحرية□

الهوامش:

(١) ابن منظور ، لسان العرب، مادة (خلق) ص١٢٤٥.

(٢) أحمد محمد الحوفي، من أخلاق النبي ﷺ ص٩، ١٠ بتصرف.

(٣) نفس المصدر السابقص١١ عن إحياء علوم الدين للغزالي ٣/ ٥٠.

(٤) د. أمينة أحمد حسن، نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول ﷺ، ص٣٣٠.

(٥) د. أحمد محمد الحوفي، من أخلاق النبي ﷺ، ص٤٣.

(٦) د. محمد الدسوقي، دعائم الأخلاق في الإسلام، مجلة (الوعي الإسلامي) العدد (٢٨٢).

(٧) د. أحمد محمد الحوفي، من أخلاق النبي ﷺ، ص١٣ بتصرف.

(٨) نفس المصدر السابق، ص٤٥.

(٩) نفس المصدر السابق، ص٤٧.

(١٠) عمر عبيد حسنة، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، ص٢٠١.

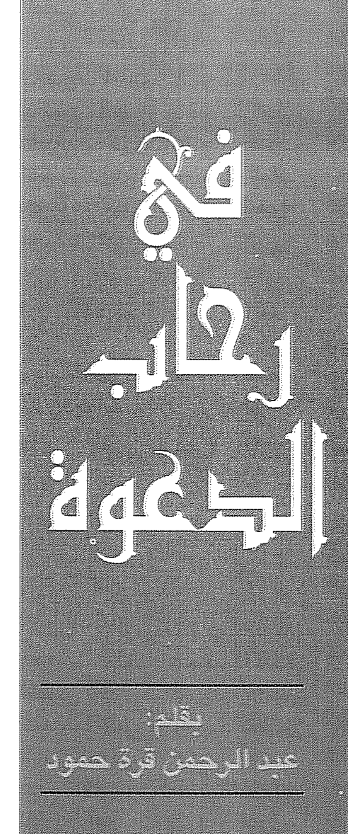
(١١) د. أحمد محمد الحوفي، من أخلاق النبي ﷺ، ص١٠ عن إحياء علوم الدين للغزالي ٣/ ٥٠.

(١٢) د. أمينة أحمد حسن، نظرية التربية في القرآن، ص٣٢٩.

(١٣) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ص٣٠٧.

(١٤) محمد أحمد جاد المولى، محمد المثل الكامل، ص٢٣ بتصرف.

(١٥) أحمد عبدالجواد الدومي، الإسلام منهاج وسلوك، ص٢١٣، ٢١٤.



على الداعية أن يحسن اختيار الأسلوب المناسب للمدعو، بعيدا عن التنطع

قال: ما أكثر المسلمين، وما أسوأ ما نحن فيه!

قلت: ذلك لأنه لا أهمية للكثرة بدليل قوله تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً﴾ [التوبة/٢٥] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة...﴾ [البقرة/٢٤٩].

– فالعبرة بماذا؟

– بالإخلاص.

– وما السبيل إليه؟

– العلم والتقوى.

– ما أكثر العلماء!

– وما أقل المتقين. أما البلاء العظيم فيمن يتصدرون للدعوة وهم جاهلون.

– كيف؟

– هناك مثل عامي يقول: (ليس كل من صف الصواني قال أنا حلواني).

– ماذا تقصد.

– أقصد أن هناك صفات معينة لابد للداعية من أن يتصف بها قبل أن يباشر الدعوة. فليس كل من أطال لحيته وحفظ بعض الآيات والأحاديث صار داعية.

– وما هذه الصفات؟

– هي التي ذكرها سبحانه وتعالى في الآية الكريمة بقوله: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل/١٢٥].

– ولكن من أين تأتي الحكمة؟

– من عند الله.

– لا إله إلا الله، لكن كيف؟

– قال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [البقرة/٢٨٢]، فالتقوى هي السبيل إلى الحكمة.

– والموعظة الحسنة؟

– من اقتدائنا برسول الله ﷺ بعد معرفة سيرته، وأسلوبه في الدعوة. فإذا نحن أتقنا دراسة سيرته، وفهمناها علمنا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «بشروا ولا تنفروا» [رواه البخاري] وقوله «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [رواه البخاري] في الأدب المفرد، وقوله لسيدنا معاذ بن جبل، عندما اشتكى منه أحد الصحابة لإطالته الصلاة: «أفتان أنت يا معاذ» [رواه البخاري]. وقوله لسيدنا عمر عندما نهر يهوديا وأساء إليه في مطالبته بدين له عليه: «أنا وهو أحوج إلى غير هذا منك. تأمره بحسن الطلب وتأمرني بحسن القضاء» [رواه أبو نعيم في الحلية].

– والمجادلة، كيف تكون بالتي هي أحسن؟

– إذا توفرت الحكمة، والموعظة الحسنة، أمكنت المجادلة بالتي هي أحسن. وهذا ليس سهلا، وإنما يحتاج إلى علم ومعرفة بطباع الناس، ومداراتهم، ومعرفة من أين يؤتون، (فلكل لحية مشط) كما يقولون. وقبل ذلك كله التحمل والحلم والصبر.

إن للدعوة أساليب متنوعة، وطرقا مختلفة، ونهجا متفاوتا والصالحون من الدعاة هم الذين يجتهدون في الاقتداء برسول الله ﷺ. لأن الداعية إذا لم يكن على المستوى المطلوب علما وتربية وسلوكا قد يكون ضرره أكثر من نفعه.

– أعطني مثلا على ذلك؟

– في أحد المجالس قال أحدهم، وكان قاضيا ومن أسرة متدينة : إن الجماعة الفلانية (وهي جماعة إسلامية) هي التي صيرتني شيوعيا. فقيل له كيف؟! فقال: حين كنت صبيا صغيرا دخلت إلى مركز الجماعة وكنت لابسا بنطالاً قصيرا وإذ بأحدهم يصيح بي بشكل أرعبني ياقليل الأدب أخرج من هنا. مضيفا بعض الشتائم. فخرجت خائفا مذعورا، بل وحاقدا، وكان رد الفعل أن صرت شيوعيا.

وأقول: أين هذا المسلم من قول الله تعالى: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران/١٥٩]. بل أين هو من عمل رسول الله ﷺ من ذلك الإعرابي الذي بال في المسجد. فهمّ بعض الحاضرين بضربه فزجرهم رسول الله، وأمرهم «أن يهريقوا فوق بوله سجلا من ماء» [رواه الجماعة إلا مسلما] إن الداعية كالصباغ.

– صباغ؟! ألم تجد تشبيها أليق؟!

– وماذا في ذلك يا أخي؟ إن الله يقول عن دينه: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾. ومع ذلك فهو مثل لإيضاح الفكرة.

– تفضل، أكمل.

– الصباغون – كغيرهم من أصحاب الحرف – درجات، وفيهم المحسن، وفيهم المسيء.

فالمحسن هو الذي عرف صنعته. وأتقن عمله. والمسيء هو الذي لم يعرف الصنعة أو لم يتقن العمل، وكلاهما سواء.

إن الثوب الملطخ الذي يحتاج لإزالة ما به من بقع يحتاج دواء معينا على الصباغ أن يعرفه، ولا يكفي أن يعرفه. وإنما عليه أن يعرف المقدار – اللازم لإزالة البقعة – الذي إن نقص لم يكف وإن زاد أتلف.

وكذلك الداعية عليه أن يحسن اختيار الأسلوب المناسب للمدعو، بعيدا عن التنطع «هلك المتنطعون» [رواه مسلم]. «إن هذا الدين متين» [رواه البزار]، وبعيدا عن المسايرة على حساب الدين فلا إفراط ولا تفريط، وفي الوسطية الخير كله. ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ [البقرة/١٤٣]، و «بُعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسّرين» [رواه الجماعة]، فالصباغ المحسن تألفه ويألفك، والصباغ المسيء تنفر منه وينفرك، لأنه يعطيك فكرة سيئة عن كل الصباغين. فيسيء من حيث يظن أنه يحسن. وكذلك الداعية. اللهم لا تجعلنا من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا□

الزواج السري باطل.. باطل

ظاهرة جديدة وخطيرة تتشكل حاليا في بعض مجتمعات المسلمين وخطورتها أنها تتشكل في الخفاء، فلم يعلم بها أكثر الناس الذين من الممكن أن تأخذهم على غرة، وتنالهم من حيث لا يحتسبون في أعز ما يملكون، فهي تختص بالأعراض المصونة والحرمات المكنونة، والأشد خطورة أنها تتم بالمكر والخداع والتحايل على الشرع وتحاول إضفاء صفة الشرعية على ما ليس كذلك، وسبب ذلك الجهل بأحكام الدين الحنيف أو الجرأة على حدوده، ومع الجري وراء قناع زائل وشهوة مؤقتة، والفرار من مسؤوليات اجتماعية مقدمة يتم إلباس الباطل ثوب الحق للتوصل إلى المحرمات باسم ما شرع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

زواج شرعي أم بغائي

هذه الظاهرة الخطيرة يقوم بها العديد من الشباب جهلا بالدين أو تجرأ عليه، وإقناع الشابات بالزواج سرا، سببه الاختلاط الذي يعيش فيه كثير من الناس في أماكن التعليم والعمل والتثقيف والترفيه، يسعى كثير من شياطين الإنس إلى التغرير بالبنات، فيترصد الشاب للشابة كما يترصد السبع فريسته، ويوهم الشاب الفتاة أنه يحبها ويريد أن يتزوجها، وأن ما يمنع من ذلك هو ضيق ذات اليد عن أن يتقدم في الحال لأهلها طالبا إياها.

ومع اللقاءات المتكررة يؤثر الشاب على عواطف من يوقعها سوء حظها فريسة في طريقه، ويتفنن في اثارتها وما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما، ويدعي لها أنه يمكن أن يتزوجها في السر زواجا عرفيا ـ كما يسمى في بعض الأقطار العربية ـ أي بلا وثيقة رسمية مسجلة، وعلى هذا يتم العقد دون علم من أهل الفتاة أو من أهل الفتى، ولا يجرى أي إعلان أو إشهار، وقد لا يحدد مهر، ولا يقام حفل زفاف ولا وليمة، أو مسكن للزوجين ولا أثاث!

وسبب ذلك خديعة البنات في هذا الأمر هو أن الشاب يقنعها بأنه زواج شرعي لا شبهة فيه، وأنهما سيظلان على هذه الحال حتى تيسر له مؤونه النكاح، فيتقدم لأهلها رسميا، ويتم الزواج رسميا دون أن يدري الأهل بما سبق وجرى من عقد.

بقلم: محمود محمد البخيري

ويتوصل الشاب بهذا إلى معاشرة الفتاة وكأنها زوجة، حيث يلتقيان في أماكن مخصوصة وأوقات معلومة، ويحرصان مع ذلك على الاحتياط حتى لا يتم حمل يكشف للأهلين الخديعة التي تجري من وراء ظهورهم، وهم عنها غافلون.

ولم يقف الأمر عند هذا، فمع اعتقاد بعض الشباب أن زواجه هذا شرعي، يبقى يغرر بمزيد من الفتيات، فيتزوج في السر مثنى وثلاث ورباع، وكل واحدة منهن لا تدري من الأخرى شيئا، فإذا ما عرف هذا المجترىء على دين الله فتاة جديدة، سرح إحداهن بغير إحسان ليعقد على الجديدة، وربما تجرأ بعضهم فعقد بهذه الطريقة على ما هو أكثر من أربع، مادام الأمر لا يكلفه إلا دراهم معدودات.

وماذا يحدث بعد ذلك؟ إن غالب هؤلاء الشباب لا يصدق في وعده، ولا يأتي اليوم الذي يتقدم فيه لأهل الفتاة، وهنا تصير هي رهينة لهذه العلاقة الآثمة، وإذا رأت أن الشاب قد خدعها، وحطم حياتها، فإنها ستجد نفسها مدفوعة إلى درك أكثر سوءاً وربما تنتقل العدوى إلى أخرى بالطريقة نفسها،ويستمر منحدر السقوط حتى يعتاد هذا الفريق من الناس أن يعقد كل سنة، بل كل شهر أو أسبوع زواجا سريا جديدا، ويحسبونه هينا، وهو عند الله عظيم.

وقد فتح هذا الزواج السري الباب واسعا أمام بعض البنات الصغيرات اللواتي هنّ في سن لا يكاد يصدق، سن ما قبل السادسة عشرة أوما بعدها، يستمرىء هؤلاء الزواج السري مرات ومرات جريا وراء الشهوات والأموال، فإذا تركها واحد من أخدانها بحثت هي عن آخر، دون أن تسمع عن شيء اسمه عدة المطلقة، وكيف تسمع والزواج بالأصل باطل، والأهل عنها لا هون، على حين أنها تمتهن كرامتها وكرامتهم، وتصير مضغة في الأفواه، وتعتاد هذا النوع من الزواج البغائي، مما يستوجب من أولي الأمر سن قانون يعاقب على هذه الجريمة التي لم تعرفها مجتمعاتنا من قبل.

وأن بعضهم قد وقع في براثن هذا الزواج السري بحسن نية، وبعضهم يمكن أن يقع فيه بحسن نية كذلك، لذا يجب أن نتفرغ وسعنا لكي نبين لماذا لا يعد هذا الزواج السري زواجا شرعيا؟ وخصوصا أن الدكتور محمد سيد طنطاوي قد أفتى بأن هذا الزواج صحيح وحلال شرعا وقد نشرت فتواه بإحدى المجلات(١) ففتح بذلك الباب واسعا لفتنة عظيمة، وأعطى أصحاب الأهواء مستندا للتلاعب بدين الله تعالى.

الزواج نظام اجتماعي

إن الزواج في روحه نظام اجتماعي يرقى بالإنسان من الدائرة الحيوانية والشهوات المادية إلى العلاقة الروحية، ويرتفع به من عزلة الوحدة والانفراد إلى أحضان السعادة وأنس الاجتماع، وهو عقد ارتباط مقدس بين رجل وامرأة يمضيه الشرع ويباركه الله تعالى، ولا ينبغي أن يصير مادة للعبث أو المخاطرة والمغامرة، واللعب بالدين والشرع، بل الواجب أن يؤدى إلى حياة استقرار ومعاشرة بالمعروف، وبناء أسرة بالمودة والرحمة، وتأسيس بيت مسلم يقوم على تربية ذرية مسلمة تعبد الله سبحانه وتحفظ حدوده، وتنصر دينه.

ولكنا لا نجد شيئا من ذلك في الزواج السري، فلا ألفة بين أسرتين، ولا إذن لولي، ولا مهر ولا نفقة، ولا مسكن ولا متاع، ولا أسرة ولا أولاد، ولا حياة مشتركة ولا قوامة للرجل، ولا طاعة من المرأة، ولا علم بين الناس، ولا يجري التوارث بين الخليلين... مما يجعلنا نجزم بأن هذا لا يعد زواجا عرفيا كما يدعون، ولا شرعيا كما يريد الله تعالى.

لقد أمر الله سبحانه في النكاح بأن يميز عن السفاح والبغاء، فقال تعالى: «فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان» [النساء: ٢٥] ، وقال جل شأنه: «والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان» [المائدة: ٥]، فأمر بالولي والشهود والمهر والعقد، والإعلان، وشرع فيه الضرب بالدف والوليمة الموجبة لشهرته.

لا نكاح إلا بولي

ليس للمرأة أن تنفرد بتزويج نفسها دون رأي أهلها، وليس لولي المرأة أن يتولى إتمام العقد وإنجازه دون استشارتها، فالإسلام يتوسط في ذلك، فيحرص على المشاركة بين المرأة ووليها وأهلها، فللمرأة أن تعرب عن

رغبتها ولا تكره على الزواج أبدا، وولي المرأة يتولى إبرام العقد وإتمامه بعد إذنها، وبذلك لا يستقل أي منهما بالعقد، فالمرأة لا تنفرد بتزويج نفسها دون أهلها، ولا وليها ينفرد بتزويجها دون رأيها، وليس في هذا حجر على حرية المرأة في الاختيار، ولكنه حرص على تحقيق الاطمئنان الكامل في الحياة الزوجية وضمان المشاركة والمصاهرة بين أسرتين بعلائق قوية ودية يشهدها ويباركها.

والزواج ليس علاقة بين الرجل والمرأة تنشأ في فراغ اجتماعي، ولكنه علاقة بين أسرتين وعائلتين قائمة بالمودة والرحمة والتناصر، فيكون منع المرأة من الإستقلال بالعقد رعاية لحق أسرتها في أن تكون العلاقة الزوجية سببا في توطيد أواصر المودة بين أسرة الرجل وأسرة المرأة، ويضاف إلى هذا أن النصوص عن الكتاب والسنة لا تدل قطعا على حق المرأة في الاستقلال بالعقد.

إن من تكريم الإسلام للمرأة منحها حقها في اختيار زوجها، ولكن ليس ذلك في السر أو من وراء أسرتها، وأحاديث النبي ﷺ تبين كيف تكون المشاركة في الإختيار، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن» قالوا: يارسول الله! وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت».

وإذا رفضت المرأة رجلا فليس لوليها أن يكرهها على الزواج منه لقوله ﷺ فيما رواه مسلم: «الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأمر، وإذنها سكوتها» وليس معنى أنها أحق بنفسها أن وليها لا حقّ له، بل له حق، ولكنها أحق عند المفاضلة إذا تعارضا بالقبول والرفض.

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجة عن ابن عباس أن جارية بكرا أتت النبي ﷺ، فذكرت أن أباها زوّجها وهي كارهة، فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم.

والسنة تبين أن النكاح بلا ولي باطل قطعا، ومن ذلك ما رواه ابن حبان والحاكم وصححاه عن ابى موسى عن النبي ﷺ قال: «لا نكاح إلا بولي»، وروى ابن حبان والحاكم أيضا وغيرهما عن عائشة أن النبي ﷺ، قال: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له».

ومنه أيضا ما رواه ابن ماجة والدارقطني باسناد رجاله ثقات عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها» وروى مالك في الموطأ عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال: «لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها، أو ذى الرأي من أهلها، أو السلطان».

الإشهاد والإعلان

الغرض من الإشهاد في الزواج هو الإشهار، فإذا اتفق من يريدان الزواج مع الشهود على كتمان أمر زواجهما يقضي ذلك على العقد بعدم الصحة، لأن كتمان الزواج قام مقام عدم الشهادة، أو ألغى الهدف منها.

وأوجب الإسلام إعلان النكاح، وندب إلى إشهاره بالضرب على الدفوف وإظهار الفرح والسرور، والإحتفال به ومشاركة كل من أسرتي الزوج والزوجة، فقد روى الترمذي عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أعلنوا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف».

ومن الأحاديث التي تنص على وجوب الإعلان كذلك ما رواه الإمام أحمد وصححه الحاكم عن النبي ﷺ قال: «أعلنوا النكاح»، وما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة عن محمد بن حاطب الجمحي قال: قال رسول الله ﷺ: «فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدف في النكاح».

ويفرق الإمام ابن القيم بين الزواج الشرعي والزواج الباطل بقوله «وشَرَط في النكاح شروطا زائدة على مجرد العقد، فقطع عنه شبه بعض أنواع السفاح بها، كاشتراط إعلانه، إما بالشهادة، أو بترك الكتمان، أو بهما معا، واشترط الولي، ومنع المرأة أن تليه، وندب إلى إضهاره، حتى استحب فيه الدف والصوت والوليمة، وأوجب فيه المهر، ومنع هبة المرأة نفسها لغير النبي ﷺ، وسر ذلك: أن في ضد ذلك والإخلال به ذريعة إلى وقوع السفاح بصورة النكاح، كما في الأثر: «المرأة لا تزوج نفسها، فإن الزانية هي التي تزوج نفسها»، فإنه لا تساء زانية تقول: زوجتك نفسي بكذا سرا من وليها، بغير شهود ولا إعلان، ولا وليمة، ولا دف، ولا صوت، إلا فعلت، ومعلوم قطعا أن مفسدة الزنى لا تنتفي بقولها: أنكحتك نفسي، أو زوجتك نفسي، أو أبحتك مني كذا وكذا، فلو انتفت مفسدة الزنا بذلك لكان هذا من أيسر الأمور عليها وعلى الرجل، فعظم الشارع أمر هذا العقد، وسد الذريعة إلى مشابهة الزنى بكل طريق» إهـ.

عقد مؤقت وزنى مقنع

يتفق الطرفان في هذا النكاح وقت إبرامه على أنه مؤقت إلى حين أن يتيسر للرجل التقدم لأهل المرأة، وليتم الزواج رسميا بمعرفتهم، وبهذا تعد نية الزواج الأول مؤقتة، وكثيرا ما يعرض للطرفين عارض يحول دون نية الإعلان الرسمي للزواج مستقبلا، فلا يتقدم الرجل للمرأة.

وكثير من الشباب المخادع استغل جهل البنات وهو لا يقصد زواجا، ولا هو في نيته بل يريد أن يعقد عقدا لا يقصده ليتمكن من الإستمتاع بالفتيات دون أن يتحمل مسؤوليات الزواج الشرعي، وهذا نكاح لا يقع لأنه ليس مقصودا ولا معقوداً في النية مثل نكاح المحلل حيث المحلل عقد عقداً لا يقصده ولا ينتويه حقيقة لذا حكم الشرع ببطلانه.

بل هذا الزواج طريقة خفية يتوصل بها إلى ما هو محرم في نفسه، وهو الزنى، ولأن المقصود بها محرم باتفاق المسلمين، فهي حرام كذلك، وسالكها فاجر ظالم آثم، وكونه يسعى إلى ذلك متخفيا مختالا أشد ظلما وإثما، فشره يصل إلى الأسر الآمنة، ويضر الأعراض المصونة من حيث لا تشعر، ولا يمكن الإحتراز عنه، ولهذا عد الشرع قطع يد السارق لأنه يستخفى بجرمه، على حين لم يأمر بقطع يد المنتهب والمختلس، ولذلك أيضا من قتل غيلة يقتل، وإن قتل من لا يكافئه، وكذلك من جحد شيئا استعاره وأنكره، تقطع يده لعدم إمكان التحرز منه، ولأنه يعد سارقا.

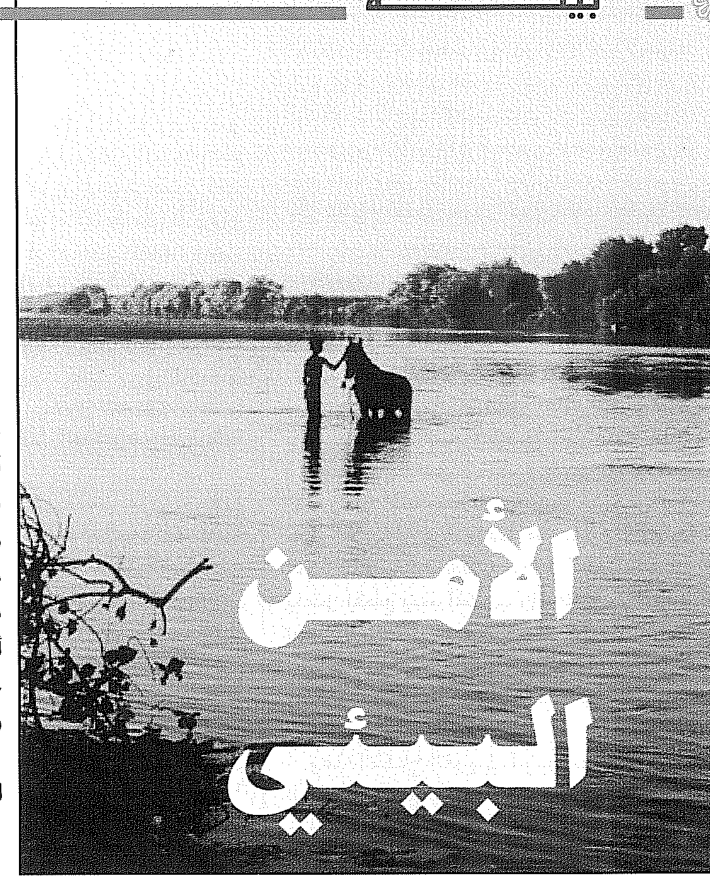
وهذا النكاح الغريب لم يعرفه العرب في الجاهلية لأنهم كانوا أهل نخوة ورجولة، ولم يشرع في الإسلام ولا وجود له في حياة المسلمين، ولم نر قبل اليوم أناسا يسعون للزواج سرا وخفية، بل يطلب الناس الزواج إعلانا وإشهارا، واجتماعا ومصاهرة، ولا نظن أحدا يرضى هذا النكاح لا لأخته، أو لإبنته ولا حتى لإبنه، لأنه خروج على الفطرة السليمة، ومقاصد الاجتماع الإنساني، ومحادة للدين والأخلاق القويمة، بل هو مكر وخداع واستهزاء بآيات الله، ولعب بالشريعة، وتحليل للمحرمات، وانتهاك للمحرمات يأباه العقلاء، ويتخذه غير المسلمين موجبا للطعن في الدين الحنيف والنيل منه، ومن البيّن أن الإسلام برىء من كل هذه المحدثات التي تشبه حيل اليهود في تحليل الحرام، ولأننا نرى كثيرا من الشباب والشابات يقعون في هذه الشراك المنصوبة، لذا كان واجبا أن يبذل الدعاة والمربون والعلماء جهودهم لبيان وجه الحق، وللإنكار على المجترئين والمخادعين والضالين، ولمعالجة الأسباب التي أوجدت هذه الظاهرة، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة.

الهامش:

١) نشرت الفتوى بمجلة (نصف الدنيا)، ٢٠٩٤ مطلع رمضان ١٤١٤هـ.

٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ١/٣٦٥و٣٦٦.

الأمن البيئي من منظور إسلامي



د. عواد جاسم الجدي*

مفهوم الأمن البيئي ليس مصطلحا حديثا نشأ وتطور مع تطور العلوم الحديثة، والتي ازدهرت مع بداية هذا القرن عندما تعالت صيحات البشرية تنذر عن وجود أوبئة وأمراض سببها المباشر أو غير المباشر تجاوزات الإنسان على مكونات النظام البيئي (Ecosystem) بل يعود هذا المفهوم إلى عصور ما قبل الميلاد، حيث كان الإنسان ـ ولا يزال ـ حريصاً على ما حوله من مكونات و مركبات حيوية يعرف أنها سببا في حياته ووجوده، واستمرار ذلك الوجود.

حماية البيئة موقف حضاري عريق

وليت أيام الجاهلية الأولى هي مبلغ علمنا عن أمن وحماية البيئة بل يعود ذلك إلى أيام حمورابي حيث وضع من جملة قوانينه قانونا يحمي التربة الزراعية، وينادي بزراعتها موسما وتركها موسما ثانيا، إلا إذا زرعت بالبقوليات. ويشير قانون حمورابي هذا بصورة واضحة إلى أمن التربة الزراعية وحماية خصوبتها، ومكوناتها الغذائية.

وقد اهتمم الملك الأشوري «ميرواخ بالدوان» ٧٢٠ قبل الميلاد، حيث شرع قانونا لحماية النباتات الطبية واستزراعها، والمحافظة عليها، وأنشأ أول حديقة نباتية في عهده، زرع فيها أكثر من ستين نوعا نباتيا، وترك أول رسالة علمية في حماية وصيانة هذه النباتات المفيدة.

أما في أيام العرب بالجاهلية، فقد أخذ الأمن البيئي شكلا ونموذجا آخر، حيث كانت الموارد البيئية في عهدهم تكاد تقتصر على الكلأ والمرعى والمياه وهم أغلى ما عند العربي بعد أسرته.

وكان الشريف في الجاهلية إذا نزل أرضا استعوى كلبا فحمى لخاصته مدى سماع عواء الكلب لا يشاركه ولا يرعى فيه معه أحد.

الإسلام وحماية البيئة

ولما جاء الإسلام الدين ا لحنيف، وضع حدا للحروب التي كانت تقوم بين القبائل العربية وسببها أغلب الأحيان المرعى وآبار ونقاط الشرب، أما الرسول محمد ﷺ فقد أشار إلى أنه لا حمى إلا لله ورسوله.

وقال الشافعي رضي الله عنه في تفسير قول الرسول ﷺ: لا حمى إلا لله ورسوله، نهى النبي ﷺ أن يحمى على الناس المرعى كما كانوا في الجاهلية يفعلون، وقوله إلا لله ورسوله إلا ما يحمي لخيل المسلمين وركابهم التي ترصد للجهاد، ويحمل عليها في سبيل الله، وإبل الزكاة، كما حمى عمر بن الخطاب رضي الله عنه النقيع لنعم الصدقة، والخيل المعدة في سبيل الله.

وفي أحاديث كثيرة ومواقف متعددة حمى رسول الله ﷺ الموارد البيئية من التلف والاستنزاف كما دعا إلى ترشيد استخدامها. فقد حمى الرسول ﷺ النقيع وعضاة المدينة — أي تكوين الثرى الذي تسوده أشجار الطلح والسمر — ومنع الصيد عبر الحمى والاحتطاب والاقتلاع حول مكة.

وبالرغم من الجهود المبذولة من الدول والهيئات العالمية والإقليمية والمحلية المتخصصة لحماية البيئة المختلفة إلا أن الرسول محمد ﷺ أصدر ومنذ ١٤٠٠ سنة قوانين وتشريعات للمحافظة على أمن البيئة ومكوناتها الأساسية.

ولعل مشهد مزارع بولندي يلقي حليب بقرته يوميا في جدول ماء يمر بجانب مزرعته إبان حادث المفاعل النووي «تشير نوبل» يذكرنا بحديث الرسول ﷺ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل» [رواه أبو داود وابن ماجه].

هذا الحديث الشريف قاعدة عظيمة وقانون من قوانين الأمن البيئي حيث تسعى الدول المختلفة اليوم جاهدة لسن المزيد من هذه القوانين في حين أشار الرسول إلى ذلك منذ زمن بعيد، كما أشار إلى الموارد المائية والنباتية حيث يعتبر المورد المائي اليوم من الموارد الهامة التي تعرضت للتلوث والاستنزاف، فقد بدأت البحار والأنهار والجداول والترع الصغيرة، والبحيرات تعاني من التلوث الشديد، وبانتقال مخلفات ا لإنسان إلى الموارد المائية..

فإن العديد من البكتريا ومسببات الأمراض سوف تنتقل إلى هذه الموارد، وتسبب العديد

*باحث في تنمية الموارد البيئية – الكويت

من الأمـراض المختلفـة، فمثـلا تعتبر الاشريشيـات الكـولـونيـة مسـؤولـة عن الانتانات الهضمية والبولية وهي تنتقل مع مخلفات الإنسان إلى المياه والفناء الخارجي، كما تنتقل السالمونيلات Salmonela spp إلى ميـاه الشرب والأنهار وهي التـي تسبب الانتـانات المعـوية، ولعل أهم الجراثيم التي تنتقل عن طـريق المخلفات البشريـة وتسبب أمراضاً خطيرة هي الشيفلات الزحارية Shi-gella dysenteriae وهي المسببة لمرض الـزحار أو الـزنطـاريـا، ويتميز هـذا المرض بأعراض تتجلى في المغص الشـديد والإسهال وفقدان الشهية والاضطرابات المعدية.

إنما أشار الـرسول محمـد ﷺ إلى أهمية الموارد لأن الجرثومـة الأكثر خطـرا على حياة مـلايين الأطفــال والتي أودت بأرواحهم في مجازر عـديدة عبر التـاريخ، هي جـرثومـة الكـوليرا Vibrio Cholerae وتؤدي إلى موت الطفل خلال أيام، إذا لم يعالج هذه الجرثومة تنتشر بشكل أساسي مع مخلفات الإنسان إلى المياه، أو الهواء، ومن الديدان التي تنتشر عن طـريق المخلفات البشريـة الـديدان المعديـة كالاسكـارس، والدودة الشريطيـة، وغيرهما من الأوبئـة الأخـرى سريعـة الانتشــار، والعدوى.

حديث الرسول ﷺ وواقع اليوم

إن حـديث الـرسـول ﷺ هـذا ملخص لما يجري اليـوم على الساحـة البيئيـة العالميـة، فالمصادر المائية تعاني بـالإضافة إلى التلوث البيــولـوجي (الجرثـومي) من التلــوث الكيميائي، حيث تشير الإحصائيات الحديثة التي أصدرتها منظمات ومـؤسسات وهيئات عـالميـة وإقليميـة إلى تلـوث الأنهار الكبرى كـالـدانــوب والمسيسبي وفيسـوا والأودرا والنيل وغيرهـا من الأنهار العالميـة الأخرى، وللمثال فإن نهرا مثل الأودرا الـذي ينبع من جبال الكـاربات عنـد المثلث الألماني الجيكي البولندي ويصب شمالا في بحـر البلطيق، قد تلوث تلـوثا تاما وانقـرضت نسبة كبيرة من الأحيـاء التي كـانت تعيش فيـه فأصـدرت الهيئـات البيئيـة في بـولنـدا وألمانيـا أوامـر صـارمـة تمنع شرب ميـاه ذلـك النهـر أو السباحة فيه، أو اصطياد الأسماك منه وعدم أخذ مياه الشرب من مصادر جوفية قريبة إلى النهر، أقل من ١٥ كيلومترا على الأقل.

فترى السكـان في أيـام العطل يقصـدون اليـنابيع الجبليـة البعيـدة عن التلـوث وعن المخلفات البشرية الملـوثة، لجلب مياه الشرب والشاي ولصنع الحليب وتحضيره للأطفال الرضـع ..! صدق رسـول الله ﷺ .

ولما كانت بيئة الإنسـان الخاصة هي جزء من البيئة بشكل عـام فقد حث الـرسـول ﷺ على الاهتمام بـالبيئـة الخاصـة التي تحيط بالإنسان، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظـافـة، كـريم يحب الكـرم، فنظفــوا فيكم ولا تشبهــوا باليهود» [رواه الترمذي].

النظافة أولى خطوات حفظ البيئة

يأمر الرسـول ﷺ حفاظا على البيئة وعلى الإنسان اتبـاعه بـالنظافة البـدنية ونظـافة المسكن والشوارع والسـاحات، والسـاحات العامـة المحيطة بالبيوت، لأن نظـافة المسكن من نظافة ساكنيه، ونظـافة الحي من نظافة الأفنيـة والساحـات والشـوارع التي تشرف عليهـا بيوتنـا، ونظـافـة المدينة مـن نظافـة أحيائها، فـالقمامة المتراكمة تجذب الحشرات الناقلة للمرض فالـذباب المنزلي وذبابة اللحم تنقل أمراضـا متعددة بحكم طبيعـة حياتها المستمـرة على القمامة والفضـلات، كل ذلك يجعل منها ناقلا للأمراض، خاصة للأطفال مثل شلـل الأطفــال، والجذام، والتــدرن الرئوي، والتيفوئيد، والباراتيفوئيد، وأمراض العيون، مثل مرض الطراخوما.

ولم يفت المصطفى ﷺ أن يـوصي الإنسان بأمن بـدنـه ونظـافته لحمايتـه من الأوبئـة والأمراض، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «من بـات وفي يده ريح غَمَرٌ فـأصابه فـلا يلومن إلا نفسـه». وريح الغمـر أثر الأطعمـة والدهـون العـالقة بيـد الإنسان أو في ملابسه، وهنا يأمرنا الرسـول ﷺ بـالنظـافـة لحمايـة بيئتنـا الـذاتيـة الشـخصيـة الخاصـة بكل فرد منـا. فهنـاك العديـد من الحشرات التي تمرح ليلا بـاحثة عن طعــامهـا، وتجذبها رائحـة الـدهـون والفضلات والأوسـاخ في البيت وعلى الجسم والثيــاب، ولعل من أهم هــذه الحشرات: الصراصير الحمراء، والقمل، والبراغيث.

فــالصراصير التي تترد على القــاذورات وتلوث أطعمتنـا وألبستنا وبعض أجـزاء من أجسامها، هي خير نـاقل ميكانيكي لكثير من الطفيليـات البدائيـة، والترشيحـات «الحمى الراشحـة»، وبيوض الـديدان الطفيلية وقد ثبـت دور الصراصير في نقــل كثير مــن مسميـات الأمراض كـالتيفـوئيد والزحـار والكـوليرا. وتأتي حشرات القمل في مقـدمـة الحشرات التي تعيـش على جسم الإنســان وتنقل مرض التيفـوس الوبائي الـذي تسببه الـركيتسيـا Reckettsia prawazepi، وتستطيع حشرة القمل نقـل مسببـات هــذا المرض، عن طـريق بـرازها الـذي يجف على جسم الإنسـان وتنتشر مكونـاتـه كما تنقل القملة مرض الحمى الوبائية.

لا يزال التاريخ يحتفظ بسجـلاته لكوارث الطـاعون، ذلك الـوباء الخطير، ولا تـزال في الذاكرة حوادث انتشار الطاعون في الهند هذا العام، حيث عـزلت عن العالم، وأوقفت كـافة الخطوط الجويـة العالميـة رحلاتها إلى هنـاك والسبب بنقل الطـاعـون حشرة صـغيرة هي «البرغوث» حيث ينتقل إلى الإنسان عن طريق الحيوانات المصابة كالفئران والقطط وغيرها، وتعود القذارة البيئيـة لتكون السبب الرئيسي وراء انتشـار ذلك الوبـاء فما تعـانيه البيئـة البشريـة من كـوارث وحـوادث وإصـابـات مرضية وبيئية جـاء في أحاديث الرسول ﷺ منذ ما ينوف عن ١٤٠٠ سنة.

حيث دعا إلى الحجر الصحـي لعدم انتقال تلك الممرضـات والأوبئة من بيئة مصـابة إلى بيئــة سليمـة ، وفي ذلك حمايــة للبيئــالت السليمـة من أن تلـوث وحفـاظـا على أمنهـا الصحي. عن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الطاعون بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفـة من بني إسرائيل، فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا وقع بأرض ولستـم بها فــلا تهبطــوا عليها» [رواه البيهقي والترمذي].

وفي هـذا الحديث الشريف إشارة واضحـة ودليل قــاطع على احترام والمحــافظــة على البيئـات النظيفــة الخاليـة مـن الأمـراض، والتلوث، وحصر الوباء والبلاء في بيئة المنشأ لكي لا ينتقل إلى البيئات الأخرى.

تلك مقطتفـات من حـرص الإسـلام على الـوسط البيئي الـذي يعيش فيـه الإنسـان، وهذه الأحاديث النبوية الشريفة المختارة خير دليل تشريعـي على أن الإســلام لم يهمل الجانب البيئي في حيـاة الإنسان بل أوصـاه ببيئته خيراً□

عناية الإسلام بالأســـرة

الشريعة الاسلامية لا تتناقض مع حقائق الحياة.. لأن عظمة هذه الشريعة الربانية تكمن في أنها صالحة للتطبيق في مختلف البيئات لكل تطور يحققه الانسان عبر التاريخ، فقد أعطى الاسلام المرأة الكثير من الحقوق التي كانت محرومة منها حيث ألقى ظلاله الكريمة على حجم مسئولية المرأة كزوجة وكأم.. لأن الحق في الإسلام، يقابله واجب وتزايد في المسؤوليات.. ولأن الحصول على الحقوق لابد ان يقابله تبعات من الواجبات.

فقد حرص الإسلام في أحكامه على ابراز حق الوالدين والتذكير الدائم بحقوقهما على أولادهما.. بل ان الله تعالى في وصاياه جعل برّ الوالدين والاحسان اليهما قرين الدعوة الى عبادته سبحانه وتعالى.. محذرا من الاساءة اليهما.. يقول تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ [الاسراء:٢٣] ومن هنا اتضحت عناية الاسلام

بقلم: سهير محمد حسنين

بالاسرة المسلمة.

كرامة الوالدين

وفي الجانب الآخر المقابل للبر والاحسان.. نرى الاسلام ينذر ويحذر من عقوق الوالدين.. فقد جاءت أحاديث الرسول ﷺ منذرة عاقّ والديه بالطرد من رحمة الله وبأنه لا يدخل الجنة. بل إن من يؤذي والديه ويخالفهما يعجل له العقاب في الدنيا فضلا

عن حسابه في الآخرة.. فقد قبح الرسول ﷺ إيذاء الام ومخالفتها وعدم الاحسان اليها بقوله: «ان الله حرّم عليكم عقوق الامهات ووأد البنات». متفق عليه كما حفظ الاسلام كرامة الوالدين ووصى الاولاد بذلك.. فمن الاحسان الى الوالدين طاعتهما في المباحات.

فقد حرم الرسول ﷺ كل فعل أو قول يؤدي الى اهانة الوالدين قال تعالى: ﴿ووصينا الانسان بوالديه إحسانا حملته أمه كُرْها﴾ [الأحقاف:١٥] فالام تحمل جنينا ينمو في بطنها ويمر بأطوار التخلق التي أرادها الله تعالى. تحمله في مشقة ومحبة به وهي راضية شديدة الحفاظ عليه لا تبالي بأوجاعها وآلامها.. والاسلام في أحكامه التشريعية العادية يقوى من عزيمتها مدة حملها. فيخفف عنها في العبادات اذ يبيح لها الفطر في رمضان عونا لها على مشقات الحمل.. وبعد الولادة أيضا رخّص لها الاسلام بالفطر في شهر الصيام. متى خافت ضررا على نفسها ووليدها رعاية لأمومتها وما تحمله من مشاق الحمل أو الارضاع والسهر على الوليد والقيام بشؤونه.. كما خففت عنها الشريعة الاسلامية في الصلاة وشروطها فاعتبرتها من أصحاب الاعذار.. وأجرى عليها الفقهاء أحكام وضوء وصلاة المعذور.



الرعاية الشاملة

ولقد كرّم الله تعالى الام الحامل اذا طلّقت فأوجب على مطلقها الانفاق

عليها نفقة شاملة كالسكنى وغيرها.. يقول تعالى: ﴿وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ [الطلاق:٦] ولا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة على الحامل حتى تضع حملها.. فاذا وضعت.. حملها فعلى ومطلّقها – والد طفلها – أجرة رضاعها إياه.. أما اختلاف العلماء ففي استحقاق الأم المرضع أجرة الرضاع اذا كانت ماتزال زوجة لوالد الطفل.. وأجاز الفقهاء جميعا للأم المرضع طلب زيادة نفقتها أو أجرة الارضاع.. لأن الارضاع حق للأم وواجب عليها في ذات الوقت.. يقول تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة:٢٣٣].

وقد قال الفقهاء في هذا المجال.. إن الرضاع لازم على الأم في حال الزوجية لانه عُرْف صار كالشرط..إذا لم يقبل الولد غير ثدييها أو لم يكن للأب ولا للصغير مال. باعتبار ذلك حال ضرورة سواء أكانت الأم زوجة لأبيه أم مفارقة له.. كما أن فقه الشريعة الاسلامية قد أكسب المرضع حق الأمومة لمن أرضعت غير ولدها.. وجعل الرضيع محرما لها كابنها ولادة، وأولادها إخوته رضاعا.. يقول تعالى: ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾ [النساء:٢٣] فقد اكتسبت بهذا النص القرآني الكريم حق الامومة وكل صفاتها.. فالقرآن الكريم سماها أما تكريما لها في هذا المجال.

ولقد كانت الشريعة الاسلامية حريصة على الامومة حفيظة عليها.. حين أناطت بها حق حضانة أولادها في سنوات عمرهم التي يحتاجون فيها الى حضانة الأم ورعايتها لشئونهم.. مادامت أهلا لهذه الحضانة ولم تتزوج بغير أبيهم..

من قضاء النبي ﷺ وصحابته

وحضانة الأم لأولادها من الامور التي بحثت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم.. فقد جاءت أم تتحاكم مع مطلقها إلى الرسول ﷺ فقالت الأم: يارسول الله.. إن ابني هذا كانت بطني له وعاء.. وحجري له حواء وثديي له سقاء.. وزعم أبوه أن ينتزعه مني فقال النبي ﷺ: «أنت أحق به ما لم تنكحي» [رواه أحمد وأبو داود] أي تتزوجي بآخر.

وقد أجمعت الامة الاسلامية على هذا.. ويحكى التاريخ ان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – خاصم زوجته بشأن ابنهما عاصم فذهبا الى أبى بكر – رضي الله عنه – في هذا الشأن فقال أبو بكر: (ريحها ومسّها ومسحها خير له من الشهد عندك ياعمر).. وكان هذا بمحضر الصحابة – رضوان الله عليهم – ولم ينكر أحد منهم على أبي بكر قضاءه فكان إجماعا.

وقد اتضح لنا ان عطف الأم وحنوها قد يكون له غذاء وشفاء.. كما ثبت حق الأم في حضانة أولادها.. لأن الأمهات بأولادهن أشفق وأحنى وأصبر.. فالامومة منحت الام ولاية المطالبة بحقوق طفلها من والده.. وهي نيابة أناطها الشرع لها.. لان الأمومة فطرة، والفطرة تجعل الأم ترتفع بولدها الى الكمال.

ولم يقف تقدير الشريعة الاسلامية للأمومة عند هذا الحد.. بل إذا أجرمت الأم وحق عليها العقاب في حد شرعي أو غيره.. وكان في إنزال العقاب بها إضرار بها أو بوليدها أوقفت الشريعة الاسلامية العادلة هذا العقاب، حتى تؤدي الأم رسالة الامومة.. فتضع حملها وترضع وليدها.فالغامدية التي جاءت الى رسول الله ﷺ.. تطلب اقامة الحد عليها في اصرار التائب النادم العائد الى ربه تعالى.. طالبها الرسول ﷺ أن تعود حتى تضع حملها.. وبعد أن وضعت حملها جاءت اليه مرة أخرى مطالبة بإقامة الحد عليها.. فأشار عليها ﷺ أن تعود حتى ترضع وليدها ويستغنى عنها.. ثم عادت به مرة أخرى وفي يده تمرات يأكلهن.. عندئذ دفع الرسول ﷺ بالطفل الى من يكفله.. وأمر بإقامة الحد عليها.

الأم والأمة الإسلامية

لقد قامت الدعوة الاسلامية على المبادىء القويمة التي تهدف الى متانة الرابطة بين أبناء الامة الاسلامية الواحدة.. وبخاصة الاسرة المسلمة باعتبارها الخلية الاولى في بناء المجتمع.. فاذا ترابطت الاسرة ترابطت الامة والمجتمع.. ولقد جاءت دعوة الاسلام لتكريم الأم صريحة واضحة.. فقد اهتم الاسلام بالمرأة التي ستكون أما.. لذا نرى الاهتمام النبوي الشريف باختيار الزوجة: «تنكح المرأة لأربع.. لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها.. فاظفر بذات الدين تربت يداك» متفق عليه.

فالتوجيه النبوي الشريف في اختيار ذات الدين.. يبين للرجل الاساس السليم الذي يختار فيه أما لأولاده ترعاهم وتحفظ مكانتهم.. وكما عنى الاسلام باختيار الزوجة خلقا ودينا.. فكذلك وجه نظرة صادقة أثبتها علم الوراثة.. وهي توجيه الانظار الى الاغتراب في الزواج.. حتى لا يتأثر الابناء بالامراض الوراثية.. كالسكر والتخلف العقلي وغيره من الامراض الوارثية الناتجة عن الزواج من الأقارب.

استمرارية العطاء

فالأمومة في الاسلام رابطة دائمة بين الأم وأولادها.. تبدأ أول أمرها برعاية الأم لأولادها.. فاذا ما اشتد عودهم وتقدمت السن بالأم تحولت الى بر ورحمة من الابناء الى أمهم.. ويتسع نطاق الأمومة في الاسلام ليربط المجتمع كله في وحدة انسانية واضحة المعالم.. فالاسرة هي الخلية الفطرية التي يعيش فيها الانسان.. وفي الاسلام تصعد الامومة والبنوة فوق مستويات الجنس والمصلحة القريبة الى أفق الوفاء والرحمة والمسارعة الى البر.. فالاحسان الى الابوين من الثمار الطيبة للأمومة والأبوة أو هما امتداد لهما معا..

وبهذا لم يجعل الاسلام فجوة بين الاجيال المسلمة.. بل كرم الله تعالى الامومة.. فجعلها مسؤولة عن رعاية أنبياء.. وجعلها تعالى جزءا من مناسك الحج بسعي هاجر عليها السلام بين الصفا والمروة بحثا عن الماء لوليدها ولنفسها□

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لم يعد أثر من مجرد ذكرى؟!

تشكل (حقوق الإنسان) والدعوة إلى حفظها معلما مهما من معالم القرن الأخير، كما تشكل في الوقت نفسه أهم مبررات تدخل دول عظمى في مسار دول أقل عظمة.. ويبقى الشعار المرفوع شعارا جذابا لاسيما لأولئك الذين يبحثون عن العيش بكرامة أو بمستوى يرفعهم من الذلة التي يحيونها، ولكن هل يدل الواقع على أن الإنسان - أي إنسان - يتمتع اليوم بالحقوق المعلنة والمقننة؟ ففي أكثر من منطقة نشهد انتهاكات صارخة؛ عدا عن الانتهاكات المقنّعة برقع شفاف من التبريرات القانونية.. وفيما يلي ترجمة لمقال (الهيرالد تريبيون) بمناسبة مرور ٤٦ سنة على (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان):

الذكرى السادسة والأربعين

تمر هذه الأيام الذكرى السادسة والأربعين على إصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي أعطى قوة دفع كبيرة لدول أوروبا للمصادقة على ميثاق حقوق الإنسان الملزم قانونا، والأكبر في عالم اليوم.

لكن انتهاكات الحقوق - التي نص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، في العديد من دول مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي - ظلت في ازدياد مستمر، حيث كانت العوامل العرقية تمثل الدافع الرئيسي لمثل هذه الانتهاكات. ومن الأمثلة على ذلك:

في كرواتيا، عمدت حكومة (فرانكو توجمان) للمساواة بين الخيانة واتخاذ موقف للدفاع عن حقوق الإنسان، أو معارضة الحكم.

وتخضع وسائل الإعلام بشكل كامل للدولة، وقد بدأت حملة (للتطهير الأيديولوجي) أدت إلى تسريح الكثير من العاملين فيها. وقد أوردت مجموعات حقوق الإنسان - خاصة (لجنة هلسنكي الكرواتية) - تقارير عن قيام السلطات الكرواتية بعمليات طرد غير قانونية - وعنيفة أحيانا - للمسلمين والصرب، من شقق كانت مملوكة للجيش الشعبي اليوغسلافي سابقا.

وكثيرا ما يتعرض رئيس لجنة (هلسنكي) لاتهامات بالخيانة من قبل الصحافة، وعندما تحدث (سلوبودان بوداك)، داعية حقوق الإنسان البارز، حول إمكانية توجيه تهمة ارتكاب جرائم حرب للكروات، تعرض منزله للتخريب، وقد اعترف أحد رجال الشرطة بارتكاب الجريمة، لكن السلطات أطلقت سراحه. وزعمت السلطات بأنها عملية سلب صغيرة، ورفضت التحقيق في الأدلة المقدمة لها بأن العملية كانت إرهابا سياسيا.

الانتهاكات في تركيا

وفي تركيا، تلجأ السلطات لاستخدام قانون مكافحة الإرهاب، والقانون الجزائي كأداة للقمع، إذ كان يواجه ثمانية أعضاء أكراد في البرلمان التركي - اتهموا بانتهاك قانون مكافحة الإرهاب - إمكانية الحكم عليهم بالإعدام، ففي مرافعة جرت في ٢٤/١١/٩٤م، رفضت محكمة أمن الدولة التركية مطالبات الدفاع الشرعية بتقديم أدلة مادية، أو الاستماع إلى شهود النفي، مما قضى على إمكانية إجراء محاكمة عادلة لهؤلاء النواب، وقد انتهكت مداولات المحكمة اثنين على الأقل من مواثيق حقوق الإنسان، الموقع عليها من قبل تركيا. وفي نهاية الأمر صدرت أحكام على النواب الأكراد الثمانية، تصل إلى السجن لمدة خمسة عشر عاما.

ويواجه اثنان من أعضاء منظمة حقوق الإنسان التركية تهما بنشر الدعاية الانفصالية، من خلال نشرة كانا يصدرانها خلال الفترة من ١٩٨٠م - ١٩٩٤م، وهي النشرة التي قامت بتوثيق حالات التعذيب والقتل داخل السجون التركية. لكن جمعيات حقوق الإنسان العالمية أشارت إلى أن عام ١٩٩٣م، وحده شهد وفاة ما يزيد على عشرين شخصا في مراكز الشرطة في تركيا، وقد تعرض ستة عشر صحافيا تركيا - معظمهم يعمل لدى صحف ونشرات كردية - للاغتيال على مدى السنتين الماضيتين، ولكن لم توجه لأحد تهمة القتل في أي من هذه الاغتيالات.

ولم تكتف تركيا بإحباط الجهود لتوثيق وتحليل هذه المشكلات وحسب، بل إنها

الإعلان العالمي.. وانتهاك حقوق الإنسان



قاومت بشدة وجود المنظمات غير الحكومية لحقوق الإنسان، والتي أثارت هذه القضايا في مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي، وأمام منتديات دولية أخرى.

.. واليونان

وفي اليونان، أدين ثلاثة وعشرون شخصا على مدى السنتين الماضيتين لانتقادهم سياسات الحكومة الخارجية، والمتعلقة بالأقليات، ووجهت لهم تهم مثل (تشويش العلاقات الخارجية) أو (إهانة الحكومة)، أو (زعزعة السلام من خلال إثارة التناقضات).

وقد وجهت السلطات لـ (كريستوس سيدروبولوس) - رئيس الحركة المقدونية لحقوق الإنسان - تهمة خلق الفوضى لعلاقات اليونان الدولية، من خلال البيانات التي ألقاها حول الهوية المقدونية، أمام مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي.

وفي ٢/١٢/٩٤م، أدين الأب (نيكوديموس تساركيناس) بتهمة (تقمص شخصية سلطوية)، بسبب ارتدائه الزي الكنسي الأورثوذوكسي. وقد أقيم الحكم على أسس جدلية، بأن المواطن اليوناني لا يمكنه إعلان ولائه لغير الكنيسة اليونانية. وربما تكون لهذا الانتهاك - للحقوق الدينية - انعكاسات خطيرة على الحرية الدينية في منطقة البلقان.

صربيا تقمع مواطنيها

وفي حين قامت الديمقراطيات الناشئة في أوروبا بتخفيف مواقفها تجاه حكومة (ميلوسوفيتش) في صربيا، وتفكر بالتسليم بإقامة صربيا الكبرى، نجد أن مواطني صربيا محرومون من أبسط الحقوق المدنية والسياسية.

فالدولة تشدد قبضتها على وسائل الإعلام، ولا تزال تحاول السيطرة على صحيفة (بوربا)، وهي الصحيفة اليومية الوحيدة التي ما زالت مستقلة في بلغراد، وتسعى وسائل الإعلام الحكومية التي عبأت الشعب الصربي ضد الشعوب غير الصربية، من خلال برنامج (حديث الكراهية..) الآن لخلق حالة من عدم الاستقرار في أوساط الصرب، ووفقا للجنة (هلسنكي) لحقوق الإنسان في صربيا، فإن عدد قوات الشرطة الصربية يزيد على ثمانين ألف شخص مزودون بأسلحة أفضل من تسليح الجيش اليوغسلافي.

وتقوم قوات الشرطة هذه بمهمات قمعية بدلا من الحماية، وتقوم بشكل متكرر بإيقاف الناس وتفتيشهم، كما استمرت في عمليات (التطهير العرقي) في مدينتي (فوجفودينا) و(سانجاك).

وفي مدينة (كوسوفو)، قام النظام الصربي - لتوه - باعتقال أكثر من مائة وعشرين شخصا من ذوي الأصول الألبانية، الذين تعرضوا لمختلف صنوف التعذيب، بحجة أنهم قاموا بتشكيل قوة شرطة موازية للشرطة الصربية. واتهم محامو هؤلاء المتهمين السلطات الصربية بانتهاك القانون الصربي الخاص بالاحتجاز الذي يسبق المحاكمة، ناهيك عن انتهاك القوانين الدولية بهذا الشأن.

روسيا والنشاطات المتطرفة

وفي الوقت الذي تسعى فيه روسيا لتجديد دورها القيادي في الشؤون الدولية، إلا أن الحكومة لا تطبق التشريعات السارية ضد أولئك الذين يقومون بإقامة التنظيمات القومية المتطرفة، أو الذين يستخدمون وسائل الإعلام لحض الجمهور على القيام بالعنف العرقي، أو الاثنين، وهي النشاطات التي تعتبر غير قانونية، في ظل القانون الجزائي الروسي.

وتصدر في أكثر من مائتي صحيفة، أو مجلة قومية في روسيا، منها الكثير المعادي للسامية، والداعي إلى أفكار ايديولوجية عنصرية، فالحركة الجديدة - التي تتخذ من اللونين الأحمر والبني شعارا لها - تدعو دائما إلى الوحدة مع (الأشقاء الصرب)، تمثل تهديدا ليس فقط لحقوق الإنسان للأقليات في روسيا، بل للأمن الأوروبي برمته.

وفي هذا الوقت، اختتم مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي اجتماعاته في (بودابست) لمراجعة ملف حقوق الإنسان على مدى شهرين. وقد طالبت منظمات حقوق الإنسان بالتزامات أقوى لحماية المدافعين عن حقوق الإنسان، وبالالتزام بالحد الأدنى من المعايير الإنسانية عند اندلاع الأزمات، وبمنع التعذيب، وضمان معاملة عادلة وإنسانية للاجئين وعلى الرغم من الفشل في اتخاذ خطوات بناءة بشأن البوسنة في مؤتمر القمة الأخير، أوضحت اللقاءات الطويلة والمكثفة في بودابست، أن مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي ما زال يمثل آلية فعالة لتعزيز إجراءات حماية حقوق الإنسان.

وتعتبر الوثيقة النهائية للاجتماع خطوة إلى الأمام، فهي تعزز الالتزامات بحقوق الإنسان، وتضع مزيدا من الضغوط على الدول التي لا تحترم هذه الالتزامات، وسيكون لدى الدول الأعضاء (في مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي)، القليل من الأعذار لتجاهل الانتهاكات. لكن يبقى الكلام حول هذا الموضوع رخيصا. فعلى ضوء التهديدات المتزايدة لحقوق الإنسان، فإنه يتعين على الدول أخذ التزاماتها على محمل الجد □

حكم الموسيقى في الفقه الإسلامي سماعا وعزفا وامتهانا

بقلم: أ.د. أحمد الحجي الكردي*

أدوات الموسيقى بعامة هي أدوات لهو وعبث، فالعزف عليها وسماعها وصنعها وبيعها. ممنوع شرعا، لما فيه من إضاعة الوقت الذي أمرنا أن نقضيه في طاعة الله سبحانه وتعالى وعبادته، قال سبحانه: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ [الذاريات:٥٦و٥٧].

وقد ورد النهي عن العديد من آلات اللهو والموسيقى في أحاديث شريفة، منها: قوله ﷺ: «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الخز والحرير والمعازف» [رواه البخاري]. وقوله ﷺ: «إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة» [رواه أبو داود وابن حبان واحمد].

وهذا كله إذا كان الحال لهوا مجردا، فإذا رافق العزف محرمات أخرى، كاختلاط النساء بالرجال الأجانب، أو الخلوة المحرمة، أو كشف العورات أمام الأجانب، أو شرب المحرمات، أو الاشتغال عن الواجبات.. كان حراما بالاتفاق لما رافقه.

فإذا قصد بذلك مصلحة شرعية معتبرة راجحة، كالضرب بالدف للعرس والحرب أوالأعياد أوالختان، وما أشبه ذلك، جاز في حدود تلك المصلحة دون زيادة، وقد ورد في ذلك نصوص، منها:

قول النبي ﷺ: «أعلنوا النكاح» [رواه مسلم]. وماروته السيدة عائشة أم المؤمنين، رضي الله تعالى عنها، قالت: دخل عليّ أبو بكر وعندي جاريتان في أيام منى تدفان وتضربان، والنبي ﷺ متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي ﷺ عن وجهه فقال: «دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد» [متفق عليه].

ما اتفق العلماء على تحريمه من المعازف

هذه مقدمة عامة نخلص منها إلى ما يلي:

اتفق الفقهاء على تحريم العزف على الآلات الموسيقية بعامة، وكذلك سماعها، إذا رافق ذلك محرم، كاختلاط النساء بالرجال الأجانب، وكشف العورات أمام الأجانب، وشرب المحرمات كالخمرة، والتأخر عن القيام بالواجبات كتأخير الصلاة عن وقتها، والخلوة بالأجنبيات. وغير ذلك.

فإذا خلا الحال عن أي محرم مرافق، فالجماهير على التحريم أيضا إذا كانت الآلة ذات وتر كالعود والكمان والقانون والربابة. أو ذات صوت يصدر عنها بالنفخ فيها، كالبوق والمزمار والناي والشبابة. وكذلك الكوبة (الدربكة) والصنجات، وذلك لما ورد من نصوص السنة والآثار في النهي عن هذه الآلات مما تقدم بعضه، ولأنها شعار الفسقة.

وما اختلفوا فيه

أما الدف والطبل، فقد اختلف الفقهاء فيهما:

فذهب الجمهور وفيهم الأئمة الأربعة إلى حرمة العزف عليهما وسماعهما أو كراهته، قياسا على ماورد من النبي عن الآلات السابقة بجامع اللهو في كل.

قال الحصكفي من الحنفية: (وكره كل لهو)، وقال ابن عابدين: (أي كل لعب وعبث. والإطلاق شامل لنفي الفعل واستماعه كالرقص والسخرية والتصفيق وضرب الأوتار من الطنبور والبربط والرباب والقانون والمزمار والصنج والبوق، فإنها كلها مكروهة، لأنها زي الكفار، واستماع ضرب الدف والمزمار وغير ذلك حرام). [رد المحتار:٥/٢٥٣].

وقال ابن عابدين أيضا: (ويحرم علم الموسيقى، وهو علم رياضي يعرف منه أحوال النغم والإيقاعات وكيفية تأليف اللحون وإيجاد الآلات) [رد المحتار:٥/-].

وقال قليوبي من الشافعية: (ويحرم استعمال آلة من شعار الشربة للخمر، كالطنبور والعود الأصح والمزمار العراقي، واستماعها لأنها تطرب، لايراعُ في الأصح، لأنه ينشط على السير في السفر، قلت: الأصح تحريمه، والله أعلم، وقال في الروضة بعد تصحيحه أيضا: (وهو هذه الزمارة التي يقال لها (الشبابة) ثم قال: (ويحرم ضرب الكوبة، وهي طبل طويل ضيق الوسط واسع الطرفين أي دربكة لحديث النبي ﷺ: «إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة» [رواه أبو داود وابن حبان]. انتهى [قليوبي:٤/٣٢٠].

وقال الجلال المحلي: (ولا تضمن الخمر لمسلم ولا ذمي ولا تراق على ذمي إلا أن يظهر شربها أو بيعها وترد عليه إن بقيت العين. والأصنام وآلات الملاهي كالطنبور وغيره لا يجب في إبطالها شيء لأنها محرمة الاستعمال ولا حرمة لصنعها) [شرح المحلي في هامش قليوبي عليه ٣/٣٣].

وقال الغزالي: (ولايستثنى من هذه - أي الآلات المباحة - إلا الملاهي والأوتار والمزامير التي ورد الشرع لمنع منها. وكان تحريمها من قبل الاتباع... وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة. فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والأوتار كلها، كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها) [الإحياء ٢/٢٧٢].

وقال ابن قدامة الحنبلية: (فصل في الملاهي، وهي على ثلاثة أضرب: محرَّم، وهو ضرب الأوتار والنايات والمزامير كلها والعود والطنبور والمعزفة والرباب ونحوها، فمن أدام استماعها ردت شهادته لأنه روي عن علي، رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا ظهرت في أمتي خمس عشرة خصلة حل بهم البلاء) نذكر منها المعازف والملاهي، وقال سعيد. قال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني رحمة للعالمين، وأمرني بمحق المعازف والمزامير لايحل بيعهن ولا شراؤهن ولا تعليمهن ولا التجارة فيهن وثمنهن حرام) [المغني ٨/ ١٧٤].

وذهب بعض الفقهاء إلى إباحة الدف والطبل مطلقا مالم يرافقهما محرم، لعدم ورود نص على التحريم، وهم بعض الصوفية، ومال الغزالي إليهم.

قال ابن قدامة: (وضرب مباح وهو الدف، فإن النبي ﷺ قال: «أعلنوا النكاح» [رواه مسلم]، وذكر أصحابنا وأصحاب الشافعي أنه (مكروه في غير النكاح) [المغني: ٨/ ١٧٤].

وقال الغزالي: (فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها، وماعدا ذلك فليس في معناها، كشاهين الرعاة والحجيج، وشاهين الطبالين، وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب، لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها، فلم يكن في معناها

*الخبير بالموسوعة الفقهية - الكويت

فبقي على أصل الإباحة) [الإحياء:٢/ ٢٧٢و٢٧٣].

وقال الحصكفي: (ومنهم من أجازه - أي الغناء - في العرس كما جاز ضرب الدف فيه، ومنهم من أباحه مطلقا، ومنهم من كرهه مطلقا، وفي البحر والمذهب حرمته مطلقا) [الدر المختار في هامش رد المحتار عليه ٤/ ٣٨٢].

وذهب جمهور الفقهاء، إلى إباحة الدف في العرس والولائم والأفراح المشروعة، كالختان والأعياد، وفي الحرب، وكذلك الطبل عند الأكثرين، وذلك لما فيه من المصلحة الغالبة، كإعلان العرس، وجمع الصفوف في الحرب، ولما ورد في ذلك من الآثار.

قال ابن عابدين من الحنفية: (وإذا كان الطبل لغير اللهو فلا بأس به كطبل الغزاة والعرس، لما في الأجناس؛ ولا بأس أن يكون ليلة العرس دف يضرب به ليعلن به النكاح، وفي الولوالجية: (وإن كان للغزو أو القافلة يجوز) [ابن عابدين ٥/ ٣٤].

وقال قليوبي من الشافعية: (ويجوز دف لعرس وختان وكذا غيرهما. في الأصح) [قليوبي ٤/ ٣٢٠].

وقال ابن قدامة الحنبلي: (لابأس بالدف في العرس والختان وأكره الطبل وهو المنكر وهو الكوبة التي نهى النبي ﷺ) [المغني ٦/ ٥٣٨].

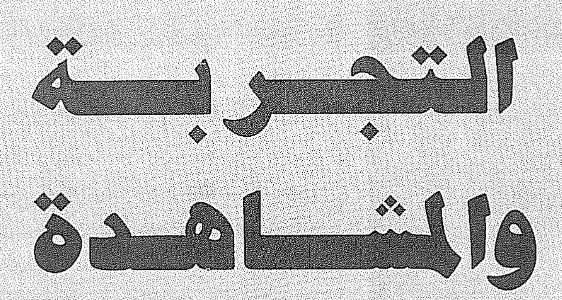
إلا أن بعض الفقهاء أشار إلى أن الدف مباح في العرس للنساء فقط دون الرجال، قال ابن قدامة: (وأما الضرب به - أي بالدف في العرس - للرجال فمكروه على كل حال، لأنه إنما كان يضرب به النساء والمخنثون المتشبهون بهن، ففي ضرب الرجال به تشبه بالنساء، وقد لعن النبي ﷺ: «المتشبهين من الرجال بالنساء) [المغني ٦/-].

هذا حكم العزف والسماع، والحكم في التعليم والتعلّم والبيع والشراء والصنع والاستئجار وغير ذلك مثله، للقاعدة الكلية (ما أدى إلى الشيء أعطي حكمه).

قال ابن عابدين: (.. ونظيره كراهة بيع المعازف لأن المعصية تقام بها عينها ..) [ابن عابدين ٣/ ٣١٣].

وقال الجلال في المحلى: (والأصنام وآلات الملاهي كالطنبور وغيره لا يجب في إبطالها شيء، لأنها محرمة الاستعمال ولا حرمة لصنعتها، والأصح أنها لا تكسر الكسر الفاحش بل تفصل لتعود كما قبل التأليف لزاول الاسم بذلك، والثاني تكسر وترضض حتى تنتهي إلى حد لا يمكن اتخاذ آلة محرمة منه لا الأولى ولا غيرها) [شرح المحلى في هامش قليوبي عليه ٣/ ٣٣]. هذا ويستوي في الحكم أن يكون العزف أو السماع المحرم أو المكروه في المنزل أو الشارع أو الفندق أو دار الإذاعة أو غير ذلك، لعدم الفارق المؤثر، وكلما كان الإعلان أشمل وأعم كان التحريم أو الكراهة أشد، لشدة الضرر، والله تعالى أعلم□

اتسمت الشريعة الإسلامية بالسعة والشمول، وأحاطت بجميع جوانب الحياة الإنسانية الضرورية



مبدأ أصيل في منهج البحث العلمي عند المسلمين

بقلم: عبد الله بدران

اتسمت الشريعة الإسلامية بالسعة والشمول، وأحاطت بجميع جوانب الحياة الإنسانية الضرورية، ودعت لتحقيق التوازن الشامل والدقيق بين الحياتين الروحية والجسدية، لتتم حياة الإنسان على أكمل هيئة، وأتم صورة. والناظر في كتاب الله - عز وجل - وفي سنّة نبيه ﷺ، يجد أن هناك اهتمامات أولاها الإسلام عناية خاصة، وحث عليها، ودعا إلى الالتزام بها، وحضّ على متابعتها، والتمسك بها، وذلك لكونها ضرورية للإنسان. فهي تفتح آفاق المعرفة أمامه، وتنير السبل المظلمة، وتوضح مشكلات الحياة ومصاعبها، وتنبه إلى حقائق لا ينبغي التهاون بها. ومن هذه الأمور دعوة الإسلامة إلى العلم، وحضه المتكرر على الأخذ به، وقد وعى العلماء المسلمون هذه الحقيقة، فأقبلوا على العلوم يدرسونها، ويطلعون على ما كتب العلماء القدماء عنها، ثم تعمقت دراستهم لها، وأصبح لها معنى خاص، وأخذوا يعتمدون على منهج علمي فريد في دراسة كل علم من العلوم، يقرأون كل ما كتب قبلهم، ويجردون عقولهم عن الأوهام والخرافات، ويعتمدون على البحث والتجربة، والحس والمشاهدة، ثم يدونون أفكارهم وآراءهم مشفوعة باستنباطات بديعة، واستنتاجات مدهشة.

مبدأ التجربة والمشاهدة

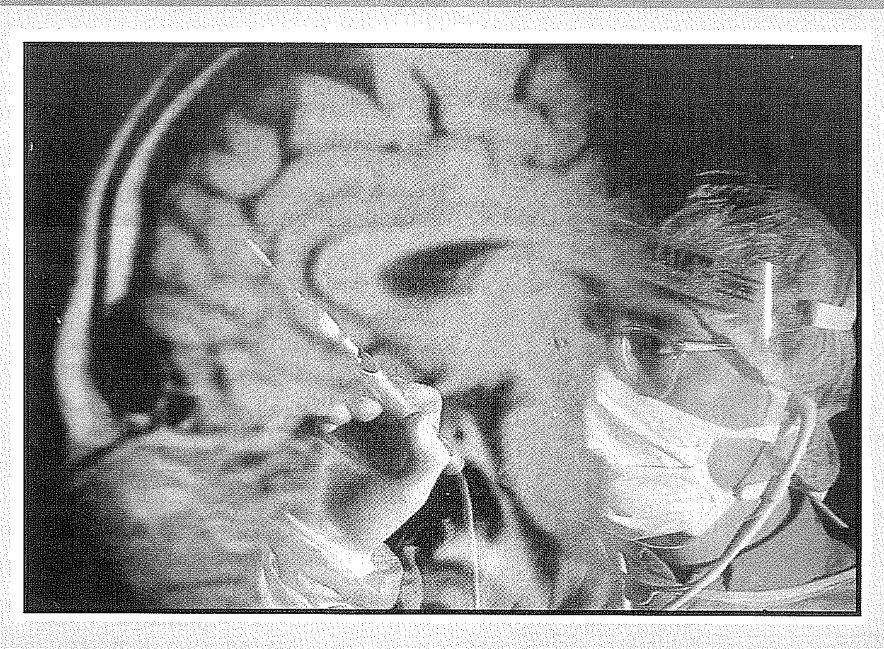
مبدأ التجربة والمشاهدة أهم مبدأ تمسك به العلماء المسلمون في منهجهم العلمي، ولم يستغن عنه أي عالم دارس للعلوم التطبيقية، كالطب، والفلك، والفيزياء، والكيمياء، والجغرافيا، والهندسة و..إلخ. ولم يكتف العلماء بما قرأوه عن أسلافهم ويسلموا لهم، بل أخذوا يضعون الأفكار والقراءات السابقة على محك التجربة والمشاهدة، فإن اتفقت الدراسة مع التجارب والمشاهدات، أخذوا بتلك الدراسة واعتمدوها، وإن تباينت الدراسة مع ما جربوه وشاهدوه، نبذوا تلك الدراسة، ولم يلقوا لها بالاً.

حتى إن أحدهم لم يكن يجرؤ على القول بنظرية ما إلا بعد أن يخضع نظريته وآراءه لميزان التجربة والمشاهدة، ليكون البحث والرأي كاملا، ولتكون النظرية دقيقة. والفكرة سليمة وصحيحة، وقد أدت هذه المعاينة الدقيقة لكل أمر من الأمور إلى ذلك النمو الهائل في العلوم الإسلامية، والتطور الزاهر الذي شهدته الحضارة الإسلامية، وإلى اعتماد الحضارات التي أتت بعد الحضارة الإسلامية على تلك المنهجية العلمية الفريدة، واعتبارها ركنا ركينا في التفكير العلمي السليم.

صور حية لذلك المبدأ

وسنتناول صورا حية في العلوم التطبيقية الإسلامية، لنرى من خلالها تطبيقات حية وعملية لمبدأ التجربة.

التجربة والمشاهدة



١) في مجال الطب:

اشتهر الأطباء المسلمون بأنهم أثبتوا دراستهم وخبراتهم بعد تجاربهم الحسية الملموسة التي شاهدوها وعاينوها بأنفسهم. ولم يسلموا لكبار الأطباء السابقين، وإن كانت شهرتهم قد أطبقت الآفاق. ومن هؤلاء الطبيب (موفد الدين عبد اللطيف البغدادي)، الذي وضع كتابا سماه (الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر). وفيه نرى مخالفته الصريحة لـ (جالينوس) الذي كان مثارا لإعجاب الطبيب العربي. يقول البغدادي: (إن (جالينوس) قد أطبق على أن – أي عظم الفك الأسفل – عظمين بمفصل واحد، وثيق عند الحنك. فقد باشر التشريح بنفسه، وجعله دأبه ونصب عينيه. والذي شاهدناه من هذا العضو أنه عظم واحد، ليس فيه مفصل ولا درز أصلا. واعتبرناه –فحصناه– ما شاء الله من المرات في أشخاص كثر، تزيد على ألفي جمجمة بأصناف من الاعتبارات، فلم نجده إلا عظما واحدا من كل وجه، ثم استعنا بجماعة متفرقة اعتبروه – فحصوه – بحضرتنا، فلم يزيدوا على ما شاهدناه منه وحكيناه).

ونرى شيخ الأطباء (أبا بكر الرازي) يبيّن الفرق الهائل بين العلم النظري المجرد، والعلَم التطبيقي المجرب. فيقول:(ينبغي للمعني بأمر الطب، أن يجمع بين رجلين: أحدهما فاضل في الفن العلمي في الطب، والآخر كثير الدربة والتجربة، ويصدر عن اجتماعهما في أكثر الأمور، فإن اختلفا فليعرض ما اختلفا فيه على كثير من أصحاب التجارب، فإن أجمعوا جميعا على مخالفة صاحب النظر قُبِل منهم، فإن الشكوك المغلطة تقع – على الأكثَر – في الفن العلمي النظري أكثر منه في التجربة، فإن لم يتهيأ له إلا أحد الرجلين فليختر المجرب، فإنه أكثر نفعا في صناعة الطب من العاري عن الخدمة والتجربة البتة).

٢) في الأعشاب والنباتات:

وكذلك سلك علماء النباتات والأعشاب سبيل من سبقهم من علماء الطب في الاعتماد على التجربة والمشاهدة في مناهجهم. وها هو شيخ العشابين (ابن البيطار)، يبيّن ذلك في مقدمة كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) فيقول:

(إني توخيت صحة النقل فيما أنقله عن الأقدمين، وأحرره عن المتأخرين. فما صح عندي بالمشاهدة والنظر، وثبت لدي بالخُبر لا بالخَبَر، ادخرته كنزا سريا، وعددت نفسي عن الاستغناء بغيري فيه – سوى الله – غنياً. وما كان مخالفا في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق، أو أن ناقله – أو قائله – عدل فيه عن سواء الطريق، نبذته ظهريا، وهجرته مليا، وقلت لناقله أو قائله: لقد جئت شيئا فريا، ولم أحاب في ذلك قديما لسبقه، ولا مُحدَثا اعتمد غيري على صدقه).

وقد أصبح كلام (ابن البيطار) هو المنهج المعتمد لدى علماء الغرب، لكنهم نسبوا إليهم هذا السبق، وادعوا أنهم أصحاب (المنهج التجريبي).

وكان (رشيد الدين الصوري) صاحب كتاب (الأدوية)، يدرس النباتات في منابتها ويستصحب معه إلى أماكنها مصوراً يحمل أصباغا مختلفة متنوعة، فإذا شاهد النباتات في منابتها حققها، واطلع المصور عليها، لينقلها بألوانها ومقادير ورقتها وأغصانها وأصولها، ويصورها بنسبها كما تبدو في الواقع. كما يروى عنه أنه كان يتتبع تطور النبات، ويريه للمصور في حالة نبته وطراوته، ثم في حال اكتماله وظهور بزره، ثم في حال أفوله ويبسه. ويعتبر عمل (الصوري) هذا أساسا في المنهج التجريبي المتبع في هذه الأيام.

٣) في علمي الفلك والحيل:

عندما درس العلماء المسلمون علم الفلك كانت هناك مقولات كثيرة، وآراء عديدة، منقولة عن علماء أقدمين كـ (بطليموس) و(أرسطاطليس)، وكانت تلك الآراء والمقولات مسيطرة على عقول الناس وأفكارهم، ومسلّم بصحتها وثبوتها.

لكن علماء المسلمين لم يأخذوا بتلك الآراء على أنها ثابتة وصحيحة، بل اعتمدوا على الحس والمشاهدة والتجربة في مطابقة الفكرة بالمشاهدة. فها هو (البيروني) يقول في مقدمة كتابه (الآثار الباقية من القرون الخالية):

(صدق قول القائل: ليس الخبر كالعيان، لأن العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده، ومكان حصوله).

وقد استطاع (البيروني) من خلال البحث والتجربة والمشاهدة من تقدير الثقل النوعي لكثير من العناصر، كما استطاع تحديد أبعاد الأرض والظواهر التي تبدو في أوقات الشفق، أو كسوف الشمس.. وغيرها.

وبرع في ذلك أولاد (موسى بن شاكر)، الذين نبغوا في علم الحيل (الميكانيك) وفي

الفلك، والفيزياء. ويظهر ذلك جليا عندما طلب منهم (الخليفة المأمون) أن يتحققوا من مقاس الكرة الأرضية، فسألوا عن الأراضي المنبسطة في أي البلاد تكون، قيل لهم في صحراء سنجار، فذهبوا إليها ووقفوا في موضع بها، وأخذوا ارتفاع القطب الشمالي بما تيسر لهم من آلات في ذلك العهد، وضربوا في هذا الموضع وتدا، وأوثقوا به حبلا طويلا، وساروا شمالا، وفعلوا به ما فعلوا في ذلك الموضع، ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا إلى موضع أخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور، فتبينوا أنه زاد على الارتفاع درجة واحدة، فمسحوا ذلك القدر الذي قدروه من الأرض بالحبال فبلغ (٣/٢ ٦٦ ميل)، فعرفوا أن كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الأرض ذلك المقدار، ثم عادوا إلى الموضع الذي ضربوا فيه الوتد الأول، وشدوا فيه حبلا، ومضوا جنوبا، وساروا في خط مستقيم، وفعلوا ما فعلوه في الشمال من نصب الأوتاد وشد الحبال، حتى نفدت الحبال التي استخدموها في الشمال، ثم أخذوا الارتفاع، فتبينوا أن القطب الجنوبي قد نقص عن ارتفاعه الأول درجة، فصح حسابهم، وحققوا ما قصدوه من ذلك.

ثم عادوا فأخبروا المأمون بما فعلوا، فطلب منهم أن يعيدوا التجربة في موضع آخر، وسيرهم إلى الكوفة، ففعلوا بها ما فعلوا في سنجار، واتفق الحسابان.. وهكذا أكد قياس العرب أن محيط الأرض ٤١٢٤٨ كيلومتراً.

٤) في الكيمياء والفيزياء:

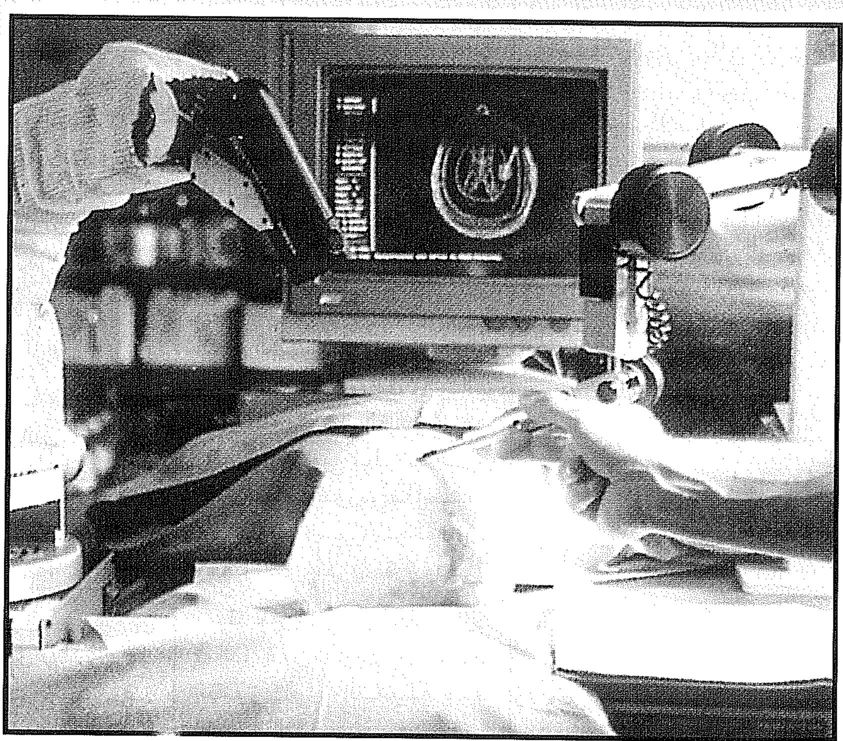
كان للمسلمين نصيب مهم في علم الكيمياء الذي كانوا يسمونه (علم الصنعة)، وشغلت فكرة تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة، فكرة العالم المسلم (خالد بن يزيد). لكن علم الكيمياء شهد تطورا ملحوظا عند (جابر بن حيان)، الذي يعتبر أشهر عالم عربي اشتغل بالكيمياء وبرع فيها، وهو الذي ترك أبحاثا غاية في الأهمية والدقة والعمق، وقد اعتمد في أبحاثه تلك على الحس والتجربة والمشاهدة. ولم يدون أبحاثه إلا بعد الاختبار والفحص والمعاينة، وقد أثبت ذلك المبدأ في كتابه (الخواص الكبير) حيث يقول:

(ويجب أن نعلم أنا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط، دون ما سمعناه، أو قيل لنا وقرأناه، بعد أن امتحناه وجربناه، فما صح عندنا أوردناه، وما بطل رفضناه، وما استخرجناه نحن أيضا، وقايسناه على أقوال هؤلاء القوم).

مبدأ التجربة والمشاهدة أهم مبدأ تمسك به العلماء المسلمون في منهجهم العلمي، ولم يستغن عنه أي عالم دارس للعلوم التطبيقية

أما في الفيزياء، فقد اهتم العلماء بأبحاث الصوت والضوء بصورة كبيرة، ويطلق على علم الضوء عندهم (علم البصريات)، أو (علم المناظر)، وأشهر العلماء المسلمين الذين أبدعوا في ذلك (ابن الهيثم البصري)، الذي نفى نظرية (إقليدس) و(بطليموس)، في أن الإبصار يعود إلى إشعاعات تخرج من العين إلى الشبح المرئي. وقال: إن الأشباح تدخل العين منقولة إليها من خلال الرطوبة الزجاجية. وأوضح لنا مبدأه في العمل، واعتماده على التجربة في كتابه (المناظر)، إذ يقول: (ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات ما يخص البصر في حال الإبصار، وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس، ثم نترقى من البحث والمقاييس على التدريج والتدريب، مع انتقاء المقدمات، والتحفظ من الغلط إلى النتائج. ونصل بالتدريج واللطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين. ونظهر مع النقد والتحفظ بالحقيقة، التي يزول معها الخلاف، وتنحسم به مواد الشبهات).

لقد كان ابن الهيثم أبا المنهج العلمي الحقيقي. لا (روجر بيكون). فلقد خالف من سبقه في نظرية الرؤيا، ولم يسلم بما كان سائدا في ذلك الوقت، بل شك وبحث ونقد، واستفاد ممن تقدمه، ولكنه أتم النقص، ونقض الخطأ، ثم ألف وأبدع وحدة مترابطة الأجزاء. وعلى منهج هؤلاء العلماء سار علماء الجغرافية والهندسة وغيرهم، متبعين مبدأ فريدا فرض وجوده على الحضارات اللاحقة، تبيّن فيه دقة المنهج الذي سار عليه المسلمون الأوائل، وسلامته من الزيغ والزلل والاضطراب □



تهدف الدورة إلى نشر العلوم الإسلامية والعربية بين أبناء المسلمين في ديار الغرب، وتعريف الغربيين بحقيقة الإسلام المستنبطة من كتاب الله، وسنّة رسوله ﷺ

فوز طالبين كويتيين بالدرجة الأولى والثانية في الدورة السادسة للعلوم الشرعية بألمانيا

عقد (المركز الدولي للعلوم الإسلامية) في ألمانيا دورته السادسة للعلوم الشرعية والعربية في الفترة ما بين السبت ٢١ رجب ١٤١٥هـ (٢٥/١٢/١٩٩٤م)، إلى الجمعة ٥ شعبان ١٤١٥هـ (٦/١/١٩٩٥م)، في دار السلام في BREUBERG-NEUSTADT.

وقد حضر في هذه الدورة خمسة عشر طالبا من عدد من الدول الأوروبية، كما شارك فيها ولأول مرة طالبان من ماليزيا، وطالبان من الكويت، بعد أن قررت إدارة المركز منح كرسيين دائمين لكل من طلاب الدولتين، في كل دورة من دوراتها.

متابعة:

د. صلاح الدين أرقه دان

وساهم في التدريس فيها كل من الأساتذة الأفاضل:

– الأستاذ الشيخ علي الشربجي من الهيئة الاستشارية لتطبيق الشريعة الإسلامية في الكويت.

– الأستاذ الدكتور محمود الطحان من جامعة الكويت.

– الأستاذ الدكتور محمد حسن هيتو من جامعة الكويت.

– الأستاذ الشيخ أسعد سعود الزريج من وزارة الأوقاف الكويتية.

وقد دُرِّست في هذه الدورة كتب كاملة في كل من العلوم الآتية: التوحيد والفقه ومصطلح الحديث والنحو والتجويد. وقد حضر جميع الطلاب في الموعد المحدد قبل افتتاح الدورة حسب الشروط الموضحة في الإعلان عنها، ولم يتخلف أحد منهم.

وفي تمام الساعة الثامنة من صباح يوم السبت ٢٤/١٢/١٩٩٤م، افتتحت الدورة بكلمة من الدكتور محمد حسن هيتو مدير المركز الدولي، رحب فيها بالأساتذة الزائرين للتدريس، والطلاب المشاركين للدراسة، والإخوة المساهمين في أعمال الدورة من أعضاء المركز، وذكر نبذة عن المركز الدولي وأهدافه العلمية التي يرمي إليها، كما بيّن الأهداف المنشودة من هذه الدورة، والدورات السابقة واللاحقة، وأن المركز لا يهدف من خلال أعماله إلى إقامة تجمع سياسي جديد، وإنما يريد نشر العلوم الإسلامية والعربية بين أبناء المسلمين في ديار الغرب، كما يريد تعريف الغربيين بحقيقة الإسلام، والمستنبطة من كتاب الله، وسنّة رسول الله ﷺ، بناء على القوانين العلمية الثابتة، لا على الجهل والشهوة والهوى، كما يخيل لمن بعد عن علوم الشريعة وقوانينها.

ثم قرأ لائحة النظام الداخلي، والآداب العامة التي يجب على الطلاب مراعاتها والتزامها.

وفي تمام الساعة التاسعة، وزعت الكتب على الطلاب المشاركين، وبدأت الدراسة، وكانت مكثفة للغاية حيث تلقى الطالب كل يوم ساعتين لكل مادة، فكان مجموع ما تلقاه الطالب في كل مادة حوالي خمس وعشرين ساعة، وهي تعادل دراسة فصل كامل في الجامعات العالمية. وقد اشتملت الدورة إلى جانب الدراسة على برنامج تربوي تجلى في اختلاط الطلاب بأساتذتهم صباح مساء، وصيام يومي الاثنين والخميس، والإفطار الجماعي، وقيام الليل الذي كان يبدأ كل ليلة قبل الفجر بساعة وعشر دقائق، وأذكار الصباح والمساء التي كانت تحيل الجو إلى جو إيماني عملي، تتجلى فيه آثار التربية العملية إلى جانب التعليم النظري.

وفي نهاية الدورة أُجري امتحان تحريري للطلاب، كانت نتيجته جيدة للغاية، تدل على الفرق الشاسع بين الطالب الذي يدرس لنيل الشهادة، والطالب الذي جاء راغباً في العلم والمعرفة، فقد نجح جميع الطلاب الذين شاركوا في الدورة، عدا طالبا واحدا، قد رسب في معظم المواد، وطالبا آخر رسب في مقرر واحد.

وقد حاز الطالبان اللذان شاركا في الدورة من الكويت على درجات التفوق الأولى والثانية، وأما الدرجة الثالثة، فقد حاز عليها طالب من ألمانيا، كما حاز طالب من الدانمارك على الدرجة الرابعة.

وقد اختتمت الدورة في تمام الساعة الثامنة من مساء يوم الخميس ٥/١/١٩٩٥م، بحفل متواضع ابتدأ بكلمة من الأساتذة المشاركين في الدورة، ثم أعلنت النتائج، ووزعت الهدايا على الطلاب المتفوقين، وودع فيها الأساتذة طلابهم، والطلاب أساتذتهم، كما ودع بعضهم بعضا، في جو إيماني تغمره السعادة والسرور، وتتجلى فيه كل معاني الود والاخاء، عبرت فيه الدموع عما في قلب كل واحد من الحاضرين عن الكلام.

كما أعلن المركز عن الدورة القادمة التي ستكون في الفترة من ٢٣/١٢/١٩٩٥م إلى ٧/١/١٩٩٦م إن شاء الله.

عنوان المركز لمن يرغب في المشاركة والمساهمة :

INTERNATIONAL ZENTRUM
FUR ISLAMISCHE
WISSENSCHAFTEN e.v.

PROVLANTBACHSTR30,
D-86153 AUGSBURG,
GERMANY,
TEL/FAX:0821/559828

وكان للوعي الإسلامي اللقاء التالي مع الأخوين الفائزين

بالمرتبة الأولى والثانية في الدورة المذكورة وانطباعاتهما عنها وتنمياتهما.

قال الطالب بكلية الشريعة بجامعة الكويت، سنة رابعة، الفائز بالرتبة الأولى/ خالد عبد الله محمد المطيري: كانت لي رغبة بالمشاركة منذ أكثر من سنة، ولم أتمكن من تحقيقها سابقا حتى كتب لي الله ذلك في هذا العام بدعوة من الدكتور/ حسن هيتو، وتزكية من أستاذي الفاضل الشيخ/ حمد سنان..

وأعرب عن رغبته المستقبلية في تحضير الماجستير بالفقه والأصول.. أما عن الانطباع الذي تركته زيارة ألمانيا، فقال: أنا أعرف أن في الدول الأوروبية عدد كبير من المسلمين، والجهد الذي يقوم به الدكتور/ هيتو جهد يشكر عليه، ومشاركتنا في هذه الدورة نوع من أنواع التشجيع وإنجاح هذا النشاط السلامي العلمي الطيب، وتقوية روابط الأخوة بين المسلمين في أوروبا وبين أهل الكويت، وللمشاركة هدف آخر يتمثل في زيادة التعلم والتلقي، فليس في العلم صغير أو كبير، وهذه أهم الإهداف التي شجعتنا على المشاركة.. وفي إجابته على سؤالنا عن نشاطات أخرى قام بها خلال الزيارة قال: كانت الزيارة مقصورة على الدورة نفسها، على المركز الإسلامي، ولم نملك وقتا كافيا، **فقد كانت الدراسة من الفجر إلى المغرب، وامتحاناتنا في (كلية الشريعة بالكويت) عقب الدورة مباشرة. مع أن الأخوة في الدانمرك وبعض أنحاء ألمانيا قد وجّهوا لنا الدعوة لزيارتهم، وقد وعدناهم بذلك في المستقبل إن شاء الله.. وأتمنى لهذه الدورة أن تنمو وتزيد أعداد المشاركين فيها وأن تتعدد المستويات لتعميم الفائدة على أكبر عدد ممكن من** الشباب المسلم المقيم في أوروبا..



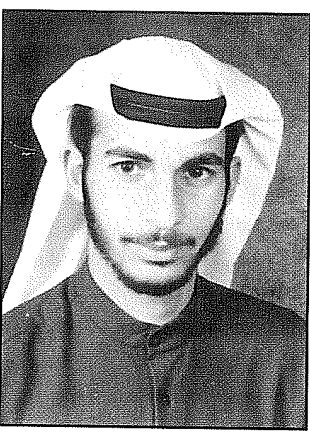
الفائز الأول/ خالد عبد الله محمد المطيري

وعمّا استفاده شخصيا قال: لم تكن العلاقة مع المشايخ والأساتذة المشرفين على الدورة علاقة محصورة في زاوية التلقي والتعليم، ولكننا شعرنا بالأخوّة والعطاء الذي لا يعرف الحدود وبالاهتمام الشخصي بطالب العلم، مما يعود بنا إلى الأهداف الأساسية للعملية التربوية الإسلامية..

ليس للعلم حدٌّ يقف عنده

لقاؤنا الثاني كان مع الفائز بالدرجة الثانية الطالب بكلية الشريعة، السنة الثالثة، علي إبراهيم الراشد، فقال عن سبب اختياره طريق الدراسات الشرعية: رغبتي منذ الصغر بتلقي العلم الشرعي للتفقه في الدين، والسهر على خدمة الإسلام إن شاء الله، دفعتني للإلتحاق بكلية الشريعة أنهل من العلم والمعرفة الإسلامية..

وعن قصة مشاركته بالدورة قال: تأثرت باطلاعي على كتب الفقهاء وسيرهم في تلقي العلم والسفر في هذا السبيل، مما جعلني أسعى لتطبيق ما عرفته على نفسي، وتقدمت بطلب الالتحاق بالدورة نفيذا لهذه الرغبة في التحصيل والاقتداء، والحمد لله تم قبول طلبي، ومشاركتي، وكتب الله لي شرف النجاح فيها..



الفائز الثاني/ علي إبراهيم الراشد

أما رغبته المستقبلية فقد لخصها بقوله: ليس للعلم حد يقف عنده، وأمنيتي متابعة الدراسة كما قال الإمام أحمد بن حنبل (من المحبرة إلى المقبرة).. ورغبتي تتركز في التخصص بأصول الفقه إن شاء الله، فهذه المادة أصبحت من نوادر التخصصات ولها أهمية خاصّة في فهم القواعد الفقهية وتطبيقاتها..

وسألناه عن انطباعات زيارته لألمانيا فقال مبتسما: بصراحة.. كنا لا نسمع إلا عن ألمانيا الفساد، ولكنني عندما زرتها مؤخرا عشت في الجو الإسلامي داخلها، ولمست مدى تمسك ومرابطة الجالية هناك، ولقد أحسست بعمق وإخلاص أن المستقبل لهذا الدين إن شاء الله، وربما يعجز أحدنا أحيانا عن التعبير عن مشاعره وهو يعيش مع إخوة له من جميع أنحاء أوروبا في جو إسلامي طيب، تحت ظلال تلقي العلم في قلب أوروبا وفي قلب ألمانيا بالذات.. وعن مشاركته في نشاطات خارج الدورة أجاب: كانت الدراسة مكثفة، ووقتها قصير نسبيا، فلم نتمكن من تنفيذ أي برامج أخرى خارج نطاقها، ولكننا التقينا بإخوة يقيمون في أنحاء متفرقة من أوروبا، ويقومون على مراكز إسلامية دعوية، تبادلنا وإياهم الآراء والأفكار وعاهدناهم على زيارة متفرغة في أقرب فرصة إن شاء الله، وفي نيتي زيارة كل من الدانمرك وهولندا بالإضافة إلى ألمانيا نفسها، ففي الدانمرك مدرسة إسلامية ونشاطات ثقافية متعددة، وزيارة الجاليات المسلمة في الغرب عنصر مهم من عناصر المعرفة والاعتبار والتواصل الأخوي..

وأقترح تمديد مدة الدورة إلى شهر واحد بدل الأسبوعين، وحبذا لو قامت وزارة الأوقاف والشوون الإسلامية في الكويت بدعم هذه الدورة العلمية وأمثالها، لاسيما في أوروبا، لما في مثل هذه الأعمال التعليمية والتثقيفية من فوائد كثيرة..

الحمد لله، لقد ثبتنا من خلال هذه المشاركة المعلومات الأساسية لتي يحتاجها طالب العلم الشرعي، وتمثل له قاعدة أساسية لينطلق إلى العلوم الأخرى، أما بالنسبة للناحية الروحية، فمن خلال العيش الأخوي، يشعر أحدنا بوجود الإسلام وبسموه الروحي خاصة عندما يناجي ربه مع إخوانه ويصوم متطوعا ويفطر معهم، فكل هذه المعاني الروحية يشعر الإنسان بها بقربه من الله تعالى.. وفي الختام أدعوه تعالى أ يجزي خيرا كل من علمني ورفع من مستواي العلمي ورسّخ في نفسي المعنى الإسلامية، وهم أصحاب فضل لا ينسى.

تحقق العلاقة الروحية بين طالب العلم وأستاذه الأهداف الأساسية للعملية التربوية

ابن جُزي الكلبي المفسّر الشهيد

بقلم: محمد ياسر القضماني

هل هناك عمل في الوجود أشرف من أن يعمل المرء في خدمة كتاب الله عز وجل، ويقف نفسه على تعليمه؟! وصدق نبينا ﷺ القائل: «خيركم من تعلّم القرآن وعلمه». ومن هناك كان لعلوم القرآن شرف ومزية، ترفعها على سائر العلوم، وعلوم السنّة، مما يلتحق بعلوم القرآن في الفضل والشرف. فلا غرو أن الكتاب والسنّة، هما المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وقد قيَّض الله تبارك وتعالى رجالا نذروا أنفسهم وطاقاتهم في كل عصر، لخدمة كتاب الله، ومن هؤلاء الامام ابن جزي الغرناطي الأندلسي، كان ممن يشار له بالبنان، وله تفسير مستقل متميز سماه: (التسهيل لعلوم التنزيل)، وقد طُبع في أربعة أجزاء، في مجلد ضخم، فلنأخذ لمحة عن تفسير هذا الإمام:

مقدمات التسهيل لعلوم التنزيل

قدم الإمام في بداية تفسيره مقدمتين، الأولى في أصول التفسير وقواعده، وما يتعلق به من علوم القرآن، وقد جعلها في اثني عشر بابا.

والمقدمة الثانية: وهي مقدمة لغوية خاصة بالألفاظ التي يكثر دورانها في القرآن الكريم، وهي بمنزلة معجم مصغر لألفاظ القرآن.

ومما قاله في خطبة الكتاب: (... وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكا نافعا، إذ جعلته وجيزا، جامعا، قصدت به أربعة مقاصد، تتضمن أربع فوائد.

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم، تسهيلا على الطالبين، وتقريبا على الراغبين. فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها، وفضولها. ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن اللباب دون القشر المرغوب عنه من غير إفراط ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، قلما توجد في كتاب، لأنها من بنات صدري، وينابيع فكري، أو مما أخذته عن شيوخي - رضي الله عنهم - أو مما التقطته من مستظرفات النوادر الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إما بحل العقد المقفلات، وإما بحسن العبارة، ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح، وذلك أن أقوال الناس على مراتب فمنها:

الصحيح الذي يعول عليه. ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه. ومنها ما يحتمل الصحة والفساد..

ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيراً) إ.هـ.

ولقد حقق جلّ ما وعد به من خلال جهده الواضح في تفسيره، ومن علائم جهده في تفسيره:

١) تتبع أقوال المفسرين، ومحاولة تلخيصها بعد استقصائها قدر الإمكان، مثلا يقول في قوله تعالى: ﴿وشاهد ومشهود﴾ [البروج:٣]:

وقد اضطرب الناس في تفسير الشاهد والمشهود اضطرابا عظيما، ويتلخص من أقوالهم في (الشاهد) ستة عشر قولا، يقابلها في (المشهود) اثنان وثلاثون قولاً. وذكرها.

ويذكر في تفسير ﴿ناشئة الليل﴾ [المزمل:٦] سبعة أقوال. وفي تفسير ﴿الكوثر﴾ [الكوثر:١] سبعة أقوال. وفي تفسير ﴿غاسق إذا وقب﴾ [الفلق:٣] ثمانية أقوال.

٢) يبذل جهدا واضحا في محاولة الترجيح بين الأقوال، وعلى سبيل المثال: رجح أن الكوثر المراد به الحوض، بسبب الحديث الصحيح الوارد، ورجح أن الغاسق إذا وقب، هو الليل إذا أظلم، بسبب ورود ذلك المعنى بذلك اللفظ في موضع آخر من القرآن ﴿إلى غسق الليل﴾ [الإسراء:٧٨].

٣) بذل الجهد في رد بعض الأقوال وبيان بطلانها فمثلا:

عند قوله تعالى: ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾ [مريم:١٨]. يقول ابن جزي: (لمّا رأت الملك الذي تمثل لها في صورة البشر، قد دخل عليها، فخافت أن يكون من بني آدم، فقالت له هذا الكلام، ومعناه إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني، فإني أعوذ بالله منك. وقيل: إن (تقيا) اسم رجل معروف بالشر عندهم، وهذا ضعيف وبعيد).

٤) وقد اهتم الشيخ بذكر النكات واللطائف التفسيرية من مثل قوله في آخر سورة (المؤمنون) عند قوله تعالى: ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ [الاية:١١٧] قبل الأخيرة، فيقول ابن جزي: وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين، ليبيّن البون بين الفريقين، والله أعلم.

ويقول عند قوله تعالى عن الأنعام: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾ [النحل:٦]: (الجمال حسن المظهر، وحين تريحون يعني حين تردونها بالعشي إلى المنازل، وحين تسرحون حين تردونها بالغداة إلى الرعي، وإنما قدم تريحون على تسرحون لأن جمال الأنعام بالعشي أكثر، لأنها ترجع وبطونها ملأى، وضروعها حافلة).

ولابن جزي رحمه الله في تفسيره، إسهابات وإطالات في بعض المواضع، يعزُّ نظيرها، فاستمع إليه وهو يحدث عن التقوى عند قوله تعالى في أول سورة البقرة ﴿هدى للمتقين﴾ يقول: فنتكلم عن التقوى في ثلاثة فصول:

الأول في فضائلها المتستنبطة من القرآن، وهي خمسة عشرة:

١ - الهدى لقوله: ﴿هدى للمتقين﴾

[البقرة:٢].

٢ – والنصرة لقوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ [النحل:١٢٨].

٣ – والولاية لقوله: ﴿والله ولي المتقين﴾ [الجاثية:١٩].

٤ – والمحبة لقوله: ﴿إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة:٧].

٥ – والمغفرة لقوله: ﴿إن تتقوا يجعل لكم فرقانا﴾ [الأنفال:٢٩].

٦ و٧ – والمخرج من الغم، والرزق من حيث لا يحتسب لقوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ [الطلاق:٢].

٨ – وتيسير الأمور لقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ [الطلاق:٤١].

٩ و١٠ – وغفران الذنوب وإعظام الأجور لقوله: ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا﴾ [الطلاق:٥].

١١ – وتقبل الأعمال لقوله: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة:٢٧].

١٢– والفلاح لقوله: ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران:١٣٠].

١٣ – والبشرى لقوله: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [يونس:٦].

١٤ – ودخول الجنة لقوله: ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ [القلم:٣٤].

١٥ – والنجاة من النار لقوله ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم:٧٢]) إ.هـ.

ثم يذكر في الفصل الثاني أن البواعث على التقوى عشرة. والفصل الثالث يذكر أن درجات التقوى خمس. وهذا قد لا يوجد في تفسير من التفاسير.

أثر ابن جزيّ في المفسرين

وقد تأثر من المفسرين بتفسير ابن جزي الشيخ الجمل في كتابه (الفتوحات الإلهية على تفسير الجلالين). وممن تأثر به من المعاصرين الشيخ محمد علي الصابوني في كتابه (صفوة التفاسير)، فينقل من ابن جزي في مواضع.

أقول: كيف لا نهتم بابن جزي وله باع طويل في علوم القرآن، وبخاصة علم التفسير، وكتابه يردُّ فيه على كبار مثل الإمام الطبري وابن عطية. وقد انتفع به انتفاعا عظيما لأنه أندلسي مثله، ورد وناقش الزمخشري مع أنه أيضا انتفع من كتاب (الكشاف) انتفاعا عظيما، وجرى على طريقته في الفنقلة أي: (إذا قلت: لمَ قال كذا؟ أقول:...). وكذلك ناقش الإمام السهيلي.

ترجمة ابن جزي

وبعد ، نأتي الآن لنلقي بعض الضوء على ترجمة الإمام ابن جزي، الذي يعتبر مغمورا، وكثير من طلبة العلم لا يعرفون تفسيره، وكثير منهم يعرف كتابه المشهور بـ(القوانين الفقهية)، ولا يعرف لابن جزي غيره.

فهو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي، وكنيته أبو القاسم. ويبدو أن (جزي) اسم أحد أجداده، والتسمية بجزي معروفة عند العرب على وزن (سُمي).

وابن جزي ينحدر من قبيلة كلب اليمانية، الذي منها دحية الكبلي، وزيد بن حارثة. والكلبيون دخلوا الأندلس، إما فاتحين قوادا، أو جنودا مجاهدين ومن هؤلاء سلف ابن جزي.

ومن أعلام أسرة المترجم: أبو أحمد بن جزي الكلبي المالكي المتوفى سنة ٦٢٠هـ تقريبا، وهو فقيه زاهد ورع، مفسر له: (تفسير القرآن العزيز).

وأما جد ابن جزي فهو فقيه له صلة بالوزارة، اسمه محمد، وكنيته أبوالقاسم، كصاحب الترجمة. وأما والده فقد كان من أهل الأصالة والذكاء، توفي سنة ٧١٠هـ. وأما أبناء المترجم، فهم: القاضي أحمد، ويكنى أبا بكر (ت ٧٨٥هـ)، والكاتب محمد، ويكنى أبا عبد الله (ت ٧٥٧هـ)، والقاضي عبد الله، ويكنى أبا محمد، توفي أبوه وهو في السابعة عشرة من عمره، وعهد الإمام في مدة ملك بني الأحمر، حيث ولد في عهد ثاني ملوك بني الأحمر، وتوفي في عهد سابع الملوك من بني الأحمر، وهو أبو الحجاج يوسف.

يعتبر ابن جزي مغموراً بالرغم من طول باعه في العلم، وبعضهم لا يعرف له سوى (القوانين الفقهية)

له شيوخ كثر، من أشهرهم ثلاثة عشر شيخا، أشهرهم أبو جعفر بن الزبير، أخذ عنهم أكثر العلوم والفنون، وله تلامذة كثر، من أشهرهم لسان الدين ابن الخطيب (٧١٣ – ٧٧٦هـ)، ترجم لشيخه ابن جزي في كتابه (الإحاطة). ومما وصفه به قوله: (كان رحمه الله، على طريقة مُثلى من العكوف على العلم، والاقتصار على الاقتيات من حرّ النشب، والاشتغال بالنظر، والتقييد والتدوين، فقيها حافظا قائما على التدريس، مشاركا في فنون من العربية، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حُفظة للتفسير، مستوعبا للأقوال، جمّاعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن).

وممن مدح أسرة ابن جزي المقّري، حيث قال في نفح الطيب (١٠/١٤٢): وبيت بني جزي، بيت كبير، مشهور بالمغرب والأندلس.

ويقول النباهي في: تاريخ قضاة الأندلس (ط ١٩٤٨م، ص ٧٧) في ابن جزي وبيته: (.. ذو البيت الأصيل، والمجد الرفيع الأثيل).

وقد تقلد ابن جزي – رحمه الله – وظائف كثيرة، أشهرها: الإمامة والخطابة للجامع الأعظم بغرناطة بلده، وكان يدرس القرآن الكريم، وقراءاته، وكان مفتيا عظيما يشار له، وكان مع هذا يؤلف ويجاهد، تنزه عن تولي القضاء تورعا.

آثار ابن جزي وكتبه

ومن كتبه: (تقريب الوصول إلى علم الأصول) [مخطوط]، و(الصلاة)، و(النور المبين في قواعد عقاد الدين)، و(الضروري من علم الدين)، و(الفوائد العامة في لحن العامة)، و(فهرسة ابن جزي)، و(المختصر البارع في قراءة نافع)، و(أصول القراء الستة غير نافع)، و(وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم)، و(الأنوار السنية في الألفاظ السنية) [مخطوط] و(الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار).. وأشهر كتبه: (القوانين الفقهية) و(التسهيل لعلوم التنزيل).

ولد ابن جزي – رحمه الله – في غرناطة في يوم الخميس ٩ من ربيع الآخر عام ٦٩٣هـ، الموافق ١٢٩٤م، واستشهد ضحوة يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى عام ٧٤١، الموافق ٣٠/١٠/١٣٤٠هـ، في معركة طريف□

الفكر الديني عند زكي نجيب محمود

تأليف: د. منى أحمد أبو زيد
عرض: علي القاضي

العالم الإسلامي يعاني من أن أعدادا كبيرة من مفكريه وأساتذته قد درسوا الثقافة الغربية دون أن يكون عندهم خلفية ثقافية عن الثقافة الإسلامية فبهروا بها ودعوا إلى اتباع منهجها بكل مافيه، وساعد على ذلك الاتجاه تقدم الغرب في الماديات التي غزت العالم كله.

وفي بداية حياتي قرأت كثيرا للدكتور زكي نجيب محمود وكنت أعجب لاتجاهه الغربي غير مقتنع بالكثير مما يقوله، ثم تركت قراءة كل ما كتبه. وأخيرا قرأت هذا الكتاب الذي أعطاني إضافة طيبة جعلتني أحمد الله تعالى على أن المفكر الكبير زكي نجيب محمود قد قرأ كتب الثقافة الإسلامية وتأثر بها ودعا إليها، كما دعا إلى ترك الكثير من الثقافة الغربية، وكان لانتدابه في جامعة الكويت الفضل الأول في تغيير اتجاهه، لأن مكتبتها مملوءة بالكتب الثقافية الإسلامية، وكان عنده وقت فراغ مكّنه من القراءة والتدبر وتغيير الاتجاه.

تقول المؤلفة الفاضلة: (إن المشهور عن الدكتور زكي مرحلته العلمية التي أخذ فيهابالعلم فقط وبالوضعية المنطقية، أما مرحلة الأصالة والمعاصرة فما تزال غائبة عن أذهان بعض الناس، على الرغم من أن مفكرنا قد استفاد من مرحلته العلمية في تطبيق أركان المنهج التحليلي القائم على دراسة موضوع التراث والمعاصرة، الذي كان أحد عناصره الفكر الديني والتبلور الحقيقي للفكر الديني عند مفكرنا وادراجه ضمن مشروعه الحضاري الذي لم يظهر بشكل واضح إلا من خلال كتاباته الأخيرة وكان على رأس هذه الأفكار مفهومه عن الحضارة الذي تغير وضم في داخله (في مرحلة حياته الفكرية الأخيرة) جانب الفكر الديني).

وقد اعترف الدكتور زكي بهذا التغيير، وبرر هذا التغيير بأنه كان دائما صادقا مع نفسه فما يراه صوابا في وقته ولا يتردد في البوح به.

ثلاث مراحل

وقد مر الدكتور زكي بثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة الشباب: وهي المرحلة التي أخذ في أكثرها بأفكار نقلها عن آراء الآخرين وكان يهدف إلى التقدم - ثم أخذ يدعو إلى العلم والحضارة الغربية وحدها عندما رأى أنها هي الأمل المنشود.. ثم تراجع عن هذا الرأي وأضاف إلى جانب العلم جانب الأصالة وكان الفكر الديني أحد هذه المجالات.

وهذه المرحلة بدأت في العشرينات واستمرت حتى الثلاثينات من هذا القرن وتقول عنها المؤلفة الفاضلة (هي فترة كان الكاتب فيها مستمعا لما يقوله الآخرون أكثر منه ناطقا بما عنده) وقد ضم إلى فكرة التقدم فكرة التطور ومحاولة النهوض بالشعب المصري ثم الأمة العربية بحيث تصل إلى مصاف الدول الغربية.

وكانت أطروحة الدكتوراه في الأربعينات عن الجبر الذاتي في أثناء بعثته إلى إنجلترا وكان أساس الدراسة عنده الميتافيزيقية ثم أصبح من أكبر أعدائها لأنها لا تقدم مدلولا ولأنها فارغة من المعنى. وكان مفهومه الجديد عن النهضة ليس إعادة تراث الآباء والأجداد، وإنما اتخاذ نفس عناصر الغرب والتوجه الكامل نحو الغرب للأخذ بالحضارة والتقدم. والقوة.

الثانية: مرحلة الوضعية المنطقية:

وقد بدأت هذه الفترة من سنة ١٩٥٠م إلى سنة ١٩٧٠م وفي هذه الفترة أعلن عداءه الصريح للميتافيزيقية، ويعتبر هذا تحولا عنيفا في أسلوبه. والسبب الحقيقي وراء هذا التغيير ما شاهده في الغرب من تقدم علمي وتفوق في واقع الحياة المعاشة ورأى أن ما جعل الغرب يتقدم هو التزامه بالمناهج التجريبية والانصراف إلى علوم الطبيعة - وماجعل الشرق يتأخر هو الاقتصار على حضارة الكلمة فقط، وأن ما تقدم به الغرب يمكن أن يتقدم به الشرق، وكان لا يجد بديلا لصورة الحياة الغربية لأنها حضارة القوة والعلم والإبداع وتحقيق السيادة، وكان يسعى في هذه المرحلة إلى تحقيق هدفين:

الأول: الأخذ بثقافة العصر.

والثاني: أن تكون التجربة العلمية

ضابطا للفكر في مجالاته العلمية المتعددة وكان منهج الدكتور زكي هو المنهج التجريبي الذي تبنته الفلسفة الوضعية والتجربة العلمية والحضارة كما يراها هي الاحتكام إلى العقل في قبول ما يفعله الناس وفي رفض ما يرفضونه.

وصورة الحضارة العصرية (في رأيه) هي نموذج القياس للحياة العصرية في أوروبا وأمريكا وأهم ما يميز الحياة في الغرب سرعة التغيير وسرعة قبول الجديد.

وتتلخص آراؤه في هذه المرحلة فيما يلي:

١ – رفض موضوعات الميتافيزيا ونشر كتابه «خرافة الميتافيزيقا» والمقصود بها ما وراء الطبيعة.

٢ – الاعتماد على المنهج التجريبي ودعا إلى العلم ومنهاجه للتأكد من حقيقة كل ما نقوله.

٣ – مهمة الفلسفة والفيلسوف: وقد حصرها في توضيح الأفكار توضيحا منطقيا وفي تحليل عبارات العلم تحليلا يستخرج ما تنطوي عليه من مبادىء.

الثالثة: مرحلة الأصالة والمعاصرة:

في هذه المرحلة أخذ يغير من تصوره فأصبحت الحضارة علما وثقافة ومعاصرة وأصالة وجديدا وأخذا بالصالح من القديم

وقال: إن الشعوب العربية إذا أرادت أن تكرر نفس الحضارة السابقة فعليها أن تهتم بالعلم والثقافة – بالعقل والوجدان، واستمرت هذه المرحلة في الستينات وتبلورت في السبعينات ويرجع ذلك إلى نوعية الثقافة التي تزود بها في أوائل حياته وإلى الدراسة التي أخذ بها فقد كان قارئا منذ بداية حياته للفكر الغربي.

ثم إن تطور حركة القومية العربية غيّر من رؤية الدكتور زكي فبعد أن كان يدعو إلى نبذ التراث نبذا تاما ويدعو إلى العيش في العصر علما وحضارة ظانا أن الحضارة وحدة

كان لانتداب د. زكي في جامعة الكويت الفضل الأول في تغيير اتجاهه، وذلك باطلاعه على مكتبتها المملوءة بالكتب الثقافية الإسلامية وتدبّره في محتواه

لاتتجزأ فإما أن نرفضها كلية وإما أن نتقبلها كلية، وهنا حاول أن يخرج من الثقافة العربية عوامل القوة التي ساعدت العربي المسلم قديما على التحضر.

العمل في الكويت أنار له الطريق

وإلى جانب ذلك ذهاب الدكتور زكي في فترة السبعينات إلى العمل بجامعة الكويت فقد تعرف على الذات الإسلامية معرفة تفصيلية فتغير موقفه ولمح في جوانب الثقافة الإسلامية بعض الجوانب المضيئة، وحل هذه المشكلة يكون بالتوفيق بين الأصالة والمعاصرة والعناصر التي اختارها هي:

١) الأصالة: وتعني الجوانب الثقافية التي نبتت أساسا في تربة الوطن ويحدد عناصرها في: الدين والفن والأدب والقيم الأخلاقية التي يكون مصدرها الدين.

٢) المعاصرة: الأصالة تدور على الوجدان، والمعاصرة تدور على الفعل، وأول ينابيع الثقافة وأهمها: الدين.

والمعاصرة لا ارتباط لها بالدين ولا يكفي أن نستوردها، بل لا بد وأن نضيف المشاركة الفعلية في صنعها.

وقال: إن الماضي تتكون منه الشخصية الفريدة التي تتميز بها أمة من الأمم، ومن الحاضر نستمد عناصر البقاء والدوام في معترك الدول.

فالأمة العربية بما ورثته عن الأسلاف من عوامل أهمها العقيدة ومواضع العرف والتقاليد ولابد من جمع بعض عناصر التراث إلى جانب بعض عناصر المعاصرة لتحقيق المركّب الصحيح منهما – وهذا المركّب الواحد هو الصورة الملائمة لصنع الحضارة وتحقيق التقدم المرجو.

٣) الجمع بين الأصالة والمعاصرة:

كان الدكتور زكي في بداية الأمر يرفض التراث كله ويقول: (هذا التراث كله بالنسبة إلى عصرنا قد فقد مكانته لأنه يدور أساسا على محور العلاقة بين الإنسان وبين الله – على حين ما نلمسه اليوم هو محور تدور عليه العلاقة بين الإنسان والإنسان).

ثم أخذ يتراجع عن هذا الموقف في كتابه «تجديد الفكر العربي» إلى أن عدل تماما عن موقفه من التراث وأخذ يجد في التراث الغذاء الروحي لحياتنا المعاصرة فهو بالنسبة لنا كالجذر بالنسبة إلى الشجرة ثم قال «إذا استطاع حاضرنا أن يبتلع ماضينا ابتلاعا ينقل ذلك الماضي من حالة كونه تحفة يتفرج عليها وعبارات نرددها إلى حالة كونه غذاء للدماء في شرايينها».

جوانب الاستفادة من التراث:

ويرى أن نأخذ من التراث ما نستطيع تطبيقه اليوم تطبيقا عمليا يضاف إلى الطرائق الجديدة المستخدمة واستفادة الدكتور زكي من التراث تتمثل في:

الجانب الأول: يمثل الاتجاه العقلي.

الجانب الثاني: ويمثل الاتجاه اللا عقلي.

الجانب الثالث: ويمثل تجنب عوامل الضعف ويتلخص في:

احتكار الحاكم لحرية الرأي وسلطان الماضي على الحاضر وتعطيل القوانين الطبعية والأخذ بعوامل القوة ويتلخص في: ان نأخذ من التراث ما يعطينا الزاد على المواصلة ومن العلم نظرياته الحديثة إلى جانب الوقفة النقدية لكل ما هو موروث وماهو مستجد وبذلك يتحول الدين إلى كونه

الفكر الديني عند زكي نجيب محمود

أحد عوامل القوة التي نستفيدها من تراثنا ويتحول إلى باعث على العمل.

الدين أهم عناصر الحضارة

ويرى الدكتور زكي في أيامه الأخيرة أن الذي يميز الإنسان هو إدراك الربوبية في الكون وما وراءه حتى كان الإنسان وحده هو الذي يعبد الله، وهو الوحيد الذي يجمع بين وحي إلهي يهدي، وعلى الأرض سعي يهتدي، والدين أهم المقومات الحضارية ولكل دين رؤيته الخاصة، وأهم الخصائص التي تميز الشخصية المصرية والعربية أن الشعوب قد تدينت منذ فجر التاريخ فكانت هذه المنطقة مهبط الوحي لكل ما عرفه الإنسان من ديانات نزل وحيها من السماء علي نبي أو رسول، وذلك لأن هذه المنطقة كانت معمورة بالبدايات الأولى لقيام الحضارات وبها وديان خصبة أخضرت بزرعها وعمرت بأهلها.

الدين والفكر الديني: الدين هو الوحي الإلهي بنصوصه المحفوظة، والفكر الديني فكر إنساني عقلي قام على هذا الدين.

ما الدين؟

سؤال يجيب عليه الدكتور زكي بقوله: الدين هو الذي يقدم المبادىء الأساسية التي نسير على هداها والتي من شأنها أن تبلور لنا رؤية خاصة وموقعا معينا من الكون والحياة بصفة عامة، وتطبيق الدين بهذا التصور هو الجانب السلوكي من الإنسان المعبر عنه بأخلاقه. وعلم الدين هو فاعلية تقام على الدين، والدين ثابت لا يتغير ولكن علوم الدين تتغير وتتطور، والعلم الديني وجهة نظر جزئية لجانب معين للدين، ولكن الفكر الديني رؤية شاملة للدين ككل تدخل منها العلوم بجزئياتها وتصوراتها، ويضاف اليها روح الدين وقيمه، والدين يحمل في داخله مجموعة من القيم ويدعو إلى سلوك معين للوصول إلى غاياته .

ويرى الدكتور زكي وجوب تطوير الفكر الديني بحيث يتطور مع تطور الحياة البشرية ويرجع الضعف الفكري الذي أصاب حياتنا إلى أمرين:

– الوقوف بالفكر عند معنى معين قديم

– مجال الحياة الفكرية تعوزه الضوابط الواضحة لما هو صواب وما هو خطأ .

ثم تتحدث المؤلفة الفاضلة عن وظيفة الفكر الديني عند الدكتور زكي وعن دوره وتعطينا نماذج من فكره الديني.

أمراض العصر

أمراض العصر التي تصيب المجتمع الإنساني مثل القلق والتمزق واليأس والعنف والاغتراب ويرى الدكتور نجيب أن في جوهر العقيدة الإسلامية مايعالج مثل هذه الأمراض، والمسلم يستفيد من عقيدة التوحيد لإصلاح حياة الفرد ونزع أمراض العصر عنه فهي تحمي وحدة الفرد وتحقق وحدة المجتمع والجهل من أسباب خلل المجتمع وهو يعني كل موقف يغيب فيه الحق على ضمائر الناس وعقولهم فيما يعرض لهم من مواقف ومشكلات، وعندما يكتشف الإنسان جانبا من جوانب الحق تطير خفافيش الوهم والخرافة.

والخوف يشمل كل حالات الحذر الذي يزيد على حيرة العقول بحيث يغري صاحب السلطان بالبطش خوفا على سلطانه، ويغري صاحب المنصب بأن يختلس ويرتشي، ويغري الإنسان العادي من جمهور الناس بأن ينافق مواطنيه.

وهذه الأمراض من أهم أسباب تعثر البشر أفرادا وجماعات والابتعاد عنهاحدده الإسلام في الاستعاذه بالله من الشيطان الرجيم دائما. والإيمان بالله الذي أطعمنا من جوع وآمننا من خوف ومفهوم الطعام يشمل كل أنواع المعرفة وعلى هذا تقوم الحضارة. ومن أمراض المجتمع اللغو والكذب والنفاق والمجتمع الذي تسوده هذه الصفات مجتمع فاسد لأن مقياس النجاح السلوك الأفضل والإيمان إذا لم يتحول إلى العمل كان إيمانا قاصرا. ولذلك فإن القرآن الكريم يضيف إلى الذين آمنوا قوله (وعملوا الصالحات) حتى يكتمل الإيمان. ومجتمع الآخرة مجتمع الصلاح الخالي من الكذب والنفاق واللغو يقول الله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا كذابا﴾ [النبأ:٣٥]، ويقول: ﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما. إلا قيلا سلاما سلاما﴾ [الواقعة:٢٥و٢٦].

العلاج من هذه الأمراض: الإرادة صاحبة الأولوية في النظرية الإسلامية والله سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم، فإذا غيرنا ما بالداخل تغير ما بالخارج.

والداخل: هو مجموعة الأفكار التي تملأ رؤوسنا والتي هي ذات شأن في تشكيل سلوكنا، ثم تغير العلاقات الإنسانية التي يجري التعامل بها بين المواطنين.

والإسلام يسعى إلى إصلاح الفرد وذلك يأتي من إحياء ضميره الديني الذي يحول العقيدة إلى معنى يعيشه الإنسان وتحويل القيم إلى قوة يحيا الناس على أساسها.

وسبب فساد الحضارات وانهيارها أنها فقدت روح العدالة الاجتماعية: ﴿الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ [الفجر:١١-١٣]. والعلم الحقيقي يكون دائما في خدمة الإنسان.

الفكر الديني بين الأخلاق والعلم: الحضارة تضم جانبي الأخلاق والعلم

والفكر الديني يجمع بينهما ويقدم لهما الدعم المعنوي الساعي إلى التقدم.

وليس معنى ذلك سيطرة الدين على العلم كما يرى الدكتور زكي، فالدين يقدم القيم التي تساعد على مزيد من التعلم والمعرفة ويترك للعلم الحرية في البحث والمعرفة ثم يضع الفكر الديني الأهداف الواجب عليه مراعاتها وهي خدمة الإنسان لا تدميره.

الأخلاق والفكر الديني: الأخلاق تسير في ميادين التعامل البشري وإلى طرائق العيش كما يريدها الناس، وهي تبحث عن قيمة الخير وهي إحدى ثلاث قيم كبرى هي: الحق، والخير، والجمال، وهذه القيم هي الضابطة لحياة الإنسان الفكرية والعملية على السواء.

فالحق: هو ما ننشده في حالات الإدراك. والجمال: هو ما نبتغيه في حالات الوجدان.

والخير: هو ما نقصد إليه في جانب السلوك. وقيمة الخير يختص بها على الأخلاق وهي تصب معناها مباشرة على مجال السلوك الإنساني. وكان الدكتور زكي يرى في فترة حياته الأولى أن الأخلاق نسبية ثم تغير فكره بسبب ظهور عامل الوجدان أو الثقافة بما يحمل من أصالة وتراث ودين، وفي البداية كان يرى أن القيم الأخلاقية عبارة بدون معنى، لأنها تعبر عن رؤية ذاتية للقائل، فكانت أحكامها نسبية متغيرة بتغير العقلية، ولذلك فهي لا تتمتع بالحكم الثابت ورأى ضرورة نقلها من مجال العلم والالتزام بنوع ثابت من القيم سيحول الإنسان إلى عبد تستعبده هذه القيم، ثم بدأ يغير نظرته ويرى أن هناك قيما نسبية يجب تغييرها دائما وفق تغيير الحياة وبجانبها قيم أخرى ثابتة، لقد كان يرى أن الأخلاق نفعية نسبية تهدي إلى تحصيل النفع والسعادة ثم رفض هذا وقال: قوام الأخلاق عندنا هو الواجب لا السعادة، والواجب مفروض علينا من صاحب السلطان في عليائه من السماء، وهو يعتبر الدين مصدرا للقيم الأخلاقية الثابتة والعلم دعامة هامة لتحقيق الحضارة، ولكنه يحتاج إلى الأخلاق. والدين قيم تؤدي إلى عمل وليس مجرد شعائر تؤدى. والصلاة فريضة دينية وقيم سلوكية تجعل الإنسان بعد الصلاة أقوى، وبهذا يحول الفكر الديني الإنسان المؤمن إلى عابد في كل لحظة.

علاقة الفلسفة بالدين

يشير الدكتور زكي إلى كون الفلسفة أقرب إلى طبيعة العلم منها إلى طبيعة الدين، ويرى أن هناك اختلافا بين الدين والفلسفة، فالتيارات الفلسفية مبنية على دعائم ميتافيزيقية متعددة بتعدد أصحابها ولكن البناء الديني وحي منزل.

العلم وحده لا يكفي

لم يسمع من الدكتور زكي هذا إلا في كتاباته الأخيرة، وظهر في كتابه «الشرق الفنان» مساحة للوجدان في بناء الحضارة والوجدان الذي يشمل الدين، أخذ جزءا كبيرا منه يتسع حتى أصبح دعامة رئيسة بجانب دعامة العلم الرئيسة في تشكيل الحضارة. وقال: لقد أدخلت على التصور تعديلا في المرحلة الثانية، لقد كنت في المرحلة الأولى لا أجد بديلا لصورة الحياة الغربية كما هي في عصرنا لأنها حضارة القوة والعلم والإبداع والمغامرة وتحقيق السيادة على الطبيعة، ثم رأيت أنها ليست وحدها كافية ولابد وأن نضيف إليها أن لكل أمة ما يميزها من سمات ثقافية.

ثم قال في صراحة: «لقد كنت لفترة طويلة واحدا من أولئك الذين ضلوا سبيل الحق في هذا الصدد فبالغت كما بالغوا حتى أراد الله لي رؤية أهدى»

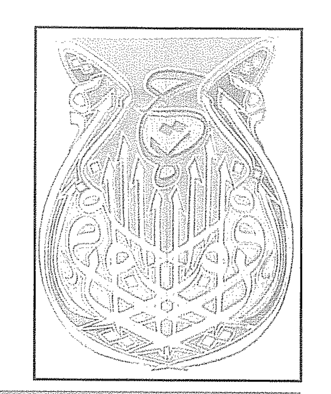
وقد نادى بتطوير الأحكام الفقهية بحيث تساير العصر الذي نعيش فيه، مع عدم الإخلال بهدف الدين وبالإطار الشرعي المفروض، ومنها مجال حقوق المرأة والاقتصاد والفن، ولا بد من الاهتمام بالقيم الدينية، ومنها الحرية والعدالة الاجتماعية وتهيئة قلوب المؤمنين للأخذ بدعائم العصر الحديث من دعوة إلى العلم والعمل.

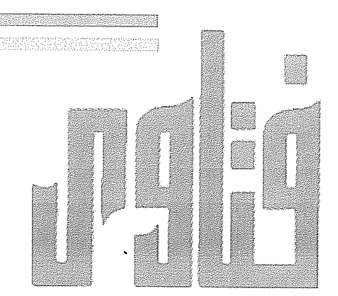
وقد أرجع مشكلة التطرف إلى غياب العقلانية عن حياتنا الدينية والفكرية، لأن التطرف يعني الأخذ بالجانب الفكري بمنهج عاطفي يلتزم فيه المتطرف بأحد الاتجاهات، ويرفض النقاش والحوار، وإذا التزم بالمنهج العقلي فلن يظهر لديه التطرف، ويرى أن الأديان السماوية الثلاثة تعتبر أسرة واحدة تشترك في كثير من المبادىء الأساسية وأن الخلافات الموجودة خلافات جزئية.

وأخيرا

فقد استمتعت بقراءة هذا الكتاب الذي جعلني أعرف التغير في حياة فيلسوف عربي كبير بدأ بالانبهار بالغرب وحضارته، وحين درس الحضارة الإسلامية غيّر أفكاره ونادى بالالتزام بها حتى يمكن للعرب والمسلمين أن يسيروا في الطريق السليم الذي يجعلهم قادرين على أداء وظيفتهم في عمارة الأرض والدعوة إلى الله على بصيرة، والسير على صراط الله المستقيم وعدم اتباع الفلسفات البشرية البعيدة عن القيم والأخلاق.

وما يعيشه المسلمون سببه البعد عن منهج الله والانبهار بالمناهج الغربية، لأنهم يرون التفوق المادي والتكنولوجي ولا يفكرون أن الحضارة لا يمكن أن تسير بجناح واحد هو الجناح المادي بل لابد من الجناح الروحي الذي يجعل الإنسان قوى الصلة بالله فيأخذ منهجه عنه ويلتزم بأخلاقه ويعمل على الإصلاح العالمي ولمثل هذا فليعمل العاملون□





منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

الضرورات تبيح المحظورات

●لا يخفى عليكم دور مهنة التمريض في رفع المعاناة عن المرضى والجرحى في فترة السلم أو الحرب، وكان وما زال دور الممرضة إيجابيا ومميزا منذ القدم. فهل يجوز للممرضة «المسلمة» – أو الكتابية – الاطلاع على عورة الرجل بما في ذلك تغيير ضماد الجروح والعناية بالقسطرة البولية، وحلق الشعر، علما بأنه يوجد ممرضون من الرجال في نفس المستشفى؟ يرجى الإفادة لما لذلك من أهمية .. وجزاكم الله كل خير.

●●أجابت اللجنة بما يلي:

الأصل أنه يحرم على الرجل أن يطلع على عورة المرأة الأجنبية، أو على عورة رجل مثله، كما يحرم على المرأة أن تطلع على عورة الرجل الأجنبي أو على عورة امرأة مثلها، ولكن يجوزأن يطلع كلا الجنسين على الآخر لحاجة العلاج أو التمريض، على أن الأولى ألا يطلع على عورة المرأة إلا امرأة مثلها، وكذا الأولى ألا يطلع على عورة الرجل إلا رجل مثله، لأن نظر الجنس إلى جنسه أخف.

من أحكام المضاربة

●هل يحق لي شرعا أن أشترط على العامل الذي يعمل عندي بنسبة معينة من الربح الكلي – الذي يختص بنشاط العامل – أن يتحمل معي تغطية إيجار المحل، بأن يدفع نسبة معينة من نسبة الربح التي يحصل عليها من مجال عمله فقط، كما ذكرت، لأن المحل له مجالات وأعمال أخرى، ولها عمال مختصون بتأديتها، وكل عامل له نسبة من الربح الكلي للعمل الذي يؤديه، علما بأنهم لا يتحملون مبالغ المعدات التي نشتريها؟

●●أجابت اللجنة بما يلي:

إن الاتفاق بين صاحب المحل والعامل على أن يقدم صاحب المحل المواد المستخدمة، ويقوم العامل بالتصليحات والأعمال اللازمة للتركيب، ويكون الربح بينهما هو عبارة عن شركة مضاربة، رأس المال فيها بضائع معروفة القيمة، بحيث يعرف الربح، وهذا جائز بشرط أن تكون نسبة الربح لكل من الطرفين معلومة.

أما أجرة المحل أو الجزء الخاص بالعمل موضوع المشاركة، فإنها تعتبر من التكاليف، وتخصم قبل حساب الأرباح.

إغلاق الجمعيات التعاونية [illegible]

●أود إحاطتكم علما بأن الجمعية التعاونية بصدد دراسة اقتراح مطروح عليها مؤداه الحرص على مداومة إغلاق السوق المركزي والفروع الخارجة التابعة لها إبان أوقات الصلوات المفروضة.

ونظرا لأن الجمعية ترغب – استكمالا للدراسة – في استطلاع الحكم الشرعي في مدى التزام الجمعية شرعا بتنفيذ هذا الاقتراح.

لذلك أرجو عرض الأمر على لجنة الفتوى للنظر في هذا الموضوع والإفادة بما ينتهي إليه الرأي في هذا الشأن.

●●أجابت اللجنة بما يلي:

إن إغلاق الجمعيات التعاونية بعد سماع الأذان من يوم الجمعة واجب ويأثم الجميع بتركه لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾. أما إغلاق الجمعيات التعاونية في الصلوات الأخرى غير الجمعة، فهو مستحب إظهارا لشعائر الإسلام يثاب فاعله، ولا يأثم تاركه شريطة ألا يمنع من يرغب في الصلاة من الخروج إليها.

حكم التنفل قبل صلاة العيد

● نحن جماعة ذهبنا إلى أحد المساجد لأجل صلاة العيد، فمنا من جلس عند دخوله المسجد ولم يصل تحية المسجد، مدعيا أن لا صلاة قبل صلاة العيد، ومنا من صلى تحية المسجد، وجلس ينتظر صلاة العيد، ومنهم إمام المسجد، نرجو الجواب: أيهما أصح؟ أم أن الجميع على صواب؟

●● وأجابت اللجنة بما يلي:

إذا كانت صلاة العيد في المسجد - كما ورد في السؤال - فقد اختلف العلماء في التنفّل قبلها وبعدها، وترى اللجنة أن الأَوْلى ألا يصلي قبلها تحية المسجد ولا بعدها، وإن صلى فلا يُنكر عليه لوروده عن بعض السلف، أما إذا كانت صلاة العيد في الصحراء، فليس من السنّة أن يصلي قبلها ولا بعدها.

ما يجوز للخاطب رؤيته

إذا أراد شخص أن يتقدم إلى خطبة فتاة فما حدود رؤية الخاطب للمخطوبة؟ وهل يجوز رؤية شعرها؟

●● أجابت اللجنة بما يلي:

إن الخاطب له أن يرى من مخطوبته الوجه والكفين فقط، وإذا أراد أن يرى شعرها فعليه أن يرسل من يثق بها لترى شعرها.

● إذا أرادت المؤسسة التوسط في بيع بناء جديد وهو معد لأن يكون فندقا يسكنه الناس، واعترض أحد أفراد المؤسسة على أن يكون الفندق في غالب الأحوال يباع فيه الخمر، فلا يحل لنا أن نأخذ عمولة هذه البيعة، فهل يصح هذا الحكم؟

●● وقد أجابت اللجنة بما يلي:

ترى اللجنة أن بيع المبنى إذا ظن البائع، أو غلب على ظنه أنه سيفعل فيه منكر من المنكرات كشرب الخمر أو الزنى، أو غير ذلك يكون حراما، لأن ما أدى إلى الشيء يعطي حكمه، والتوسط في بيع الحرام حرام.

● نفيدكم بأن البلدية تنوي القيام بوضع حاويات خاصة لجميع الكتب والصحف التي تحمل لفظ الجلالة وبعض الآيات القرآنية، وذلك لمنع امتهانها وتدنيسها.

يرجى إفادتنا بالحكم الشرعي لاستفساراتنا الآتية:

١) هل يجوز حرق هذه الكتب والصحف؟

٢) هل يجوز إذابتها ببعض المواد الكيماوية وإعادة استخدامها وتصنيعها من قبل مصانع الورق لاستخراج منتجات ورقية أخرى منها «كورق المحارم وغيره»؟

●● وقد أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز إتلاف أوراق المصاحف المستغنى عنها بكل من الطرق الآتية:

١) الإحراق الذي يتحول به المصحف كله إلى رماد.

٢) الدفن ويجب أن يكون في مكان طاهر بعيدا عن مواطىء الأقدام.

٣) التغريق بأن يوضع في أكياس مثقلة، ويلقى في عرض البحر بعيدا عن الشاطىء.

٤) المحو أو الغسل بالماء أو المواد الكيماوية الطاهرة ،التي تزيل كل أثر للكتابة.

٥) التقطيع وذلك عن طريق آلات التقطيع العادية المعروفة، التي تحولها إلى مجرد حروف مقطعة، لا يمكن جمع كلمات منها.

٦) تحويلها إلى عجينة بشرط أن يزول كل أثر للكتابة منها، ولا مانع من استعمال هذه العجينة في الأغراض الصناعية المباحة، ويشترط في جميع هذه الطرق أن يقصد بها تكريم المصحف وصيانته من الامتهان، فإن قصد فاعله امتهان المصحف فإنه يكفر بذلك، كما يشترط في الإتلاف تجنب كل ما يشعر بالإهانة والامتهان، وأن يتولى هذا العمل أناس مسلمون.

شروط الجوائز الجائزة على المبيعات

● وهو أن يقوم شخص ما بشراء بضائع وحاجيات، أو مواد غذائية، بمبلغ معلوم يحصل على إثره على ورقة سحب تحمل رقما معينا.

مثال ذلك: اشتر بخمسة دنانير واحصل على كوبون يؤهلك لدخول السحب فقد تربح سيارة.

●● وقد أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز الاشتراك في السحب على الجوائز الممنوحة مقابل الشراء بمبلغ معين، شريطة أن تعطى قسائم السحب للمشتري دون مقابل، أو زيادة في ثمن البضائع التي اشتراها، وتكون الجوائز الممنوحة لمن تخرج له القرعة من قبيل الهبة، يقصد بها التاجر ترويج بضائعه وإغراء الناس في شرائها.

● أود أن أسأل وزارتكم الموقرة عن الظاهرة الغريبة جدا لدى مجتمعنا المسالم، ألا وهي مصارعة الكلاب، والتي تم تصويرها وعرضها في الصحف والمجلات الكويتية. والسؤال هو: هل هذا الفعل مسموح به في ديننا الإسلامي الحنيف أم لا؟ وهل لديكم أي تعليق تجاه هذا الموضوع؟

●● وقد أجابت اللجنة بما يلي:

لا يجوز شرعا التحريش بين الحيوانات بإغراء بعضها بمصارعة البعض الآخر لأنه سفه يؤدي إلى إيذاء الحيوانات أو إلى إتلافها دون غرض مشروع، والحكم في ذلك سواء إذا تم التحريش بقمار أم دونه.

علما بأنه يحرم اقتناء الكلاب إذا كان القصد من ذلك مجرد الزينة أو اللهو أو تقليد الغرب.

حياة جديدة

بقلم: خلف أحمد محمود

كان يسير في الشوارع بغير هدى، وهو ينقل قدما وراء الأخرى بتثاقل شديد، وتغطي صفحة وجهه الأسمر، غلالة من الحزن، وقف للحظات وهو يمسح بمنديله المثقوب حبات العرق التي راح ينضحها جبينه بغزارة، عرج ناحية إحدى المتنزهات العامة، تهالك على مقعد رخامي، وهو يبعثر عينين محمرتين ضيقتين في وجوه المارة، هذا رجل يسير بجوار زوجته وحولهما طفلهما الصغير، وهما يضحكان، هؤلاء مجموعة من الأطفال يلعبون، ويمرحون وهم في منتهى السعادة.

أفلتت من عينيه، دمعات حارة، أخذ يمسحها باطراف أصابعه، عندما تذكر زوجته وأولاده الثلاثة، الذين ذهبوا ليعيشوا في بيت جدهم، بعدما أدمن شرب الخمور، ويئست زوجته من إصلاحه، آثرت أن يعيشوا بعيدا عنه.

حدث نفسه بأسى، معها حق، لقد كانت نعم الزوجة. نهض بتثاقل، وهو يمسح براحته على شعره المبعثر في فوضى، ثم مضى يعبر الشارع، وهو يتفادى العربات المتلاصقة، التي تخلف عادمها وراءها، فيلسعه في وجهه.

عندما وصل إلى بيته، وفتح الباب، صدمت أنفه رائحة هواء عفنة، كادت أن تصيبه بالغثيان، توسط الصالة الضيقة، وهو يوزع بصره في الحجرات الخالية من الأثاث، التي تفرشها بقايا جرائد ولفائف قديمة، البلاط قذر وملطخ ببقايا البصاق، ملابسه المتسخة، المعلقة على المشجب، والتي تعلوها مسحة من غبار، في أثناء ذلك تعلقت عيناه بالصورة الكبيرة المعلقة على الحائط، دق قلبه دقات عالية، أحضر المقعد الخيزران الوحيد، اعتلاه وهو ممسك بورقة صحيفة، راح يزيل مسحة التراب من على الزجاج، فظهر وجه زوجته المشرق، وهي تطل بعينين باسمتين، وحولها أطفالهما الثلاث وهم يضحكون ببراءة، ظل للحظات يحدق في الصورة، ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة، أخذ يطبع قبلة طويلة على زجاجها، فجأة قفز على الأرض، ارتمى على سريره، بينما اغرورقت عيناه بالدموع، وهو يئن آنات الندم والحسرة.

جلس على الأرض، وهو يسند رأسه على الحائط، ويقول بصوت خفيض، مخلوط ببكاء متشنج «سامحني يارب، لن أعود لهذا الطريق، الذي هدم سعادتي، وشتت اسرتي، وجعلني منبوذا بين الناس، أعاهدك يارب على أن أتوب من الآن توبة حقيقية، سأكون فيها إنسان آخر.

مسح براحتيه على وجهه، ظل تائه النظرات في فضاء الحجرة، أحس بشبح الجوع ينهش أمعاءه، خرج للشارع الكبير المتلئ، بالمحلات التي تعلو واجهتها العريضة الأضواء الكهربيائية، البيضاء والصفراء والحمراء، فتجعله كقطعة من نهار، اخترق طريقا بين الكتل البشرية المتلاحمة، اختلس النظر إلى أحد البارات، أحس بجسده يغلي، وقف متسمرا مكانه، وهو ينقل النظر بين الزجاجات الموضوعة داخل الواجهات الزجاجية، وبين عيون المارة التي شعر بأنها تحملق فيه، باستنكار شديد، دس يده في جيبه، تحسس ملمس الورقة المالية من فئة العشرين جنيها، وهي آخر ما تبقى من راتبه، الذي يخصم ما يقارب من نصفه، بسبب إهماله، أخرج يده من جيبه، صوت داخله يصرخ، اغتنم الفرصة، أطفىء ظمأ جسدك لا تفكر في الغد، هيا تحرك قبل أن يغلق المحل أبوابه.

هم بنقل قدمه إلى الأمام، فوجيء بصوت يقول له بنبرة مطمئنة، لكنك عاهدت الله، الا تسير في هذا الطريق مرة أخرى، اقشعر جسده، أحس بأن قدميه لا تقويان على حمله، هم بالسقوط، احتضن بذراعه، أحد الأعمدة الكهربية المرصوصة في الشارع، ظل صامتا للحظات، استعاذ بالله من الشيطان الرجيم.. أحس بدبيب راحة يسري في أوصاله، نظر ناحية البار، بصق عليه بتقزز شديد. ولى راجعا ناحية بيته، بقلب يرقص فرحا، لكسر شوكة شيطانه، عندما وصل أحس برغبة شديدة في النوم، استرخى على سريره، ثم أطبق جفنيه، وأخذ يغط في نوم عميق، نهض من نومه على صوت مؤذن الفجر، وهو يرتفع خفاقا عاليا، في عنان السماء، «مناديا

بالصلاة خير من النوم»، توضأ، ثم ذهب قاصدا المسجد، بعد الفراغ من الصلاة، وقف في شرفة منزله، وهو يملأ رئتيه بالهواء الرائق، الممتزج بعبق نسائم الفجر، ظل واقفا حتى باغته قرص الشمس الأصفر وهو يرتفع عاليا من فوق المباني



الشاهقة

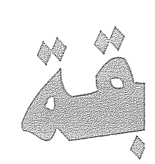
، ارتدى ابهى ثيابه، وقف أمام المرآة للحظات، وهو يعدل من هيئته. ثم خرج، في الطريق اشترى بعض قطع الحلوى، ذات الأغلفة الذهبية، مضى ناحية البيت، الذي تقطنه زوجته، تردد في طرق الباب، في أول الأمر، ثم طرقه طرقات خفيفة، سمع بعدها صوت أقدام تأتي من الداخل، عندما فتح الباب، تلاقت عيناه بعيني زوجته، اعتلت وجهيهما، مسحة من احمرار، رد بصره إلى الأرض، في انكسار. قال بصوت حفيض: تسمحين لي بالدخول.

قالت: تفضل.

عندما دخل فوجىء بالأولاد يجرون نحوه وهم يصيحون، في فرح شديد «بابا.. بابا» التفوا حوله، وهم متشبثون بملابسه، أخذ يمطرهم بقبلات حارة، وهو يدس في أيديهم، قطع الحلوى الصغيرة. عندما جلس، على احد المقاعد، التي تتوسط الردهة الفسيحة، أحس بالكلمات، تهرب منه، وعجز لسانه عن الكلام تململ في جلسته، بينما كانت، عينا زوجته، ترقبه في توجس، استجمع شجاعته، ثم قال، بعد صمت طويل، أعترف بأنني قد تسببت لك ولأولادنا في متاعب كثيرة، وأنني أخطأت

عندما سلكت هذا الطريق، وقد عاهدت الله على أن أبدأ صفحة جديدة في حياتي، فهل تقبلين مشاركتي حياتي الجديدة، لنربى أولادنا معا، ونطوى الماضي بجراحه القديمة. نظرت إليه نظرة حانية، ثم أومأت برأسها موافقة، ارتسمت على وجهيهما، ابتسامة عريضة، وهما ينظران إلى أولادهما، الذين يتقاذفون الكرة، ويتلذذون بالتهام، قطع الحلوى الشهية □

خير أمة



قال تعالى في وصف الأمة المسلمة ذاكرا صفات الخيرية فيها: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ [آل عمران: ١١٠].

الدجاجة المشوية بين سائلين

جلس رجل يوما يأكل هو وزوجته، وبين أيديهما دجاجة مشوية. فوقف سائل ببابه، فخرج إليه وانتهره، فذهب ذلك السائل، فاتفق بعد ذلك أن الرجل صاحب البيت افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته، وتزوجت بعده برجل آخر، فجلس يأكل معها في بعض الأيام، وبين أيديهما دجاجة مشوية، وإذا بسائل يطرق الباب.

فقال الرجل لزوجته: ادفعي إليه هذه الدجاجة، فخرجت بها إليه، فإذا هو زوجها الأول، فدفعت إليه الدجاجة، ورجعت وهي باكية، فسألها زوجها عن سبب بكائها، فأخبرته أن السائل كان زوجها، وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول، فقال لها زوجها: أنا والله ذلك السائل.



إعداد: وجيدة حجازي عبد الله

العجلة المحمودة

قال حاتم الأصم: كان يقال: العجلة من الشيطان إلا في خمس، إطعام الضيف إذا دخل، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا حل ووجب، والتوبة عن الذنب إذا وقع.

فوائد التدخين

قالوا: إن المدخن يجني من التدخين ثلاث فوائد:

هي: أن شعر رأسه لا يشيب، وأن الكلاب لا تعضه، وأن اللصوص لا تدخل بيته.

ذلك: أنه يموت قبل أن يبلغ سن الشيخوخة، وأنه يصاب بارتجاف في أعصابه فيضطر إلى التوكؤ على عصاه، فلا تقربه الكلاب.. وأنه يسعل كثيرا في الليل، فيظنه اللص مستيقظا، فلا يدخل بيته.

كيف يستجاب الدعاء؟

يروى أن إبراهيم بن أدهم مر في سوق البصرة فسأله الناس: يا أبا إسحاق إن الله يقول: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ﴾ ونحن ندعو الله سبحانه وتعالى فلا يستجاب لنا..

قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء:

أولاً: عرفتم الله فلم تؤدوا حقه.

ثانيا: قرأتم القرآن فلم تعملوا به.

ثالثا: ادعيتم حب الرسول ﷺ ولم تعملوا بسنته.

رابعاً: قلتم إن الشيطان عدوكم فوافقتموه.

خامسا: قلتم إنكم مشتاقون إلى الجنة ولم تعملوا لها.

سادساً: قلتم إنكم تخافون النار، ولم تهربوا منها.

سابعاً: قلتم إن الموت حق، ولم تستعدوا له.

ثامنا: انشغلتم بعيوب الناس، ونسيتم عيوبكم.

تاسعا: أكلتم نعم الله، ولم تشكروه عليها.

عاشرا: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا، فكيف يستجاب لدعائكم؟

أياس في مجلس القضاء

استودع رجل رجلا مالا، ثم طالبه به فجحده، فخاصمه إلى أياس بن معاوية القاضي، وقال: وضعت إليه مالا في مكان كذا وكذا.

قال: فأي شيء كان في ذلك الموضع؟ قال: شجرة.

قال: فانطلق إلى ذلك الموضع، وانظر إلى تلك الشجرة، فلعل الله يوضح لك هناك ما تبيّن به حقك، أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة، فنسيت، فتتذكر إذا رأيت الشجرة.

فمضى وقال أياس للمطلوب منه: أجلس حتى يرجع صاحبك. فجلس وأياس يقضي وينظر إليه بين كل ساعة.

ثم قال: ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة؟

قال: لا.

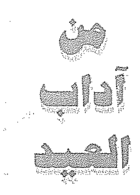
فقال: يا عدو الله أنت الخائن. قال: أقلني أقالك الله.

فأمر بحفظه حتى جاء خصمه. فقال له: خذ منه بحقك فقد أقر.

من حكم لقمان

قال لقمان الحكيم: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواضع:

* الحكيم عند الغضب.
* والشجاع عند الحرب.
* وأخوك عند حاجتك إليه.



من آداب العيد

من آداب العيد: إحياء ليلته.. بما فيها طاعة الله، من ذكر، وصلاة، وتلاوة القرآن، والاغتسال قبل الذهاب إلى صلاة العيد، ويستحسن أداء الصلاة في الخلاء، لما في ذلك من مظاهر الفرح والابتهاج، ويظهر المسلم في أحسن ما يبدو من التعطر والتزين، ولبس أحسن الثياب، وتناول قليلا من الطعام قبل الخروج إلى المصلى.

ومن آداب العيد أيضاً: التزاور، واستقبال الناس بالبشاشة والبشر، واللعب المباح، واللهو البريء، والرياضة، والترويح على النفس.

الدنيا.. والآخرة

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن: أن أجمع لي أمر الدنيا.. وصف لي أمر الآخرة.. فكتب إليه:

إنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والموت مستيقظ، ونحن في أضغاث أحلام، من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم، ومن خاف سلم، ومن اعتبر أبصر، ومن فهم علم، ومن علم عمل، فإن زللت فارجع، وإذا ندمت فاقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا عصيت فأمسك، واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليها.

صفات المرأة الصالحة وثوابها

أربعة من النساء في الجنة:

امرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها، ولود صابرة، قانعة باليسير مع زوجها، ذات حياء إن غاب عنها زوجها حفظت نفسها وماله، وإن حضر أمسكت لسانها عنه.

وثوابها كما جاء في الأثر: يستغفر لها الطير في الهواء، والملائكة في السماء.

أعطوا الطريق حقه

عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ قال: «إياكم والجلوس في الطرقات. قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها. قال رسول الله ﷺ: فإن أبيتم إلا الجلوس، فاعطوا الطريق حقه. قالوا وما حقه؟

قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر».

من الذوق

قال سعيد بن العاص: لجليسي عليّ ثلاث: إذا دنا رحّبت به، وإذا جلس وسعت له، وإذا حدث أقبلت عليه.

وقال: ما مددت رجلي قط بين يدي جليسي، ولا قمت حتى يقوم.

رسالة

كتب سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إلى ابنه عبد الله في غيبة غابها: أما بعد: فإنه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن أقرضه جزاه، فاجعل التقوى جلاء بصرك، وعماد ظهرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسنة له، ولا جديد لمن لا خَلَقَ له.

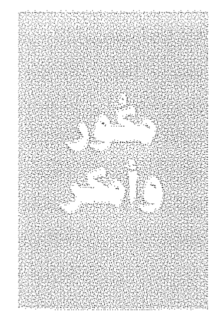
الأخيار

خير الكتب القرآن الكريم، خير الخلق رسول الله ﷺ، خير الأيام يوم الجمعة، خير الشهور شهر رمضان، خير الزاد من كان من كسب حلال، خير الناس أنفعهم للناس، خير الأمم أمة محمد ﷺ.

العاقل والواصل

قال عمرو بن العاص: ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل الذي يعرف خير الشرين.

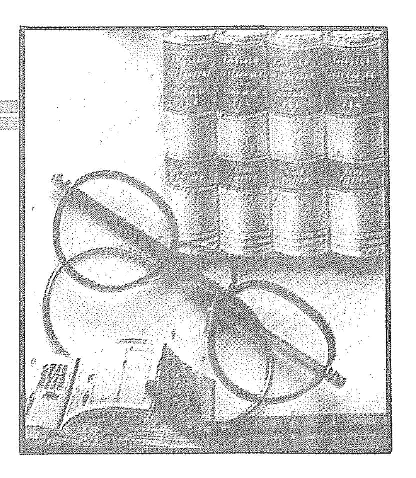
وليس الواصل الذي يصل من يصله، ولكن الواصل الذي يصل من قطعه.



خواطر وأفكار

استأجر رجل حمالا ليحمل له قفصا فيه قوارير، على أن يعلمه ثلاث خصال ينتفع بها، ورضي الحمال بذلك، وقال في نفسه: العلم خير من المال، فلما بلغ ثلث الطريق، قال الحمال: هات الخصلة الأولى. فقال له: من قال لك: (إن الجوع خير من الشبع، فلا تصدقه). قال: نعم. ولما بلغ نصف الطريق قال: هات الثانية. فقال: (من قال لك إن المشي خير من الركوب، فلا تصدقه). قال: نعم. فلما انتهى إلى باب الدار قال: هات الثالثة. فقال: (من قال لك إنه وجد حمالا أجهل منك، فلا تصدقه).

فرمى الحمال القفص، وضرب به الأرض، فكسر القوارير جميعا. وقال: (من قال لك إنه بقي في القفص قارورة، فلا تصدقه أبداً).



التحديات (الشرق أوسطية) الجديدة والوطن العربي

○ أحمد صدقي الدجاني وآخرون

○ مركز دراسات الوحدة العربية،

من بين أبرز وأخطر التحديات الجديدة الكثيرة التي يواجهها الوطن العربي حاليا، ما أثارته (التسوية) التي يجري التفاوض عليها بين العرب وإسرائيل، وما تتضمنه أو تطمع فيه بعض أطرافها من (ترتيبات شرق أوسطية) اقتصادية وسياسية وأمنية، قد يكون لها تأثيرات متفاوتة في النظام الإقليمي العربي، وفي العلاقات العربية – العربية، وفي مستقبل الأمة العربية.. وحرصا من (مركز دراسات الوحدة العربية) على بحث هذه (الترتيبات)، ورغبة في تبادل الرأي بين مختلف اتجاهات الفكر السياسي العربي المعاصر حول الموقف من هذه الترتيبات والقضايا والتحولات والتحديات التي تحدثها، وحول مبررات ووسائل التصدي لها، نظّم المركز ندوة بعنوان (الوطن العربي والتحديات الشرق أوسطية الجديدة) شارك فيها ما يزيد على ثلاثين باحثا ومفكرا عربيا يمثلون وجهات نظر ومدارس فكرية وسياسية وأجيالا مختلفة.. ولقد اتجه هدف الندوة بشكل رئيسي إلى رصد وتحليل التحديات التي تواجه الأمة العربية، ومحاولة إعطاء تصوّر خطة عمل لخطوط عامة وعريضة، قابلة للتطبيق على مستوى الأنظمة والشعوب العربية، لكيفية مواجهة هذه التحديات، والانتقال إلى الأوضاع المرغوب فيها، ومحاولة ابتداع صيغ لتفعيل دور المفكرين العرب ومراكز الأبحاث والدراسات العربية في بحث المشاكل الراهنة لأمتنا، واقتراح سياسات وبدائل مستقبلية لحلولها، ويضم الكتاب حصيلة الوقائع الكاملة لبحوث ومناقشات هذه الندوة التي انعقدت في بيروت يومي ١٢ و١٣ نوفمبر (ت٢) ١٩٩٣م.

ثمــــرات المطــــابع

شفاء السائل لتهذيب المسائل

○ عبد الرحمن بن خلدون

○ تحقيق: د. أبو يعرب المرزوقي

○ نشر: الدار العربية للكتاب،

يتألف الكتاب من ستة فصول، ودراسة تحليلية وضعها المحقق عن العلاقة بين السلطان الروحي والسلطان السياسي. وينبني على معالجتين مترابطتين، إحداهما فلسفية تقوم على تفسير الظاهرة الصوفية بوصفها أحد أشكال المعرفة والسلوك الأخلاقي، والثانية تاريخية ترمي إلى رصد ما طرأ على الظاهرة من تطورات وتفاعلات ترتبت على الظروف التي نبتت فيها..

ووضع ابن خلدون توطئة للكتاب شرح فيها السؤال الذي كان مطروحا على علماء فاس، والذي استفتاه في شأنه بعض إخوانه سائلين عن الحاجة إلى الشيخ في السلوك الصوفي، كما قوّم في التوطئة المناظرة التي عرضت عليه مع السؤال، والتي أثبت نصها الكامل في الفصل الأخير من الكتاب..

ويكشف فصلان من فصول الكتاب تصور ابن خلدون للعلاقة الرابطة بين السلطتين الروحية والسياسية، وهو تصور يحمل قطيعة جوهرية ونهائية مع آراء أهل (المدينة الفاضلة) مثلما صاغها ابو نصر الفارابي، و(دولة الأخيار) التي بشّر بها إخوان الصفا، فضلا عن الأفكار الإسماعيلية والباطنية في شأن الإمامة، والتصورات الصوفية عن (القطب) و(الشيخ).. ويعتبر الدارسون كتاب (شفاء السائل) حلقة أساسية في خضم الفكر الخلدوني، إذ أن مقدمة كتاب (العبر) الشهيرة جاءت بحل استند على انقلاب فلسفي ثنائي البعد تمثل بإعادة ترتيب المسائل الفلسفية عندما جعل ابن خلدون المسألة العلمية تتقدم على المسألة المعرفية، والمسألة القيمية تسبق المسألة الوجودية، ويبقي الدارس حائرا أزاء هذا الإنقلاب، فهو لا يدرك كيفية حدوثه ولا مقدماته ومنطلقاته، وإنما يتابع نتائجه فقط، ومن هنا تأتي قيمة الكتاب (شفاء السائل) الذي يفك لغز الانقلاب الخلدوني، حتى أن الدكتور المرزوقي اعتبره الحلقة المفقودة في فكر العلامة لأنه هو الذي حمل إرهاصات قلب المعادلة الفلسفية، ليس في فكر صاحب (المقدمة) فحسب، وإنما في الفكر العربي خلال العصر الوسيط..

وعلى الرغم من مكانة الكتاب التأسيسية، فإنه ظل مهملا، ربما بسبب شك بعض المحققين في نسبته إلى صاحب (المقدمة) المشهورة، إلى أن حققه ونشره ابن تاويت الطنجي، ثم حققه الاب خليفة..

الفكر السياسي عند الماوردي

○ د. أحمد مبارك البغدادي

○ مؤسسة الشراع للنشر والتوزيع،

الدراسة في أصلها موضوع الرسالة التي نال بها المؤلف درجة الدكتوراه في الفكر السياسي الاسلامي من جامعة ادنبره بالملكة المتحدة، ويدور محور الموضوع الأساسي حول الفكر السياسي لأبي الحسن الماوردي، وتنقسم الدراسة إلى أربعة فصول وخاتمة وملحق.. اتسم الفصل الأول بتناول شمولي للماوردي، في محاولة دراسة كتاباته السياسية في إطار المؤلفات السياسية المختلفة للمفكرين الاسلاميين المعروفين، وموقع كتابات الماوردي منها، وشخصيته كمفكر سياسي بالدرجة الأولى.. ويتصل الفصل الثاني بطبيعة الكتابات السياسية التي كتبها الماوردي في أوليات حياته، هذه الكتابات نجد فيها أفكارا وآراءا مختلفة للماوردي حول الُملك، الإدارة الحاكمة (تدبير البلاد والعباد)، فكرة العدالة، دورة حياة الدولة، وتتميز هذه الكتابات باحتوائهما على عملية مزاوجة بين الأطروحات الإسلامية والثقافات غير الإسلامية.. ويختص الفصل الثالث بالانسان والمجتمع من خلال التركيز على كتاب (أدب الدنيا والدين) حيث نتمكن من التعرف على وجهة نظر الماوردي في كيفية قيام المجتمعات الانسانية، ودور الانسان في هذه المجتمعات من خلال علاقاته المختلفة مع الأطراف الحاكمة والمحكومة في هذا المجتمع.. ويمثل الفصل الأخير قمة الفكر السياسي عند الماوردي متمثلة في كتابه (الأحكام السلطانية) وقد أقام فيه الماوردي نظريته السياسية في الحكم على أصول إسلامية نقية بشكل عام، مارس فيه كل قدراته الابداعية في الاجتهاد الفكري، لكي يوائم الواقع مع النظرية، وفي هذا الإطار العام تمت معالجة جميع الأمور المتعلقة بالدولة من اجتماع واقتصاد إلخ.. وفقا للقواعد الاسلامية وفي ظل دولة الخلافة.. أما الخاتمة فقد لخّص فيها الخطوط العامة للفكر السياسي للماوردي ومدى تأثره وتأثيره في الفكر السياسي الإسلامي بشكل عام.

● التنصير: خطة لغزو العالم الاسلامي

مجموعة من المنصرين

كانت عملية تنصير المسلمين من اعظم التحديات التي واجهت الكنيسة على مر العصور، وأصبح ذلك التحدي أكثر وضوحا بسبب الأحداث السياسية التي تشد الأنظار نحو الأراضي الإسلامية إضافة إلى الانفتاح الحديث الذي يشير إلى استعداد بعض المسلمين للوقوع في أحابيل المنصرين، وانطلاقا من ذلك فقد تسلمت (لجنة التنصير في لوزان) بكل ارتياح اقتراح عقد مؤتمر موسع للمنصرين في امريكا الشمالية، وتبنى الاقتراح (د. بيتر واكنر) عضو كلية (فولر) لارسالية تنصير العالم، وقام بتقديمه القس (دون ماكري) وهو أحد طلاب ذلك المعهد التنصيري، ووافقت لجنة لوزان بحرارة على تبني عقد المؤتمر في خريف عام ١٩٧٨م بالتعاون مع منظمة (التصور الدولية)..

وقامت اللجنة بتوزيع اربعين بحثا اساسيا على الأشخاص البارزين في مجال التنصير وبمعدل بحث واحد في الأسبوع، وحدد مستوى الاستجابات الكتابية على هذه الأبحاث التي أرسلت إلى اللجنة لاختيار المشاركين في المؤتمر وقد بلغ عددهم ١٥٠ شخصا، ولا ريب ان هذه المرة هي الاولى في التاريخ التي يجتمع فيها هذا العدد الكبير الذي يمثل مختلف الدوائر والهيئات والكهنة من اجل توحيد جهودهم، وامكاناتهم والاستفادة بعضهم من بعض بعضا في عملية تنصير المسلمين..

والكتاب ترجمة كاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة (جلين آيري) بولاية (كولورادو) في الولايات المتحدة الامريكية بتاريخ 15/5/1978م، ونشرته دار MARC للنشر بعنوان: THE GOSPEL AND ISLAM .. وفي طيات فصوله وأبحاثه الكثير مما ينبغي على المسلم معرفته والاطلاع عليه لفهم واقع التنصير ومخططاته المستقبلية، وآلية تعامله مع العالم الإسلامي.

● المرأة المسلمة بين الأصالة والتقليد

○ عبد الله خلف السبت

○ نشر: صندوق الإحسان الخيري

(بجمعية إحياء التراث الإسلامي)

من ضمن سلسلة إصداراته، صدرت الطبعة الجديدة من كتيب (المرأة المسلمة بين الأصالة والتقليد) عن صندوق الإحسان الخيري بجمعية إحياء التراث (الكويت)، وهو من تأليف الشيخ/ عبد الله بن خلف السبت، ويقول في مقدمته ملخصا الهدف مما كتب:

(لقد تكالبت كل ذئاب الأرض وثعالبها، وتعاهدت على إفساد المرأة المسلمة وغزوها في عقر دارها، وكل مناها أن تحوّلها عن الفضيلة إلى الرذيلة وتجعلها عابدة للغرب عبر وسائله المادية المتجددة كل لحظة.. لذلك كان لزاما على أهل الخير - رجالا ونساء - أن يتداركوا الأمر ليوقفوا هذا الطوفان الوافد).

● الاجتهاد وطبقات مجتهدي الشافعية

○ د. محمد حسن هيتو

○ مؤسسة الرسالة، بيروت

الاجتهاد كلمة براقة جميلة، تستهوي العقول، وتستميل النفوس، وما من امرىء إلا ويتمنى الوصول إليها، والتحلي بها، فهي ذروة ما يصل إليه الإنسان في علوم الشرع من الكمال، ونهاية ما يبدع به العقل من الاتقان..

ولقد قدر سلفنا رضوان الله عليهم هذه الكلمة حق قدرها، فوضعوا لها الحدود، ورسموا لها الضوابط، وفهموا منها معناها الحقيقي الذي يستفاد منها، فما كان يدعيها إلا من هو أهل لها، إذ كانوا يدركون معنى اقتحام لجج الفتوى، وخطر الخوض في غمارها، بإدراكهم أن الجرأة على الفتوى جرأة على النار..

ولقد نظر المؤلف في أحوال العصر الحاضر فوجد بعض من يتوهمون أنهم علماء يدعون الاجتهاد، ويخوضون في دين الله فيحرمون حلاله، ويحلون حرامه، وهم لما يتعلموا قراءة القرآن بعد، ولما تستقم ألسنتهم بلغة قرآنهم الذي تعبدهم الله بفهمه، بناء على قواعد لغة العرب! وكان من نتيجة ذلك - كما يرى المؤلف - أن اضطربت المعايير، وانقلبت المفاهيم، فصارت السنة بدعة، والبدعة حسنة، وصار الجهل علما، والعلم جهلا، فصدق الجاهل، وكذب العالم، وائتمن الخائن، وخون الأمين..

ولذلك وضع كتابه لتبيان الشروط التي يجب أن تتوفر في العالم حتى يصير مجتهدا مطلقا، أو مجتهد مذهب، أو مجتهد فتوى، لإيضاح الهوّة الواسعة بين دعوى الاجتهاد وحقيقته.. ورتب للكتاب مقدمة حوت أصناف المجتهدين وأوصافهم وشروط كل صنف منهم، وترجمة موجزة للإمام الشافعي تفي بغرض الكتاب، فالطبقة الأولى في المجتهدين المنتسبين للشافعي، والطبقة الثانية من أصحابه الذين جالسوه وأخذوا عنه، والطبقة الثالثة في مجتهدي المذهب بعد أصحابه، وهم قسمان: المكثرون، والمقلّون، ورتّب جميع التراجم في جميع الطبقات حسب سني الوفاة، وألحق بالكتاب فهرسا تفصيليا مرتبا حسب الأحرف.

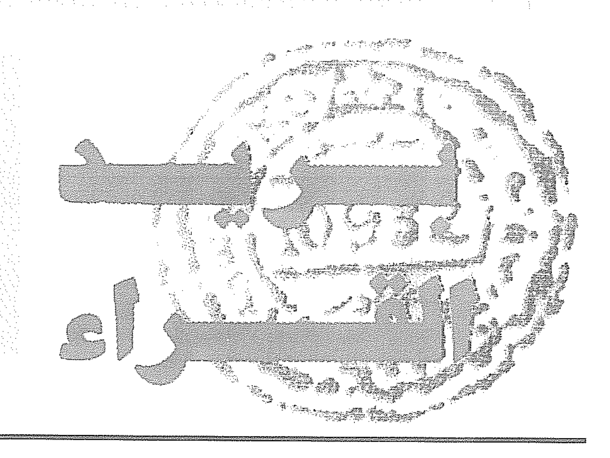
كتاب: نصيحة باجتناب الدخان

○ الإمام إبراهيم اللقاني (ت١٠٤١هـ)

○ تحقيق د. أحمد محمود آل محمود

تنبه العالم مؤخراً إلى مضار التدخين، وأثبت العلماء أن علاقة وثيقة بين التدخين وبعض الأمراض الخطيرة، وعلى رأسها أمراض القلب والسرطان، وبدأت - منذ ربع قرن تقريبا - الحملات المناهضة للتدخين، وتكونت جمعيات للقيام بهذه المهمة، وتوالت تحذيرات منظمة الصحة العالمية وغيرها بهدف تبيان مخاطر التدخين، والدفع باتجاه الحد من انتشاره..

والمطلع على تراثنا الفقهي يجد ثروة كبيرة من العلوم المتعلقة بالإنسان وتحقيق مصالحه الشرعية والدنيوية، وقد تنبه علماؤنا قبل غيرهم إلى المخاطر والأضرار الناجمة عن التدخين، ومن هنا تأتي أهمية كتاب الشيخ ابراهيم اللقاني المتوفى سنة ١٦٣١م، والذي قام بتحقيقه د. أحمد محمود آل محمود، الاستاذ المساعد بقسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية بجامعة البحرين..



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

المرأة في الجاهلية والإسلام

قال تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ [النحل:٥٨و٥٩].

وقال تعالى: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كثر نصيبا مفروضا﴾ [النساء:٧].

كانت المرأة في العصر الجاهلي عديمة القيمة مهدرة الحقوق مع أنها النصف الثاني للإنسان فكما أنه لاسبيل إلى بقائها دون وجود الرجل فكذلك لاسبيل إلى بقائه دون وجود المرأة، فعن طريق تلاقيهما يتكاثر الجنس البشري.

فتلك سنة الله في الخليقة الإنسانية بعد خلق أصلها من تراب. وبهذا المنهج الإبداعي يمتن ربنا على عباده ويدعوهم إلى تقواه وإلى صلة الأرحام وينبئهم أنه رقيب عليهم في تنفيذ مادعاهم إليه فيقول في أول سورة النساء: ﴿يأيها الناس اتقواربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾.

ولقد بلغ من إهدار حق المرأة في العصر الجاهلي أنهم حرموها حق الحياة فوأدوها وقتلوها طفلة أو شابة دون أن يجدوا من يردهم عن هذه الجريمة الشنعاء.فقد كان يرتكبها سادتهم وضعفاؤهم وتجاوزت قلوبهم بذلك قسوة الحجارة﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ [البقرة:٧٤].

أسباب الوأد في الجاهلية

كان الوأد في الجاهلية للإناث غالبا وكانوا يقتلونهن مخافة العار أو مخافة الإملاق، وأحيانا كانوا يقتلون الذكور مخافة الإملاق فحسب، مع أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.ومع أنهم بحاجة إلى الأبناء للدفاع عن القبيلة. ومن عجب أن هذا الجاهلي القاسي القلب كان يغذي كلبه في الوقت الذي يقتل فيه ولده، فكلب الحراسة عنده أعز عليه من ولده ومنهم من كان يقتل بناته زاعما أنه يتقرب بذلك إلى الله سبحانه فقد، زعموا أن الملائكة بنات الله، فقتلوا بناتهم ليلحقوهن به تعالى فهو أحق بهن: ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علو كبيرا﴾.

ما يجري مع ولادة البنات

كان الرجل منهم إذا ولدت له بنت فاما أن يريد أستحياءها وإما وأدها، فإن أراد الثاني تركها حتى تبلغ السادسة فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها حفرة عميقة في الصحراء فيسير بالطفلة المسكينة حتى يبلغ بها الحفرة فيقول لها انظري فيها فإذا نظرت دفعها من خلفها وهال عليها التراب في الحفرة حتى يسويها بالأرض.

قيس بن عاصم التميمي يئد بناته غيرة وأنفة

ومن أبرز أولئك الوائدين لبناتهم قيس بن عاصم سيد أهل الوبر كما كان يلقبه الرسول ﷺ حين وفد عليه. ويعزون إليه أنه أول من وأد بناته في الجاهلية والصواب أن الوأد أقدم من قيس، ولكنه كان أكثر الوائدين بطشا ببناته ولم تسلم منه سوى ابنة واحدة في صغرها ثم وأدها شابة جميلة مكتملة الأنوثة، وتفصيل ذلك أن أمها ولدتها وهو مسافر فبعثت بها إلى أخوالها، ولما قدم قيس من سفره سأل امرأته عن حملها فزعمت أنه ولد ميتا.

ولما كبرت الفتاة جاءت لأمها تزورها فرآها قيس شابة جميلة مزدانة بزينتها.معطرة بالخلوق فأعجب بجمالها وعقلها واتزانها. فسأل امرأته عنها فأخبرته باكية بما صنعته بشأنها فلم يظهر أمامها أي اعتراض على مافعلت. وفي أحد الأيام حفر لها حفرة عميقة وأخذها معه بحيلة فوجدت نفسها أمام قبرها فدفعها في تلك الحفرة وغطاها بالتراب ولم تدمع له عين. فما أشد قسوته. ويذكر المؤرخون أنه لم يفعل ذلك لحاجة فقد كان غنيا كريما ولكنه فعله أنفة وغيرة من أن ينكح الرجال بناته.

قيس يجمع بين الأضداد في أخلاقه

ومن عجب أن يقسو قيس على بناته إلى هذا الحد. مع أنه كان مشهوراً بالحلم فقد كان من سماته الذائعة الصيت. أن الأحنف بن قيس المعروف

بالحكمة والحلم كان يقول: ماتعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري لأن ابن أخ له قتل بعض بنيه فأتي بالقاتل مكتوفا يقاد إليه فقال أخفتم الفتى ثم أقبل عليه يقول: يابني بئس ماصنعت نقصت عددك.وأوهنت عضدك، وأشمت عدوك، وأسأت بقومك، خلوا سبيله وحملوا إلى أم المقتول ديته فإنها غريبة. وكل ذلك حدث منه وهو لم يغير جلسته ولم يتجهم له وجه.

وكان الأحنف يقول: كنا نختلف إلى قيس بن عاصم في الحكم كما نختلف إلى الفقهاء في الفقه.

وكان إلى جانب حلمه شجاعا سخيا صبوراً متواضعا وقد حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية وسبب تحريمه إياها أنه شربها في ليلة فسكر فغمز عكنة ابنته فهربت منه. فلما صحا أخبروه بما حدث منه فحرّم الخمر على نفسه وقال شعراً جاء فيه:

فلا والله أشربها حياتي
ولا أدعو لها أبداً نديما

كان في العرب من ينكر الوأد

ينقل الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وإذا الموءودة سئلت. بأي ذنب قتلت﴾ [التكوير:٨ و٩]. إن من العرب من كان يستقبحه كصعصعة بن ناجية المجاشعي فقد كان يفتدي الموءودات من قومه بني تميم. وأخبر الطبراني عن صعصعة أنه قال قلت يارسول الله إني عملت أعمالا في الجاهلية فهل لي فيها من أجر. أحييت ثلاثمائة وستين من الموءودات، كنت اشتري الواحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل، فهل في ذلك من أجر؟ فقال ﷺ: «لك أجره إذ منّ الله عليك بالإسلام».

جاء الإسلام وهذه الجريمة الشنعاء يمارسها الفقراء والأغنياء والضعفاء والأقوياء للأسباب التي مر بيانها فوقف من القتلة الوائدين موقف الناهي المحذر من سوء العقاب قال تعالى: ﴿ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ [الإسراء:٣١] والخطء بكسر الخاء: هو الذنب. أي أن قتلهم كان في شريعة الله ذنباً عظيما يستوجب أشد العقوبة ولاشك أنه جريمة كبرى في نظر العقلاء الحكماء أيضا.

وقال سبحانه في ل مصورا سوء تصرفهم نحوميلاد الاناث: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء مايحكمون﴾ [النحل:٥٨و٥٩]. وقال في سورة التكوير حاكيا بعض مايحدث من أهوال القيامة: ﴿وإذا الموءودة سئلت. بأي ذنب قتلت﴾. ففي هذا الموقف العظيم يسأل الله تعالى الموءودة عن طريق ملائكته قائلا أمام قاتلها:بأي ذنب قتلك أبوك لتشهد هي ضده بأنه قتلها ظلما بطريقته القاسية. وليكون السؤال تسلية لها واعظاما لحقها وتفظيعا للجناية عليها وإسقاطا لقاتلها عن رتبة الخطاب توبيخا وحملا له على أن يحكم بنفسه على نفسه بأنه قتلها دون ذنب. وأنه يستحق سوء العذاب على قتلها ظلما.

كان من عادة أهل الجاهلية أن يحرموا النساء والصغار من الميراث ويجعلوه حقا لمن يدافعون عن القبائل من الرجال وكان هذا التصرف مجافيا للحق والعدل فلهذا أبطله الله تعالى بقوله: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قلّ منه أو كثر نصيبا مفروضا﴾ [النساء:٧].

والسبب المباشر لنزول هذه الآية أن أوس بن ثابت توفي وترك زوجة وبنتين وابنا صغيراً فجاء سويد وعرفجة ابنا عم أوس بن ثابت وأخذا ماله ولم يعطيا امرأته وأولاده شيئا فقالت أم اليتامى لابني عم زوجها: أفلا تتزوجان البنتين وقد أخذتما أموال أبيهما فلم يوافقا على ذلك. وكان بالبنتين دمامة فأتت رسول الله ﷺ فاخبرته الخبر فدعاهما فقالا يارسول الله ولدها لايركب فرسا ولايحمل كلا ولاينكأ عدواً فصرفهم النبي ﷺ حتى ينزل الله حكمه في شأنهم فأنزل الله هذه الآية. فأرسل إلى ابني العم فقال لهما: «لاتحركا من الميراث شيئا فإنه قد أنزل عليّ فيه شيء أخبرت أن للذكر والأنثى نصيبا» ثم أنزلت بعد ذلك آيات الميراث مفصلة نصيب كل وارث فدعا النبي ﷺ بالميراث فاعطى المرأة الثمن وقسم الباقي بين الاولاد. للذكر مثل حظ الانثيين ولم يعط ابني العم شيئا.

وهكذا أنقذ الإسلام المرأة من ظلم أهل الجاهلية. فأوجب لها حق الحياة وحرّم قتلها وأوجب لها الميراث على النصف من الرجل صغيرة كانت أو كبيرة فلله الحمد أحكم الحاكمين وأعدل العادلين□

محمد عبد الرحمن الشاعر - مصر

إلى متى؟

إلى متى سيظل حال المسلمين هكذا؟

في البوسنة.. اغتصاب.. تهجير.. تدمير.. هدم للبنية الإسلامية..

في الهند.. هدم للمساجد.. تشريد للمسلمين.. وكذا الحال في كشمير. وناهيك عما يحدث في الدول الأفريقية ذات الأقلية المسلمة من إبادات جماعية.. ومحاولة لطمس الهوية الإسلامية في بلدان كثيرة.. وتلك الأيام.. هدم جديد.. وقتل بلا رحمة.. (الشيشان)..

متى سيفيق العالم الإسلامي؟

متى سيجتمع العالم العربي على كلمة واحدة للوقوف تجاه (الغول) الأوروبي الذي يسعى لطمس الهوية الإسلامية؟

العالم العربي لو أجمع على كلمة واحدة للوقوف في وجه هذا التيار لانتصر بلا أدنى شك.. ولكن.. هل يريد العالم العربي فعلا الوقوف ضد تلك الهجمات البربرية؟

هل سيستطيع العرب – فعلاً – استعادة القدس؟ كيف؟

كيف وإسرائيل تنفرد بكل دولة عربية بمفردها.. لتحقق مكاسب.. ما كانت ستحققها لو أجمع العرب جميعاً على موقف واحد.. كنا ننادي باستعادة فلسطين.. العربية.. واليوم اكتفينا بـ(غزة وأريحا)!!

الأردن في يوم وليلة.. عقد اتفاقا.. وفتح أراضيه فجأة.. دون مقدمات.. ولم يراع باقي جيرانه.. والحقوق المشروعة لاستعادة سوريا لجولانها.. ولبنان لجنوبها.. وفلسطين للعرب..

فإلى متى سنظل هكذا؟

طارق كمال - الكويت

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

الدعوة بالممارسة

جمعتنا ضاحية باريسية شتاء ١٩٨٥م وبعضَ الأخوة العلماء والدعاة الأفاضل، بدعوة من (اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا)، نتدارس ونحاضر عن الاسلام، وواقع العالم الاسلامي، وهموم الدعوة، وانتشار الجالية في أوروبا عامّة وفرنسا على وجه الخصوص، وحولنا ما يزيد على خمسة آلاف مستمع ومستمعة، جاؤوا من مناطق شتى، وبينهم من لا يحسن العربية من المسلمين الجدد وأبناء الجيلين الثاني والثالث، حتى اضطر منظمو الدعوة إلى استخدام الترجمة الفورية..

كان كلّ ما في اللقاء مميزاً بالنسبة لي وأنا القادم من أرض تشتعل بسلسلة من الحروب الداخلية والصراع الطائفي، فبيروت يومها كانت تعاني من ضربات البوارج الحربية ما يزيد في مسؤوليتها وهمومها، والجنوب اللبناني مرابط ثابت – كالعادة – أمام الغارات الجوية الإسرائيلية، وصورة (الغربي) في أذهاننا – نحن الضحية – لا تعني أكثر من حليف إسرائيلي، ولا نتصوّر أصحاب الوجوه الصفراء والعيون الزرقاء إلا أعداء لا يمكن أن يكونوا في صف المسلمين، ولا في صف الاستجابة للدعوة..

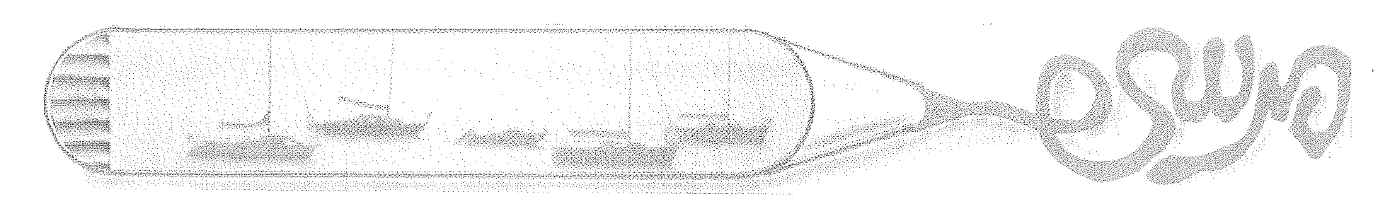
وأيقظني هذا الجمع على حقيقة كادت أن تضيع تحت وطأة المأساة اللبنانية المذكورة، فالإسلام أكبر من أن يكون مفصّلا ليناسب فرداً أو جماعة بعينها، الإسلام دعوة للعالمين، وبنو الأصفر أصحاب العيون الزرقاء مدعوون كغيرهم، ومنهم من يستجيب ويحسن إسلامه وإن كان لسانه يرطن بالإفرنسية أو الألمانية أو (يهدر بالدارجة) كما يقول إخواننا أبناء الشمال الأفريقي..

وبقي في ذهني مشهد لا أنساه ما حييت، هزّني من داخلي كما هزّ الحاضرين جميعا، فقد أعلن عريف اللقاء عن رغبة أحد الفرنسيين في إعلان إسلامه أمام هذا الجمع الغفير، وكبّر الحاضرون وفرحوا، ولمّا تقدّم هذا المقبل على الإسلام وكان فتى فرنسياً في سن المراهقة، وتخوفوا من أية ردة فعل غاضب من الإعلام الفرنسي نظرا لصغر عمر المهتدي الجديد، وحتى لا يدّعي المغرضون أننا نغرر بالأطفال، فضل العلماء الحاضرون أن يشهد إسلامَه أحدُ أوليائه، وبالفعل قامت امرأة من آخر الصف – لا يدل سمْتها على أنها مسلمة – فقالت: إنني أمه، وأنا أريده أن يصبح مسلما..

سألها العريف: أأنت مسلمة؟ فأجابت بالنفي، مما عجّب الحاضرين جميعاً، فسألها العريف: لمَ ترغبين في إسلام ولدك وأنت غير مسلمة؟ فأجابت: لأنني أرى معاملة جيراننا المسلمين لآبائهم وأمهاتهم، وأريد لولدي أن يكرمني في كبري كما يكرمون آباءهم، لا أن يلقيني في الشارع أو المأوى كما هي عادة الفرنسيين..

من المحتمل أن جيران هذه المرأة لم يتلقوا العلم الشرعي البليغ الذي يؤهلهم ليكونوا دعاة وخطباء مفوّهين ومقْنِعين، ولكنهم بالتأكيد مارسوا من أخلاق الإسلام ما دفعها لتتخذ الموقف المشهود هذا، والدرس أوضح من أن نسهب في شرحه.. الدعوة بالممارسة أبلغ من الوقوف عند حدود الكلام□

بقلم: د. صلاح الدين أرقه دان

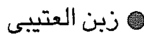


مائة الف دولار سنويا جائزة عبد العزيز سعود البابطين لاحفاد الامام البخارى



عبد العزيز سعود البابطين

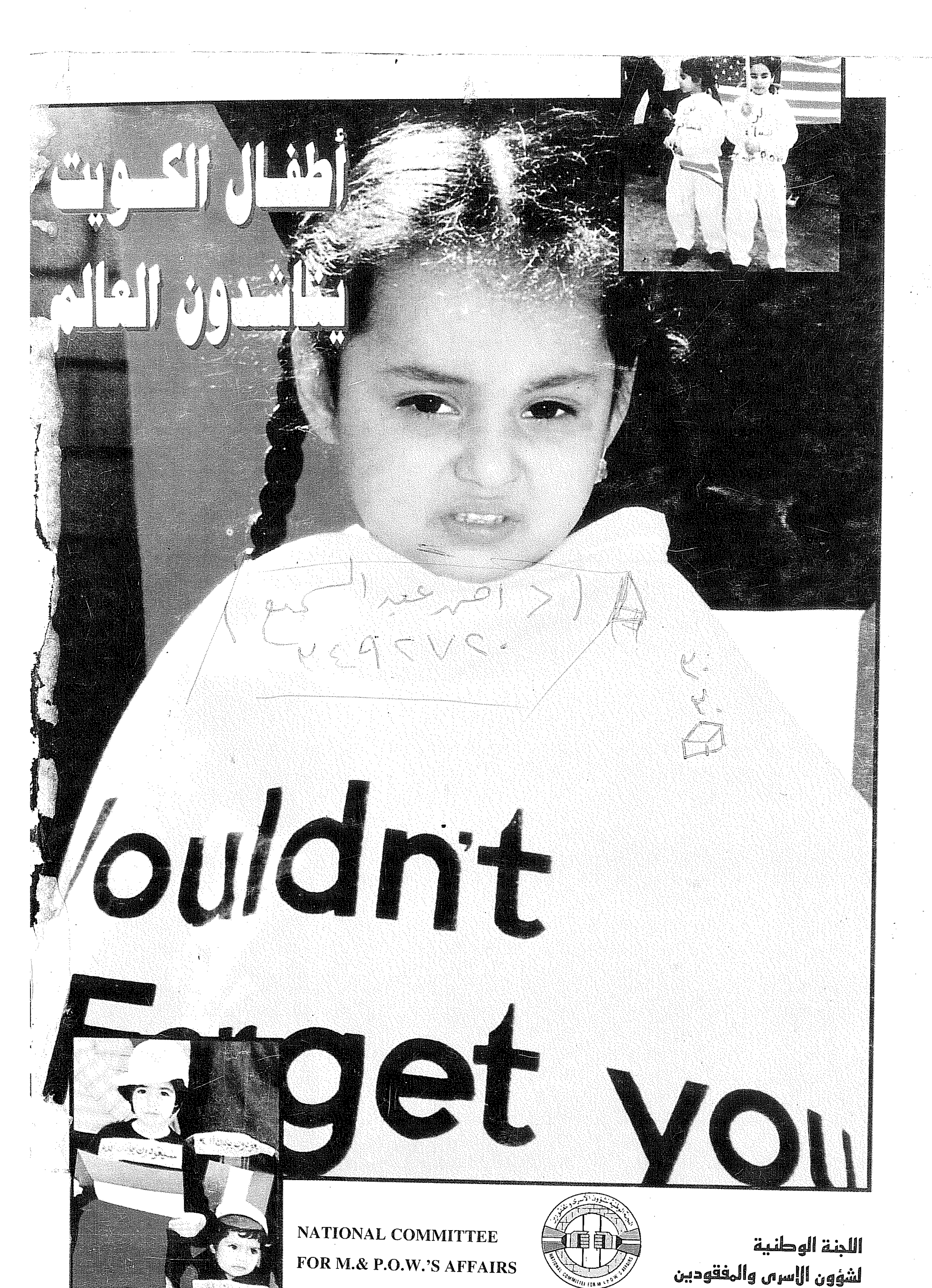




زبن العتيبي

فى بادرة طيبة اعلن السيد / عبد العزيزسعود البابطين بالتعاون والتنسيق مع القائمين على مشروع التواصل الحضارى مع احفاد الامام البخارى فى لجنة مسلمى اسيا المنبثقة عن الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية عن طرح جائزته الكبرى السنوية وقدرها مائة الف دولار امريكي تقدم للدراسات والابحاث والابداعات المهتمة بمنطقة اسيا الوسطى والقوقاز ومسلمى روسيا الاتحادية وتأتى هذه الجائزة امتدادا للدور الخيرى والانسانى النبيل الذى تقوم به دولة الكويت فى مد جسور التواصل الحضارى (الثقافى والفكرى) مع شعوب المنطقة التى انجبت العديد من العلماء والمفكرين امثال البخارى والبيرونى والنسائى وغيرهم من اعلام الحضارة الاسلامية الزاهرة .

وسوف يقوم القائمون على مشروع التواصل الحضارى مع احفاد الامام البخارى فى لجنة مسلمى اسيا فى وقت لاحق بالاعلان عن المحاور واللوائح والشروط المنظمة للجائزة حتى يتسنى للمهتمين والمختصين بالمنطقة من شتى ارجاء العالم الاسلامى الاطلاع عليها ومن ثم تقديم دراساتهم وابحاثهم المتميزة بالجد والابتكار خدمة لامتنا فى مسيرتها الحضارية المعاصرة ...



أطفال الكويت
يناشدون العالم
ouldn't
get you
NATIONAL COMMITTEE
FOR M.& P.O.W.'S AFFAIRS
اللجنة الوطنية
لشؤون الأسرى والمفقودين